

مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة

البيان

AL BAYAN

العدد السابع والعشرون . العدد ٢٩٩ . رجب ١٤٢٢ هـ . يونيو ٢٠١٢ م

الإسلاميون... وإدارة التعددية

أيدولوجيا المجتمع السعودي والتغيير

تفجيرات لندن 2012

النجاة من كمين الشبهات



الانتخابات المصرية...

رئيس أم مرؤوس



مستشفى أبها الخاص
Abha Private Hospital

استعادة مقاييس الصحة والجمال

الآن أقرب من أي وقت مضى..

وحدة جراحات السمنة

بإشراف الدكتور محمد با وهاب
استشاري جراحة السمنة

وحدة جراحة التجميل والحروق

بإشراف الدكتور أيمن فرحات
استشاري جراحة التجميل

www.aph.med.sa



الرضيع

طفلي الرضيع
خصائصه - صحته - تربيته

مشروعنا
وظف مختلف
المتخصصين



مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنوع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالاتهم في مراحل المشروع.
- توسيع دائرة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنوع بيئات المشاركين وتجاربههم.

www.albayan.co.uk

الرياض: - هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦



الافتتاحية

٤ الإسلاميون... وإدارة التعددية
التحرير

العقيدة والشريعة

٨ اليقين روح أعمال القلوب
د. هاني بن عبد الله الجبير
١٢ من معالم الانحراف الأصولي
مشاري الشثري

الغرب: قراءة عقدية

١٦ «تضجيرات لندن ٢٠١٢م»: بين الحقيقة والوهم
فيصل بن علي الكاملي

بُغوا عني ولو آية

٢٠ وقفات مع حديث «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام»
د. عمر المقبل

قضايا دعوية

٢٢ الممؤشرات: قوة وضبط
عاصم محمد حسن
٢٨ فقه التدرج واشكالية التطبيق
د. أمين الدميري

قضايا تربوية

٣٢ الثقة واليقين برب العالمين
عبد العزيز الشامي

معركة النص

٣٦ ضغط اللحظة الراهنة
فهد بن صالح العجلان

ملف العدد

٤٠ من أحكام السياسة الشرعية في الانتخابات
الرئاسية المصرية محمد بن شاكر الشريف
٤٦ الإسلاميون.. هل يقدر على الحكم؟
أحمد فهمي
٥٠ ماذا يريد العسكر من الرئيس؟
حسن الرشدي

رئيس التحرير

أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير

د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير

أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصفير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير

إسلام السيد علي

الإخراج الفني

محمد سالم لرضي

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

YouTube | f | t

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
أي بان: SA1٢٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج ١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا ٤٧ يورو
أوروبا ٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا ٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم ٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية ٦٠ يورو

خدمة العملاء

السعودية

ص.ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف الموحد: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ - فاكس: ٤٥٢٢١٢١
خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير

editors@albayan.co.uk

خدمة العملاء

sub@albayan.co.uk

التسويق

sales@albayan.co.uk

العلاقات العامة

pr@albayan.co.uk

الموزعون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص.ب ٣٧٥
هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٣٢٣

الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات
للطباعة والنشر، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩
هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس: ٣٦٦٦١٢٦

سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب
٤٧٣ - العذبية ١٣٠ - هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ -
فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠

البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف -
المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٢٤٥٥٩ - ٥٢٤٥٦١،
فاكس ٥٣١٢٨١

السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع:

هاتف: ٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٤٨٧١٤٦٠

السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٣٢١٢١٨٣

قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف:

٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩

الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع:

ص.ب: ٢٩١٢٦ - الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ -

هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ - ٢٤١٧٨١٠ - فاكس: ٢٤٧٨٠٩

المغرب: سوشيرس للتوزيع، الدار البيضاء،

ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ -

هاتف: ٤٠٠٢٢٣ - فاكس: ٢٤٦٢٤٩

اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء:

ص.ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة

القدمية، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ - فاكس: ٤٠١٣٥

تونس: الشركة التونسية للصحافة، ت

٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٠٤



[كلمة صغيرة]

إعادة البناء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم

الأنبياء والمرسلين . . وبعد :

فها هي ذي عقود متتابعة مرت على بعض الدول العربية تحالف فيها الاستبداد السياسي مع المؤسسات والأحزاب العلمانية والليبرالية التي مسخت هوية المجتمع وشوّهت قيمه وأخلاقه: فهل ستحسم الانتخابات السياسية وصعود

الإسلاميين في بعض الدول معركة الهوية بسهولة؟!

إنّ ثمة حقيقة مهمة وهي أنّ النظم الاستبدادية جذّرت المبادئ والقيم العلمانية في معظم مفاصل الدولة، وفرضتها بكل جبروت في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ونحوها، ورعتها بمنظومة متكاملة من التشريعات والقوانين، ومن المهم أن يستحضر دعاة الإصلاح أمرين في غاية الأهمية:

الأول: أنّ الأحزاب العلمانية والليبرالية لن تقف مكتوفة الأيدي وهي تنظر إلى تلك القلاع العلمانية التي عاشوا في كنفها لعقود طويلة تتهاوى وتترنح بحجة الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة؛ بل سيفتعلون جميع العراقيل لتعطيل مسيرة الإصلاح، وسيجدون دعماً ونصرة من أسيادهم في الغرب.

الثاني: أنّ الفساد الذي اصطنعته النظم والأحزاب العلمانية ليس أشواكاً سطحية متناثرة يمكن إماطة أذاها عن الطريق بسهولة، بل هي أشجار نكدة ترسخت جذورها في أعماق الدولة ومؤسساتها وفي محاضن معظم المجتمع، وامتدت أغصانها لتؤثر على الإعلام والتعليم والفكر والثقافة، وهذا يعني أنّ تحديات الإصلاح والتنمية لا ينبغي النظر إليها بعين المرحلة العابرة؛ بل ينبغي أن تتحول إلى مشاريع علمية ارتيادية (إستراتيجية) طويلة النفس، محكمة الدراسة، تعيد بناء المجتمع عقدياً وتربوياً وثقافياً، وهذا عمل كبير جبار، ولكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وتأمل قول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: (إن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه؛ ما قام لهم دين ولا دنيا)^(١).

(١) البداية والنهاية: (٩/ ٢٢٩).

٥٦ كيف يراقب الصهاينة مستقبل مصر بعد

الانتخابات الرئاسية؟ د. عدنان أبو عامر

٥٨ حوار مع الدكتور محمد يسري

حاوره: جلال الشايب

قصة قصيرة

٦٤ الصعود والاقعاع

محمود حسين عيسى

المسلمون والعالم

٦٧ المشروع السُّنِّي في سباق المشاريع

د. عبد العزيز كامل

٧٢ الشريعة في دستور تونس شعار المرحلة

فتحي السعيدي

٧٥ تعقيدات الأزمة السورية وآفاق الحل

محمد سليمان الزواوي

٧٨ مرصد الأحداث

جلال سعد الشايب

نص شعري

٨٣ سوربة... فتنة الحُسن والكبرياء

فهد بن علي العبودي

قراءة

٨٤ أيديولوجيا المجتمع السعودي والتغيير قراءة

في كتاب (مقاومة التغيير في المجتمع السعودي)

د. محمد بن عبد الله السلومي

الباب المفتوح

٩٢ نظرات تربوية في الخلاف

همام بن عبد الرحمن الحارثي

الورقة الأخيرة

٩٥ النجاة من كمين الشبهات

د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف



الإسلاميون..

وإدارة التعددية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

قال - تعالى - : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦] قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية: «ولا تختلفوا فتفترقوا وتختلف قلوبكم ﴿ فَتَفْشَلُوا ﴾ فتضعفوا وتجنوا، ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ وتذهب قوتكم وبأسكم، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل»..

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعت رجلاً قرأ آية، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: «كلاكما محسن، ولا تختلفوا: فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا».. رواه البخاري..

الفسل، الوهن، الخلل، الهلاك.. إنها الكلمات التي تصف حال الاختلاف عندما تنتشر في أوساط المسلمين وبين صفوفهم، إنها تلك الحال التي قل أن ينجو منها مجتمع مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض ﴿ وَلَا يَزَالُ لُونٌ مُّخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨]، إنها تلك الآفة التي لم يسلم منها حتى التيارات الإسلامية التي ترفع شعار الدعوة إلى الله وتطبيق شريعته وتحكيم دينه في الأرض..

إن نماذج الحكم التي قدمها الإسلاميون في العقود الماضية، تعد على أصابع اليد الواحدة، لكن محاولات الوصول إلى الحكم يصعب حصرها لكثرتها، وهذا يعني أن نسبة الإخفاق مرتفعة للغاية، بل تكاد تصبح هي الأصل..

فما أسباب الإخفاق؟

ماذا حدث في أفغانستان بعد تحرير كابول من الاحتلال السوفيتي؟ وماذا حدث في الجزائر عندما انقلب الجيش على نتائج الانتخابات التي أظهرت فوز الجبهة؟ وماذا حدث في السودان، عندما تصارع شريكا الحكم فيما بينهما من ناحية، ومع بقية التيارات الإسلامية من ناحية أخرى؟ ماذا حدث في العراق في مرحلة ما بعد الاحتلال؟

إن المتأمل في النماذج الإسلامية المعاصرة للوصول إلى الحكم يمكن أن يلحظ عدة أنماط ثابتة متكررة في أغلب النماذج، وأهمها:

١- تعدد التيارات الإسلامية المشاركة في محاولة الوصول للحكم.

٢- عجز كثير من التيارات عن صياغة رؤية متوازنة لبناء علاقات إيجابية فيما بينها لتحقيق الأهداف المشتركة.

٣- سبب الإخفاق الأكثر تكراراً هو تصاعد الخلاف بين الإسلاميين وصولاً إلى مستوى الصراع، وربما القتال في بعض الأحيان.

لا شك أنه توجد أسباب كثيرة حالت بين الإسلاميين ونجاحهم في الوصول إلى الحكم في أغلب الدول الإسلامية، لكن السبب الأكثر إلحاحاً هو «الخلافات بين الإسلاميين»، وربما يعضد هذا التوجه أن التجربة الأكثر نجاحاً هي تجربة حزب العدالة التركي، وأبرز ما يميز الساحة التركية، هو خلوها من منافس إسلامي سياسي حقيقي لحزب العدالة، فهل نقول إن التعدد هو سر الإخفاق؟ أم إن الخلافات الناجمة عن التعدد هي الخطر الأكبر؟..

لا نريد الاستغراق في قضية افتراضية بعيدة عن الواقع، فالأصل في أغلب الدول الإسلامية هو تعدد التيارات الإسلامية السياسية، وهذا يجعلنا بحاجة للتركيز على قضية «إدارة التعدد بين الإسلاميين»، إذ يكشف البحث المتأنى عن وجود خلل كبير في التعامل مع هذه الحقيقة الواقعية، سواء أكان في مجال العمل الدعوي المباشر، أم في المجال السياسي..

ولعل الملاحظة الأكثر أهمية في هذا المجال، هي أن مناهج التغيير التي صاغتها التيارات الإسلامية، بُني أغلبها على افتراض أن منهج كل منها هو المنهج الحق، وأن تحقق الأهداف الإسلامية الكبرى إنما يكون عن طريق هذا المنهج وحده، وبالتالي ينطلق كل تيار من قاعدة أن التطور الإيجابي للمشهد هو أن كافة التيارات الأخرى تتحول إلى منهجه؛ لذا لم تعبأ أكثر التيارات بقضية إدارة التعدد، أو بوضع تصورات للتعاون والتسيق مع التيارات الأخرى لتحقيق الأهداف المشتركة..

وفي مصر، ساهمت ثورة ٢٥ يناير في ازدحام الساحة السياسية بالمزيد من القوى الإسلامية التي أسست أحزاباً

وسعت للمشاركة بقوة في العملية السياسية، وأدى ذلك إلى تعدد الاجتهادات والمواقف السياسية، ومع تعقد المشهد السياسي وتسارعه، فقد الإسلاميون القدرة على إدارة التعدد فيما بينهم في اتجاه التعاون؛ لكنهم حافظوا على الحد الأدنى من العلاقة وهو: الحيلولة دون بلوغ مستوى الصدام المباشر، مع وجود جهود تسيقية في قضايا تفصيلية بعيدة عن السياق العام..

وقد أدى إقبال السلفيين على العمل السياسي عن طريق تأسيس الأحزاب والمشاركة في الانتخابات، إلى ترسخ «الذاتية» لدى التيارات الإسلامية كانعكاس لنشأة الأجنحة السياسية، إذ يهدف الحزب السياسي- بطبيعته - إلى تحقيق رؤيته السياسية عن طريق السعي للوصول إلى الحكم منفرداً في المقام الأول، فإذا عجز عن بلوغه منفرداً، تحالف مع أحزاب أخرى، قد لا تكون إسلامية بالضرورة..

إذن يمكن تلمح النمطين الأول والثاني في الحال المصرية، فهناك تعدد للتيارات الإسلامية، وكذا يوجد قصور في إدارة هذا التعدد، ولو استمرت هذه الحال على نفس المنوال، سيكون عليها أن تصطدم بالنمط الثالث وهو: إخفاق التجربة بسبب الخلافات»..

ما يفاقم من خطورة الوضع هنا، أن الأحزاب الإسلامية، وتحديداً حزبي «الحرية والعدالة» و «النور»، تمكنا من تحقيق أغلبية برلمانية بنسبة ٧٠٪، وهذا يعني أنهما الكتلة السياسية الأولى في مصر، بمعنى أن النجاح أو الإخفاق الذي يبدر منهما على صعيد إدارة العلاقة بينهما، ينعكس بصورة مباشرة على مسار الثورة المصرية..

باختصار

نقول: إن إدارة العلاقة بين الإسلاميين- الإخوان والسلفيين- في مصر لا تتعلق فقط بالمشروع الإسلامي، بل بالثورة نفسها، وبكل تداعياتها الداخلية والخارجية، ولا يخفى أن كثيراً من الأقاليم العلمانية شرعت منذ فترة في اتهام التيارين بالتسبب في تراجع مسار الثورة وتقلص المكاسب السياسية..

وإذا كان اختيار مرشح الرئاسة الأحق بالدعم، كان آخر محطات الخلاف بين الإخوان والسلفيين، فإن قطار الخلاف السلفي- السلفي، ما يزال سائراً في طريقه أيضاً، فعلى الرغم من مرور نحو ١٦ شهراً على نجاح الثورة، فإن الداخل

السلفي ما يزال متفرقاً، وما يزال العقد منفرطاً بين تيارات ومجموعات كثيرة تحمل أفكاراً متباينة حول الواقع وطرق التعامل معه، وهذه المجموعات متجددة ومتمددة، وتستقل بآلياتها في تكوين الرؤى والتصورات، وفي اتخاذ القرارات والتحركات، وفي غالب الأحيان تحتفظ بعلاقات متوترة مع الكيانات الإسلامية الكبيرة، بل أحياناً تكون نشأتها على قاعدة الخلاف مع تلك الكيانات، والمؤسف أن بعض هذه المجموعات تتبنى تصوراً هادماً للتيارين الأكبر على الساحة..

وعلى الجانب المقابل، فإن الإستراتيجية التي تتعامل بها الكيانات الكبيرة مع هذه المجموعات يشوبها القصور الشديد، فهي ليست احتوائية، بل ربما كانت إقصائية في بعض جوانبها، كما أنها لا تراعي وجود قطاعات واسعة من الإسلاميين خارج الأطر التنظيمية للتيارين، وهذه القطاعات تتحول مع الوقت إلى مراكز جذب لمنتمين جدد، ممّا يفاقم من الأزمة..

إن وضعاً شائعاً بهذه الصورة، يسمح لخصوم الإسلاميين بتمرير العديد من المؤامرات والمخططات الرامية لإبعادهم عن الساحة، إذ تسمح لهم هذه الوضعية بالاختراق والتحريك والمناورة والاحتواء... إلخ وفي النهاية ينعكس ذلك كله على شعبية الإسلاميين في الشارع الذي لا يملك القدرة على التفرقة والتمييز بين هذه التوعوات الإسلامية الكثيرة، وبالتالي ينعكس أخطاء بعضهم على كلهم، ويخسر الجميع...

إن خطورة الأزمة وإن كانت تتجلى أكثر مع التفرعات الصغيرة في الخارطة الإسلامية، إلا أن علاج هذه الحال السلبية يبدأ من القمة، حيث العلماء الثقات، والقيادات الإسلامية البارزة، والكيانات الكبيرة، فهم الذين يملكون القدرة على اتخاذ القرارات الصعبة، وهم القادرون على تذليل الصعوبات في طريق لممة الشمل، وبأيديهم إمكانية المبادرة واتخاذ الخطوة الأولى..

وكلهم مدعو إلى الترويج لثقافة التنازل بين الإسلاميين، امثالاً لقول النبي ﷺ: «تطاولوا ولا تختلفوا». ولا نقصد التنازل عن الثوابت المنهجية، بل نعني التنازل عن المواقف والاجتهادات السياسية والمكاسب التكتيكية، ولو تعامل الجميع

انطلاقاً من هذه الثقافة، فقدم كل طرف تنازلاً جزئياً من جانبه، لاقتربت المسافات وتعاقت الرؤى، ورب خلاف يستعر ولا يهدم، يزول ويتلاشى مع تقديم تنازلات يسيرة جداً. لقد بلغت الثورة المصرية عنق الزجاجة، فإن تضخمت الخلافات الإسلامية فلن تمر الثورة، ولن تكون نتيجة عملية التحول السياسي إيجابية، للإسلاميين أو لبقية القوى السياسية على حد سواء.

إن التاريخ يُكتب الآن في مصر، وبين أيدينا تجارب الآخرين ترفع راية النذير، وليس الحل بأن يقدم كل طرف مقاربات نظرية عن دوره في توحيد الصف، ثم تنتهي المقاربة بالكلمة المكررة «ولكن...»، فتلقى التهمة على «الآخرين» الذين أحبطوا جهود التقريب وليس علينا «نحن»..

إن مثل هذه المقاربات لا تنفع ولا تشفع إذا ما خسرت الثورة وتراجعت التجربة، ولنتذكر قوله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم ﴿أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مِصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْ هَذَا قُلُوبُ هُمُ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، قال الطبري في التفسير: «قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم، بخلافكم أمري وترككم طاعتي»..

وروى الطبري عن الحسن في قوله - تعالى - ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [١١٨]، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]، قال: «وأما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافاً يضرهم».. فلا يمكن بحال أن ننفي مسؤولية كل فصيل وكل تيار وكل مجموعة إسلامية عن الفرقة الحاصلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وهذا التفرق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها. وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ١٤]، فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب».. (مجموع الفتاوى، ٤٢١/٣).



حديث

مجلة
البيان

موسوعتها

أجريت لشمائل النبوة الشريفة



الريـاض: هـ — اتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحـ ويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فـ اكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
مكـة والمدية: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطة: ة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطة: ة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطة: ة القصية: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦ مـ



اليقين

روح أعمال القلوب

هاني بن عبد الله الجبير(*)

haniam@gmail.com

عن الأمم السابقة التي كفرت برسالتها بأن الشك كان من أسباب كفرهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مَرِيبٌ ﴿١٠٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِمَّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴿١٠١﴾ [إبراهيم: ٩ - ١٠].

ومع وضوح هذا وظهوره لأهل الإيمان الصادق، والفطر السليمة، والعقول الصحيحة، إلا أن الساحة المعاصرة قد ظهر فيها من تأثر في طرق تحصيل المعرفة بالطرق الفلسفية (القديمة) في أوروبا وأساليبها في البحث العقلي، والتي استندت بعض رؤاها إلى أن الشك هو أول طريق تحصيل المعرفة، فمثلاً فرانسيس بيكون (١٥٦١م - ١٦٢٦م). ينصح كل طالب علم بأن يضع موضع الشك: كل شيء يحتجزه عقله ويقتنع به، ويفسّل عقله من كل التصورات السابقة ليحطّم بذلك، أوهام العقل^(٤).

ويقول: (إن مشاكلنا ناجمة عن العقائد التي تحول بيننا وبين الوصول إلى الحقيقة... إننا نأخذ هذه القضايا المسلم بها نقطة الابتداء في البحث، ولا نفكر أبداً في وضع هذه القضايا المسلم بها موضع الفحص والملاحظة والتجربة، لأن الإنسان عندما يبدأ باليقينيات فإنه سينتهي بالشك؛ ولكنه عندما يبدأ راضياً بالشك فإنه سينتهي باليقينيات)^(٥).

قد أمر الله - تعالى - الناس بالإيمان، وهو أول أمر يوجه للمكلف: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦]. فمن تمسك به نال الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ [مريم: ٨٧].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي الحسنى قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١٠٠﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿١٠١﴾ فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿١٠٢﴾ [الليل: ٥٠ - ٧٠]^(٦). وقال - تعالى -: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمَنُونَ ﴿٨٩﴾ [النمل: ٨٩]. وقال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]. ومعنى الشهادة بالوحدانية: الاعتقاد الجازم - المعبر باللسان - بهذه القضية، كأنه من شدة جزمه بمضمونها مشاهد لها^(٧).

فالإيمان اعتقاد جازم لا يشوبه شك، ولا تخالطه ريبية، ولذا وصف الله أهل الإيمان بأنهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١٠٥﴾ [الحجرات: ١٠٥]. فاشترط في صدق إيمانهم كونهم لم يرتابوا، أي: لم يشكوا^(٨)، فأما المرتاب فهو المنافق كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ [التوبة: ٤٥]. وأخبر الله - تعالى -

(*) قاض في المحكمة الكبرى في الرياض.

(١) تفسير ابن كثير (١٤٥/٣). (٣٥٥/٤).

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن صالح عثيمين ص ٤.

(٣) معارج القبول للشيخ حافظ حكيم (٤٠٥/٢).

(٤) قصة الفلسفة، ديولورانت ص ١٦٣.

(٥) المرجع السابق ص ١٦٧.

ومثله رينيه ديكارت (١٥٩٦م - ١٦٥٠م) الذي قرر أنه لا بُدَّ أن نمحو كل شيء من أذهاننا ونشك في كل شيء ونبدأ من الصفر^(١).

ويقول: (قررت أن أحرر نفسي جدياً من جميع الآراء التي آمنت بها قبلاً، وأن ابتدئ الأشياء من أسس جديدة، إذا كنت أريد أن أقيم في العلوم قواعد وطيدة ثابتة مستقرة)^(٢).

وهذا المذهب الذي طبَّقه أحداث عصرنا على عقائدهم مستمدينه ممن ذكرنا، مع كونه منهجاً قديماً في الغرب، كما يلاحظ من تواريخ حياة أولئك المفكرين إلا أنه منهج قد سبق أن تناوله علماء الإسلام بالنقد لما أخذت به بعض علماء الكلام في بعض الفرق الصَّالفة.

فهو مذهب أبي هاشم الجبائي من المعتزلة، وأخذ بعض الأشاعرة ومضمونه أنه يجب على المكلف أولاً أن يشك، ثم يستعمل النظر العقلي ليصل إلى الحقائق^(٣)، والذي ردَّ عليهم أهل السنة وبينوا خطأ كلامهم، وهو أيضاً ممَّا دخل هذه الأمة من علوم الأمم السابقة^(٤).

ونظراً لظهور هذه الفكرة، وتداولها في عدد من المنتديات، وتبني جملة من ناشئة الإسلام لها، فقد أحببت أن أتناولها ببيان شرعي يجليها من خلال الفقرات المتعاقبة التالية.

١ الإفراز الجازم ركن في الإيمان:

فمن شروط قبول شهادة أن لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك، قال ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)^(٥).

وقال ﷺ لأبي هريرة - رضي الله عنه - «أذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه؛ فبشَّره بالجنة»^(٦).

وقد تقدم في أول المقال الآيات الدالة على هذا. قال ابن القيم - رحمه الله - (اليقين - وهو ضدُّ الشك - روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح.. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلاً نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط)^(٧).

والشك في الله - تعالى - أو في رسوله ﷺ أو ما جاء به كفر وخروج عن الإسلام، قال القاضي عياض - رحمه الله -:

(١) عالم صوفي، رواية حول تاريخ الفلسفة - غوستاين غاردر ص ٢٤٠.

(٢) تأملات متافيزيقية، ديكارت ص ٧٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠/٢٠٢): درء التعارض (٣٥٣/٧).

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم ص ٢٣٤.

(٥) صحيح مسلم (١/٢٢٤).

(٦) صحيح مسلم (١/٢٣٧).

(٧) مدارج السالكين (٢/٤١٣).

(وكذلك من أضاف لنبيينا الكذب فيما بلَّغه وأخبر به، أو شكَّ في صدقه.. فهو كافر بإجماع)^(٨).. وقال أيضاً: (ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو توقف فيهم، أو شك في مذهبهم أو صححه، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده، واعتقد إبطال كل مذهب سواه - فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك)^(٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن الباطنية: (ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين)^(١٠).

وحاصل ما سبق أن الشك يناقض الإيمان، ولا يجتمع في قلب إنسان إيمان وشك، ومن ضرورة الإيمان حصول اليقين المنافي للشك، واليقين اعتقاد جازم، وتصديق قوي، فهو ضد الشك. فالشاك في الشيء والمكذب له: كلاهما غير مصدق به، لكن المكذب جازم بعدم الصحة، والشاك غير جازم بشيء.

٢ النظر العقلي لا يتعارض مع اليقين:

وهو ملحظ مهم وهو سر مسألتنا، فإن المريد للبحث والنظر العقلي لا يلزمه الابتداء من الصفر، وتكذيب كل ما سبق في ذهنه. ولذا يقول ابن تيمية - رحمه الله - (النظر في الدليل لا يستلزم الشك في المدلول، بل قد يكون القلب ذاهلاً عن الشيء، ثم يعلم دليله، فيعلم المدلول وإن يتقدم ذلك شك وطلب، وقد يكون عالماً به، ومع هذا ينظر في دليل آخر لتعلقه بذلك الدليل، فتوارد الأدلة على المدلول الواحد كثير، لكن هؤلاء لزمهم المحذور، لأنهم أوجبوا النظر لكون المعرفة لا تحصل إلا به، فلو كان الناظر طالباً للعلم، فيلزم أن يكون شاكاً، فصاروا يوجبوا عليه النظر، فإذا أوجبوه لزم انتفاء العلم بالمدلول، فيكون الناظر طالباً للعلم، فيلزم أن يكون شاكاً، فصاروا يوجبون على كل مسلم أنه لا يتم إيمانه حتى يحصل له الشك في الله ورسوله بعد بلوغه، سواء أقالوا بوجوبه أم قالوا هو من لوازم الواجب)^(١١).

وعلى هذا فيمكن في كل مسألة أن يكون لدى الإنسان يقين معين، وهو مع ذلك يبحث بتجرد وينظر في الأدلة، وحاصل نظره! ما زيادة تأكيد لما عنده، أو رجوع لما قرره سابقاً دون أن ينزع إلى الشك ابتداءً ويطرح كل قناعاته أولاً.

ويظهر هذا بالفقرة التالية.

(٨) الشفاء (٢/١٠٦٩).

(٩) الشفاء (٢/١٠٧١).

(١٠) مجموع الفتاوى (٢/٣٦٨).

(١١) درء تعارض العقل والنقل (٧/٤٢٠).

٣ لا يلزم في اليقين أن يسبق شك:

فإنه يمكن أن ينظر الإنسان وقد استقر رأيه كما تقدم.

بل الشك مؤد لفوات العلم وعدم صحة النظر ولذا سأل التوحيدي ابن مسكويه عن هذا فقال: (لم صار اليقين إذا حدث وطراً لا يثبت، والشك إذا عَرَضَ رَيْضٌ؟) يدل ذلك على هذا أن الموقن بالشيء متى شككته نزا فؤاده، والشاك متى أرشدته وأهديت الحكمة إليه لا يزداد إلا جموحاً ولا ترى منه إلا عتواً ونفوراً).

وقد أجاب ابن مسكويه مصححاً نظريته لليقين أولاً فقال: (السائل عن اليقين لم يعرف حقيقته، وظن أن لفظة اليقين تدل على المعرفة المرسلة، أو الاقتناع اليسير، وليس الأمر كذلك، فإن مرتبة اليقين أعلى مرتبة تكون في العلم، وليس يجوز أن يطراً عليه شك بعد أن صار يقيناً... وإذا كان الأمر كذلك فليس يرد على قلب المتيقن أبداً شك ينزو منه فؤاده، بل هو مقرّ وادع، لا تحرك منه الشكوك بثة). ثم أجاب عن مسألة كون الشاك لا يزداد إلا شكاً وتردداً بأن قوى الهوى أغلب فينا من قوى العقل^(١).

وقد قرر عدد من أهل العلم أن الشك لا يزيد الإنسان إلا شكاً^(٢)، وأنه لا يؤدي لعلم، (بل حصول العلم في النفس قد يحصل حصولاً ضرورياً، مع توهمه أنه لم يحصل؛ لأن وجود الشيء في النفس شيء، والعلم بوجوده شيء آخر.. وهكذا عامة المؤمنين إذا حصل أدهم في سنن التمييز يحصل له من الأسباب التي توجب معرفته بالله ورسوله ما يحصل بها في نفسه علم ضروري ويقين قوي، والعلم الحاصل في النفس لا تنضب أسبابه)^(٣).

فالفطرة راسخة في نفس الإنسان فطر الله - تعالى - الناس عليها من معرفة وجود الله والإقرار بربوبيته والشعور بألوهيته، وليست مسبوقة بنظر ولا استدلال ولا شك.

فالأدلة الدالة على الحق مع تنوعها واختلافها ليس شيء منها يشترط في الاستدلال به انعدام الإيمان أو الاعتقاد السابق.

(١) الهوامل والشوامل ص ٢٨٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/٤٢٠).

(٣) تضمن من المصدر السابق (٧/٤٢٤).



٤ الواجب على الإنسان الجزم بالإيمان:

ومن لم يجزم به فليس بمؤمن كما سبق.

ولا فرق في حصول الجزم بالإيمان واليقين به أن يكون مبعث ذلك الفطرة السليمة، أو تقليد الآباء والمربين، أو التأمل في الكون والأشياء، أو النظر في القرآن الكريم وآياته، أو الاستدلال العقلي، إذ المهم هو حصول المقصود وهو الإيمان جازماً، وإن كانت درجات الإيمان تتفاوت بين الناس.

والشك وإن كان ضد الإيمان إلا أنه يستعمل عند الناس للدلالة على معنيين قد يختلطان في الذهن:

أولهما هو: الريبة وهو عدم اليقين المقتضي لكمال التصديق.. وهذا الشك هو المنافي للإيمان؛ لمنافاته لتصديق القلب المطلوب^(٤). وثانيهما هو: الوسوسة وهي ما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان، فإذا كرهه العبد ونفاه كانت كراهيته صريح الإيمان، والوسوسة لا يؤاخذ عليها الإنسان فهي ممّا رفع الله المؤاخذة عليها. قال ابن تيمية - رحمه الله - (لفظ الشك يراد به تارة ما ليس بيقين وإن كان هناك دلائل وشواهد عليه، حتى قد قيل في قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»، إنه جعل ما دون طمأنينة القلب التي طلبها إبراهيم شكاً، مع أن إبراهيم كان موقناً ليس عنده شك يقدح في يقينه، ولهذا لما قال له ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِم تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فخذ أربعةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] (٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠٨/١٤)، تفسير ابن كثير (٧/١).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/٢٣).



كل من سلك للمعرفة طريقاً غير صحيح فداخه التعب والظلال

وطرق المعرفة في الشريعة هي ما أقرها الشارع من الوحي بنوعيه: القرآن والسنة، والفطرة السليمة والعقل الصحيح، فمن أراد أن يسلك للمعرفة طريق الشك في اليقينيّات، أدخله ذلك في سخافة الآراء من السفسطة والحيرة، ولذا وصل ببعض الفلاسفة أن نفوا أن يكون للأشياء وجود موضوعي متحقق، وأنكر بعضهم حجية الاستدلال بالحواس الخمس، ولذا فإن من اطلع على مناقشاتهم وأدلّتهم ليعجب من ضياع أعمارهم فيما لا طائل من ورائه.

وهذا ما جعل طائفة منهم تعود فتوقن أن من الأمور مالا يدرك إلا بالإلهام الإلهي وطريق إعلام الله تعالى لنا بذلك. فيقول ديكارت: (إنّ فيّ مشاعر لا أبعثها في نفسي كلما شئت، بل إن هناك شيئاً يبعثها فيّ، وقد يُقال: إن الله هو الذي يبعث فينا إحساساً بوجود هذا الشيء...) (٤).

وكذلك الرازي بعد تتبعه لطرائق الفلاسفة، وحجج المتكلمين وكثرة مطالعته لها - وهو من القائلين بلزوم الشك كأول واجب على المكلف (٥). عاد فقال في وصيته: (لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن) (٦).

وقال أيضاً: (واعلم أنّي بعد التوغل في هذه المضائق، والتعمّق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق: رأيت الأصوب والأصلح في هذا الباب: طريقة القرآن العظيم، والفرقان الكريم) (٧).

اللهم إني أسألك أن ترزقنا تدبر كلامك، والعمل بما فيه، أحيينا على ذلك وأمتنا عليه.

ومن قرأ كلام أهل العلم المحققين في المراد من طلب إبراهيم عليه السلام وقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّطَمَئِنَ قَلْبِي﴾ علم أن المراد إما ورود الوسواس على قلب إبراهيم كما قال عطاء ابن أبي رباح، وإما طلبه لمرتبة أرفع في اليقين، فالإيمان واليقين ونحوهما من أعمال القلب قد تتفاوت.

قال ابن عطية: (الشك يبعُد على من ثبتت قدمه في الإيمان، فكيف بمرتبة النبوة والخلوّة، والحديث الذي ورد فيه: «ذلك محض الإيمان». إنما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت، أما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر وذلك منفي عن الخليل عليه السلام) (٨).

ولما جاء الحافظ ابن حجر - رحمه الله - لشرح قول النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» (٩).

قال: (اختلف السلف في المراد بالشك هنا، فحمله بعضهم على ظاهره، وقال: كان ذلك قبل النبوة، وحمله الطبري. على وسوسة الشيطان التي لم تستقر، ولم تزلزل الإيمان الثابت عنده، واستند في ذلك إلى ما أخرجه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: هذا لما عرض في الصدور ويوسوس به الشيطان.. ثم ذكر ما قيل في أسباب طلبه وذكر أسباباً استبعدها ثم قال: وقيل: أراد طمأنينة النفس بكثرة الأدلة، وقيل محبة المراجعة في السؤال، ثم اختلفوا في معنى قوله ﷺ: (نحن أحق بالشك) فقال بعضهم: معناه نحن أشد اشتياقاً إلى رؤية ذلك من إبراهيم، وقيل معناه: إذا لم نشك، نحن فإبراهيم أولى ألا يشك، أي: لو كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكانت أنا أحق به منهم، وقد علمتم أنني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك، وإنما قال ذلك تواضعاً، فقد قيل: إنه لما نزلت الآية قال بعض الناس: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال، وحكى بعض علماء العربية أن صيغة «أفعل» ربما تأتي لنفي المعنى عن الشكّين نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّدُ﴾ [الدخان: ٢٧]. أي لا خير في الفريقين، ونحو قول القائل: الشيطان خيرٌ من فلان: أي لا خير فيه) (١٠).

وإنما ذكرت ذلك لئلا يكون هذا النص محل إشكال فالواجب على الإنسان الجزم بالاعتقاد الصحيح والله الموفق.

(٤) بواسطة: المعرفة في الإسلام مصادرهما ومجالتهما. د. عبد الله القرني ص ٢٥٩.

(٥) مواقف ابن تيمية من الأشاعرة. د. عبد الرحمن محمود (٢/٦٧٠).

(٦) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/٩٠).

(٧) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ١٩٤.

(١) المحرر الوجيز ص ٢٣٩.

(٢) صحيح البخاري (٢٧٢٣).

(٣) فتح الباري (٦/٤٧٤).



من معالم

الانحراف الأصولي

مشاري الشثري

وبين هذه الثلاثة قدرٌ من التداخل، فمن الأول جعلُ الخلاف دليلاً على الإباحة، وعدُّ الإلهام والمنامات من أدلة الأحكام، ومن الثاني إسراف بعض أهل الرأي في استعمال دليل القياس، ومبالغة بعض المُحدِّثين في إعمال المقاصد حتى أفضى بهم الحال إلى إبطال جملة من الأحكام المنصوصة، ومن الثالث حسرُ النصِّ بمسلك التأويل، وإبطال القياس والإجماع.. ولدفع غائلة هذه المداخل عُني أهل العلم ببيان ما كان معتبراً من الأدلة، وأقاموا شروطَ إعمالها؛ ليستقيم بناء الحكم الشرعي عليها، كما أوضحوا مراتب الأدلة وخطوا سبيل النظر حال تعارضها، وفصلوا القول فيمن يسوغ له التكلم في دين الله، ورسموا حدود الاجتهاد وبينوا المشروع منه والممنوع.

ينبوع الانحراف الأصولي:

الجهلُّ بالأدلة المعتبرة ومراتبها - وأسئها: الكتاب والسنة والإجماع والقياس - ينبوع الانحراف الأصولي، فمهما قصر الناظر في دراية واحدٍ منها فقد اقتبس شعبة من الانحراف، واضطرَّه الحال إلى سوء استثمارها، أو اجترار ما ليس معتبراً، وفي المقابل فإن من استحوذ عليها أغناه ذلك عن غيرها، ووُقِيَ زلَّة النظر، فد (مَن) كان متبحراً في الأدلة الشرعية أمكنه أن يستدل على غالب الأحكام بالنصوص والأقيسة^(٢)، ولم يحتج معها

ثمّة إشارات مبكرة تستشرف وجود انحرافٍ في التعامل مع الملف الأصولي، من ذلك ما جاء في سنن أبي داود من حديث أبي رافع - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (لَا أَلْفِينٌ أَحَدُكُمْ مُتَّكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبِعْنَاهُ). هذا التوجيه النبوي المبكر يقضي بصيانة مصدرٍ من مصادر الاستدلال من أي محاولة تحجّر من وظيفته، وعلى ذلك - أعني صيانة مصادر الاستدلال - درج أهل العلم، فأقاموا علم (أصول الفقه) وجدّوا في إحكام فصوله ومسائله، وسأسعى هنا - بإيجاز - في تقييد بعض معالم الانحراف الأصولي.

علم أصول الفقه من أجلِّ علوم الشريعة، إذ به يتوصّل إلى معرفة أدلة الشريعة وكيفية استثمارها لكشف الأحكام الشرعية وتوليدها، ولولاه (لم يثبت من الشريعة قليل ولا كثير، فإن كل حكم شرعي لا بُدَّ له من سبب موضوع ودليل يدل عليه وعلى سببه، فإذا ألغينا أصول الفقه ألغينا الأدلة، فلا يبقى لنا حكمٌ ولا سبب، فإن إثبات الشرع بغير أدلته وقواعدها بمجرد الهوى خلاف الإجماع)^(١)، ومن هنا تبرز ضرورة صيانة هذا العلم من كل دخيل، فإنه بمنزلة المقدمات لبيان مراد الله ورسوله، وإذا فسدت المقدمات اعوجّت النتائج.. وللخلل إلى هذا العلم مداخل، من أخصّها:

- ١ إقامة أدلة محدثة لم يرد في الوحي ما يدل على اعتبارها.
- ٢ توظيف الأدلة المعتبرة توظيفاً فاسداً.
- ٣ تضيق العمل بالأدلة المعتبرة وإبطالها.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٩: ٢٨٩)

(١) نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي (١: ١٠٠).

تيمية - رحمه الله - : «فلا يوجد قط مسألة مجمع عليها إلا وفيها بيان من الرسول ﷺ، وقد استقرأنا موارد الإجماع فوجدناها كلها منصوصة»^(٢).

ثم إن عدم النص الدال على حكم عين المسألة نُظر في شمول مدلول النصوص للمسألة محل البحث، فإن لم يلح للفقيه هذا الشمول بحث لها عن حكم منصوص يضارعها في مناط الحكم حتى تمدَّ حبالها إليه، وذلك القياس، فالقياس إنما يستقيم تركيبه بعد انتفاء النص المعين، ولذا قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : «ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب»^(٣)، ثم هو مفتقر بعد ذلك إلى فهم مخارج كلام الشارع، وقابليته لاستخراج العلل من عدمه، ثم في إمكان تعديتها أو يُصار إلى قصرها على محلها^(٤).

فإن لم يك للمسألة أصلٌ تشاركه العلة الجزئية انتقل بها إلى إطار أوسع، وهو ما كان من المسائل مشاركاً لها في جنس المعنى، وذلك ما يدعونه بالمصلحة المرسله، فالمصالح معتبرة فيما لا يزاحم النص، إذ إنه ينطوي ضرورةً على المصلحة المعتبرة المقصودة، فإعمال النظر لتلمس حكم مبني على مصلحة ما؛ مع وجود النص ضربٌ من العبث، ولتقرير ذلك يقول الطوفي الحنبلي في نصٍّ عزيزٍ مخبوء: «ولا شك أننا وغيرنا من المذاهب وإن قلنا باعتبار المصالح والمناسبات لكنها مناسبات شهد لها الشرع ودلَّ عليها الدليل، فأما مجاوزة الحد في اعتبار المناسبات إلى أن يعتبر منها ما لا شاهد له أو لا دليل عليه بل قد يخالف النصوص، فليس ذلك من اعتبار المصالح»^(٥).

فإن تعدد قياس الجنس نُظر في المعاني الكلية المحصَّلة من مجموع نصوص الشريعة، فيسعى المجتهد في ردِّ تلك المسألة إلى أقرب معنى كليٍّ يطوِّقها، وتلك المعاني هي مقاصد الشريعة.. فإعمال المقاصد مقيّدٌ بشروط ثقال، من تخلف النص - جزئياً كان أو عاماً - وتعدر القياس على المنصوص، وقياس الجنس (المصلحة المرسله)، فتُدفع المسألة بعد انعدام هذه الأطر لتطوى في ظرفٍ مقاصد الشريعة، وكلما تأخرت مرتبة الدليل كان إعماله أكثر عُرضة للخطأ، ولذا قال ابن عاشور: «حقُّ العامي أن يتلقَّى الشريعة بدون معرفة المقصد؛ لأنه لا يُحسن ضبطه ولا تنزيهه، ثم يُتوسَّع للناس في تعريفهم

إلى تكلفٍ في الرأي أو استحداث أدلة لم يعتبرها الشارع.. وهذا المعنى طاف حوله الإمام الشافعي - رحمه الله - في صدر رسالته حين قال: (فليست تنزل بأحدٍ من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها)، وليس يعني - رحمه الله - دلالة النص القرآني على عين النازلة، ولكنه يشير إلى مركزية القرآن الكريم في تقرير الأحكام، وذلك أن المسألة تكتسب حكمها من كتاب الله بتصويبه على خصوصها، أو بإلحاقها بما كان منصوصاً، أو باندرجاها في مدلول نصٍّ عام، أو من خلال دليل آخر دلَّ الكتاب الحكيم على اعتباره.

والمراد أن العلم بدلائل الوحي يعصم من الزيغ، والجهل بها جسر موصل إلى سلسلة انحرافات يتفاوت خطرها بقدر بعدها عن رحاه، فكلما ابتعد المرء عن دائرة الوحي سارت به أهواؤه، ليبنى أحكامه على أنقاض النصوص، وهكذا ترى العلاقة بين الحق والباطل علاقةً مدافعة ومغالبة، وليس للحق الخالص قرأراً بجوار الباطل الخالص، فكما أن ضمور السنن قاضٍ بظهور البدع، فكذا الأدلة الصحيحة إذا انطمرت صالت الأدلة الفاسدة وراجت سوقها.. قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : (لو جاز تعطيل القياس جاز لأهل العقول من غير أهل العلم أن يقولوا فيما ليس فيه خبرٌ بما يحضرم من الاستحسان)^(١). والاستحسان - في اصطلاح الشافعي - من القول بالباطل، إذ هو تشريع من قائله، ولما قصرت طوائف من أهل السلوك عن درك بعض دلائل الوحي نزع أصحابها إلى الاعتماد على الأذواق والمواجيد والمنامات، ولما بعدت الشقة بين أهل الكلام والسنن المروية كان من سمت مقالاتهم الشطط عن نهج السابقين الأولين.

من النص إلى المقاصد:

وثمة إشكالية أخرى تتعلق بسوء التوظيف الدلالي، تتولَّد من إجراء الدليل المعتبر في غير سياقه - وفي ضمن ذلك إبطالاً لأدلة معتبرة أخرى - ولفقه ذلك يحسن التبييه على مقدمة ضرورية، وهي أن الدليل الشرعي إنما يؤتي ثمرته بإعماله في موقعه، وإلا كان أرضاً خصبه لأحكام باطلة، فدراية مراتب الأدلة من أجلِّ مقامات الناظر في مسائل الشريعة، وذلك لئلا تضطرب آراؤه ويضرب بعضها بعضاً، فالوحي من كتابٍ وسنةٍ أساس الأدلة، وبه تُعلم أحكام المسائل، والإجماع متكنٍّ على أحدهما فلا استقلال له، يقول شيخ الإسلام ابن

(٢) مجموع الفتاوى (١٩: ١٩٥-١٩٦).

(٣) الرسالة: ٥١٠.

(٤) انظر: الواضع في أصول الفقه لابن عقيل (١: ٤٩-٥٣).

(٥) درء القول القبيح بالتحسين والتقيح: ١٢٣.

(١) الرسالة: ٥٠٥.

أصول الفقه.. وآرب أخرى:

المسلك الأصولي مسلكٌ دقيقٌ يحتاج فقهُه إلى نظرٍ فاحص، وليس لأحدٍ من الناس أن يسعى في بناء الأحكام إلا بعد استيفاء الشروط المؤهلة للاجتهاد، ورأسها الاطلاع على الكتاب والسنة وتراث السلف؛ لتحقق الملكة المحصلة من الدربة والممارسة، وفي هذا من العنت ما حدا بطائفة من المفكرين المعاصرين إلى المناداة باستئناف العملية الأصولية، وعزز ذلك أن الوضع الأصولي لا يُسعف بتحقيق مآربهم.. فصار من المطلوب عند هؤلاء (إعادة بناء منهجية التفكير في الشريعة انطلاقاً من مقدمات جديدة ومقاصد معاصرة، وبعبارة أخرى: إن المطلوب اليوم هو تجديدٍ ينطلق لا من مجرد استئناف الاجتهاد في الفروع، بل من إعادة تأصيل الأصول، من إعادة بنائها)^(٣)، بل بلغ ببعضهم أن صار يتعامل مع النص كما لو كان صائلاً يتدرج في دفعه، فإن لم يستقم مراده إلا بإبطاله فليكن، وعليه (إذا قررنا مثلاً إلغاء الملكية الفردية لوسائل الإنتاج علينا تأويل الأحكام التي يناقض ظاهرها هذا الاختيار، وإذا استحال التأويل وجب تعطيل هذه الأحكام، وذلك لأن الاختيارات الكبرى هي التي تحدد طبيعة القوانين لا العكس)^(٤)؛ ولهذه النكسة الأصولية شواهد كثيرة في كتب العصرانيين، والشأن عندهم ليس في انضباط منهج البناء الأصولي بقدر ما هو تحقيق لمرادات النفوس، وقد تسرب ذلك إلى الداخل الإسلامي، فصرت ترى من يدعو إلى (اعتماد الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي، فالنصوص يجب أن تُفهم وتوَّول على ضوء المقاصد «العدل - التوحيد - الحرية - الإنسانية» ونصوص الحديث يُحكم على صحتها أو ضعفها لا بحسب منهج المحدثين في تحقيق الروايات، وإنما بحسب موافقتها أو مخالفتها للمقاصد)^(٥)، وحسبك من شرٍّ سمأه، وإن ترد المزيد من أمثال هذه الانحرافات فلن تخطئها عينك فسي حديثهم عن قضايا العقل والنقل، والظن واليقين، وفهم السلف، واعتبار المصالح والمقاصد، وتحكيم الواقع.. ومن مائها نبت إبطال حد الردة، وحُرِّفت أحكام أهل الذمة، وغُيِّبت شريعة الولاء والبراء، ووجدت المرأة طريقها إلى الولايات العامة، وجُعِلت الأهواء أمانة على حكم الله من بين الأقوال المنثورة.

(٣) وجهة نظر للجابري: ٥٩.

(٤) ظاهرة اليسار الإسلامي لحسن حنفي: ٢٦-٢٧.

(٥) من بحث ل. د. راشد الغنوشي بعنوان: (تحليل للعناصر المكونة للظاهرة الإسلامية بتونس).

المقاصد بمقدار ازدياد حظهم من العلوم الشرعية، لئلا يضعوا ما يُلَقَّنون من المقاصد في غير مواضعه فيعود بعكس المراد^(١).

هذه المقامات لا بدَّ من حذقها؛ لينضبط للفقهِه رُدُّ المسألة إلى الطرف اللائق بها، والمدلول يأخذ في الضعف بقدر بُعد المسألة عن دائرة الدليل الخاص، فكُلُّما انزاحت المسألة عن دليل الكتاب والسنة تراها تسعى في التشبث بأقرب دلالة تحكمها.. إذا تقرَّر هذا فمن أعظم الخلل تقديم الدليل الإلحافي (القياس - المصلحة - المقاصد) على الدليل النصِّي، وما دامت المسألة قد ظفرت بدليل خاص فلا مناص من لزومه، ولا بدَّ من ضمور العملية الاجتهادية بقدر ظهور دلالة نصوص الوحي على حكم أعيان المسائل، ومن هنا افتزع العلماء قاعدةً ضابطةً لذلك، وهي: (لا اجتهاد في مورد النص).. وهذا مفرَّعٌ عن حقيقة التسليم لحكم الله ورسوله، فما دام النص جاء بالبيان، فلا داعي لإطلاق العقل في ميدان الاجتهاد، إذ الغاية من الاجتهاد: الوصول إلى حكم الله ورسوله ﷺ، فإذا قد لاح الحكم قريباً فمن العبث إعمال المطي للوصول إليه!

وتبرز في هذا السياق إشكالية العلاقة بين الكليات والجزئيات وأيهما المقدم، وهي من أبرز الإشكاليات حضوراً في السجال الفكري المعاصر، ومصدر الخلل في التعاطي مع هذه القضية كامنٌ في عدم فهم طبيعة العلاقة بين الكلي والجزئي، فطائفة من المعاصرين ترى أن الكلي مقدم على الجزئي، وجعلت من ذلك مطيةً لإهدار شريحة عريضة من الجزئيات المنصوصة بحجة رعاية الكليات؛ وهذا من قلة الفقه في شريعة الله، فإن الكلي محصَّلٌ من الجزئيات المنصوصة، فهو يستمد قوته واعتباره منها، وبالتالي فخرَّم الجزئي خرمً للكلي بداهةً، (وبيان ذلك: أن تلقِّي العلم بالكلي إنما هو من عرَّض الجزئيات واستقرَّتها، وإلا فالكلي من حيث هو كليٌّ غيرٌ معلوم لنا قبل العلم بالجزئيات، ولأنه ليس بموجودٍ في الخارج، وإنما هو مضمَّنٌ في الجزئيات حسبما تقرَّر في المعقولات، فإذا: الوقوف مع الكلي مع الإعراض عن الجزئي وقوفٌ مع شيءٍ لم يتقرر العلم به بعدُ دون العلم بالجزئي، والجزئي هو مظهر العلم به، وأيضاً فإن الجزئي لم يوضع جزئياً إلا لكون الكلي فيه على التمام وبه قوامه، فالإعراض عن الجزئي من حيث هو جزئيٌ إعراض عن الكلي نفسه في الحقيقة، وذلك تناقض)^(٢).

(١) مقاصد الشريعة: ٥١.

(٢) الموافقات للشاطبي (٣: ١٧٤-١٧٥).

جديد ..

جديد ..

جديد ..

مقيقة الحولة المحدثية



محمد بن شاكر الشريف

معركة النص



تأيض، فهد بن صالح العجلان

صراع الحضارات

بين عولمة غربية وبعث إسلامي



أ. د. جعفر شيخ إدريس

جديد ..

جديد ..

جديد ..

تمولات الإسلاميين

من تهيب سبتمبر إلى ربيع الثورات



وليد بن عبداللّه البويرقي

سلامة الصدر وأثرها في حياة الدعاة



د. سليمان بن عبداللّه الحبيس
الأستاذ المساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

العرب السنة في العراق

تاريخهم - واقعهم - مستقبلهم



إعداد:
د. عبد الرحمن الرواشدي
أنس المنذلاوي
نعمان الجبوري
عثمان الأميمين

الرياض: هـ - هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥

جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨

المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦



«تفجيرات لندن 2012م»

بين الحقيقة والوهم

فيصل بن علي الكامي (*)

popedia@windowslive.com

مؤسسة روكفلر Rockefeller Foundation، اسم لامع في عالم «العولة الذكية» كما تسميها المؤسسة، ومن أثرى المنظمات غير الحكومية في العالم. تأسست عام ١٩١٣م على أيدي أجيال من عائلة روكفلر القبالية الصهيونية، ومقرها نيويورك.

HACK ATTACK

An economically unstable and shock-prone world in which governments weaken, criminals and dangerous innovations emerge

Devastating shocks like September 11, the Southeast Asian tsunami of 2004, and the 2010 Haiti earthquake had certainly primed the world for sudden disasters. But no one was prepared for a world in which large-scale catastrophes would occur with such breathtaking frequency. The years 2010 to 2020 were dubbed the "doom decade" for good reason: the 2012 Olympic bombing, which killed 13,000, was followed closely by an earthquake in Indonesia killing 40,000, a tsunami that almost wiped out Nicaragua, and the onset of the West China

effor
sour
gove
Most
lock
citiz
heal
serv
2014
only
Econ
Ban

ليس حديثي هنا عن مؤسسة روكفلر بل عن تقريرها الذي أصدرته بالتعاون مع «شبكة الأعمال العالمية» في شهر مايو عام ٢٠١٠م بعنوان «سيناريوهات مستقبل التقنية والتنمية الدولية». تقرير يتألف من ٥٤ صفحة، وهو جدير بالقراءة والتأمل. لكن الذي يعيننا منه هنا ما ورد في ص ٣٤ تحت عنوان (Hack Attack) أو «هجوم اختراقي». يقول التقرير:

(*) باحث سعودي متخصص في دراسة الأديان - يعمل في مركز الدراسات والبحوث التابع لجامعة البيان.

شهر يناير ٢٠١١م ويعرف اختصاراً باسم (OSSRA). من هذه السيناريوهات:

- «الهجمات الإرهابية»: وتشمل الهجمات التقليدية على الأماكن المزدحمة، أو نظام المواصلات، أو الهجمات غير التقليدية بأسلحة كيميائية أو بيولوجية أو إشعاعية.
 - الجرائم المنظمة.
 - التطرف الداخلي على أيدي نشطاء يسعون من خلال الحدث إلى تمرير أجندات معينة.
 - الاضطرابات الجماهيرية: كالمسيرات الحاشدة ونحوها.
 - هجوم إلكتروني على المواقع المرتبطة بالأولمبياد^(٣).
- وعلى الرغم من أهمية هذه السيناريوهات جميعاً إلا أن السيناريو الأول - أعني «الهجمات الإرهابية» - يبقى الأكثر احتمالاً عند كثير من المتابعين وهو الذي يحتفي به «العولميون» عادة لأن فرص الاستفادة منه أكبر بكثير من مجرد تظاهرة أو جريمة يمكن السيطرة عليها.
- إن الذي يعيننا من تقرير «مؤسسة روكفلر» وما يعضده من تقارير وأخبار وتحليلات أمورٌ منها:

أولاً: الأحوط لكل مسلم حصيف أن ينأى بنفسه عن مواطن الفتنة في دينه، فلا يأتي تلك الديار في أثناء «الثورة» الأولمبية إلا مضطراً.

ثانياً: إن صدقت هذه التقارير والأخبار ولم تكن إرجافاً عُلم من كان وراء «هجمات سبتمبر» التي كثر حولها لفظ كبير - وأحسب أنها من صنع أمريكا وحدها، وليس هذا موطن إيراد الأدلة - فقد تسربت حينها وثائق وإشارات شبيهة بما ذكرت أعلاه تحدثت أو ألمحت إلى هجمات «إرهابية»، ولم يُتفطن لتلك الإشارات إلا بعد التفجيرات بسنين.

ثالثاً: رداً على أحداث سبتمبر تحركت أمريكا على الصعيدين المحلي والدولي، فأما على الصعيد المحلي فضيقت على الحريات في أمريكا عموماً، واتهمت المسلمين بالإرهاب إلا «المعتدلين» منهم بناء على فتاوى مجلس «الشيوخ». أما على الصعيد الدولي فأعلنت أمريكا الرومية «حملتها الصليبية» ضد المسلمين في العراق وأفغانستان على يد قائدها «جورج و. بوش»، الابن مُدبّ المسلمون في محاكم التفتيش في «أبو غريب» وغيره، ولا تزال الحرب على الإسلام باسم «الإرهاب» قائمة. فهل يمكن أن تتحول بريطانيا إلى حال مماثلة؟

«إن الصدمات المدمرة كالحادي عشر من سبتمبر، وتسونامي ٢٠٠٤م في جنوب شرق آسيا، وزلزال هايتي ٢٠١٠م، قد هيأت العالم فعلاً للنكبات المفاجئة. لكنّ أحداً لم يكن متهيئاً لعالم تتوالى فيه القوارع العظام بهذه السرعة المثيرة. لقد أُطلق على الأعوام ٢٠١٠م إلى ٢٠٢٠م اسم «عقد الهلاك» لأسباب وجيهة: تفجيرات أولمبياد ٢٠١٢م التي ذهب ضحيتها ١٣ ألفاً، أعقبها زلزال في إندونيسيا أودى بحياة ٤٠ ألفاً، وتسونامي كاد أن يمحو نيكاراغوا، ونشوء مجاعة الصين الغربية من جراء جفاف يحدث مرة في كل ألف سنة، مرتبط بالتحول المناخي»^(١).

هل لفت ناظريك ما لفت ناظري؟ كلا إنها ليست خطأ مطبعياً، إنه تقرير أعد منذ عامين من قبل مؤسسة روكفلر في محاولة من قبل بعض العولميين لاستشراف المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله - عز وجل - في ذلك السياق يتحدث التقرير بصيغة الماضي عن «تفجيرات أولمبياد ٢٠١٢م التي ذهب ضحيتها ١٣ ألفاً».

ولكن هل هذا يعني أننا نمسك بخيط مؤامرة جديدة من قبل تنظيمات نخبوية للزجّ بالعالم في أتون فتنة عظيمة شبيهة بما حدث في نيويورك قبل عشرة أعوام؟ هذا ما ألمحت إليه صحيفة الـ «ديلي تلجراف» البريطانية في نسختها الإلكترونية تحت مقالٍ نشر في الأول من مايو من العام الجاري بعنوان «صواريخ الدفاع عن الأولمبياد لا تعمل في الأجواء السيئة».

يشير الخبر إلى حالة الاستنفار التي تعيشها الحكومة البريطانية تحسباً لأي اعتداء على أراضيها في أثناء دورة الألعاب الأولمبية، كما يصرّح باحتمال الاستعانة بنظام (Sta - streak and Rapier) الصاروخي إذا استدعى الأمر «إسقاط أي طائرة تحلق على ارتفاعات منخفضة وتعزّم القيام بعملية انتحارية على غرار هجمات الحادي عشر من سبتمبر في أحد مُدرجات الألعاب الأولمبية»^(٢).

نحن إذاً أمام سيناريو «إرهابي»، وهو الأول في سيناريوهات عدة يستعرضها تقرير وزارة الداخلية البريطانية الذي نشر في

(1) <http://www.rockefellerfoundation.org/uploads/files/bba493f7-cc97-4da3-add6-3deb007cc719.pdf>

(2) <http://www.telegraph.co.uk/sport/olympics/news/9236915/Olympic-defence-missiles-dont-work-in-bad-weather.html>

(3) <http://www.homeoffice.gov.uk/publications/counter-terrorism/olympics/ossra-summary?view=Binary>

من تحت خوذة الشرطي البريطاني بنفس الدور؟ إن الارتباط واضح لا يفتقر إلى تعليق.



مثل هذه التقارير والنتف الإخبارية المهمة التي تسريها الصحف تجعل المرء يتساءل - في حال حدوث تفجيرات - عن مدى ارتباط وسائل الإعلام الغربية بالمشروع العولمي الذي تعدُّ عائلة روكفلر الصهيونية من أقطابه. يجيب عن هذا التساؤل تصريح آخر لـ «ديفيد روكفلر» عام ١٩٩١م جاء فيه: «نحن ممتنون لـ «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» و«تايم ماجازين» و«صحف أخرى حضر مديروها اجتماعاتنا ووقَّفا بوعود الكتمان لأربعين عاماً تقريباً. لقد كان من المحال أن نطوّر خطتنا للعالم لو أننا تعرضنا للأضواء الإعلامية خلال تلك الأعوام. لكن العالم الآن أكثر وعياً واستعداداً ليسيير باتجاه حكومة عالمية»^(٣).

أخيراً فالقصد من هذا المقال تحذير أهل الإسلام مما قد يؤول إليه الحال في بريطانيا، وهو أمر محتمل لا يجروء بشراً على الجزم به، ولا أقصد من ذكره التهويل والإرجاف، ولكن لتلاً يُصدق أهل الإسلام هذه المرة - إذا ما حلت قارعة - أنهم هم من قام بها أو دعمها، فالؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. وإن من المؤسف حقاً أن تجد من أحرار الغربيين من ينفي عن المسلمين تهمة تفجيرات برج التجارة في نيويورك، ثم يصرُّ بعض المسلمين على أنها من بطولاتهم!

(3) Mark Rich. Hidden Evil (Morrisville, NC: Lulu Enterprise, Inc., 2008), p. 49.

يجدر بنا أن نستعيد إلى الأذهان مقالة «ديفيد روكفلر» العولمي الباطني عندما قال في خطاب ألقاه أمام مجلس العمل التابع للأمم المتحدة عام ١٩٩٤م: «نحن على مشارف تحول عالمي. كلُّ ما نحتاجه هو الأزمة الكبرى المناسبة، فتقبلُ الأمم النظام العالمي الجديد»^(١) فالأزمات هي التي تولد لدى الضحية استعداداً نفسياً لقبول سيطر الجلاذ دون مقاومة. ويمكننا أن نشتمَّ هذا الواقع في مقال صحيفة الـ «جارديان» الذي يؤكد أن لندن في عام ٢٠١٢م «ستشهد أكبر تعبئة لقوات الشرطة والأمن البريطانية منذ الحرب العالمية الثانية، وأن آثار ذلك ستبقى طويلاً بعد مغادرة الرياضيين المشاركين». وهو يذكرنا بحديث «بوش» عن «الحرب الطويلة على الإرهاب». كما أن ألفاً من عملاء الاستخبارات الأمريكية سيشاركون في الرقابة. أي أن بريطانيا قد تتحول إلى حكومة فاشية تحاكم أهلها بتهمة وبغير تهمة، كما أصبح الحال في الولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر. وهذا بدوره يصيب الكثيرين بالهلع فيفرض عليهم الخنوع للنظام الاستبدادي العالمي الذي يستفيد من الأزمات الطبيعية والمفتعلة لتمير أجنذاته كما في إقرار «ديفيد روكفلر» أعلاه.

بقي أن أشير إلى ما قد يعدهُ بعضهم من قبيل هوس «المؤامراتيين» وهو الرمزية الباطنية الغربية التي يوظفها القائمون على هذه المناسبة. من ذلك شعار الأولبياد الذي يصور العدد ٢٠١٢م أشبه ما يكون بالكلمة الإنجليزية (ZION) أي «صهيون». كما أن الـ «ماسكوت» أو الشخصية الرمزية التي اختيرت للأولبياد تظهر بصورة دمية ذات عين واحدة، وهي تمثيل للعين التي تبصر الكل (All-Seeing Eye)، أو «عين حورس» إله المصريين الذي يمجده الباطنيون من الساسة الغربيين كما فصلته في غير هذا الموضع. وهذا ليس من قبيل المبالغة في قراءة الرموز، فصحيفة الـ «جارديان» علّقت على توظيف هذه الشخصية الرمزية الغربية قائلة:

«في صورة مخيفة مقلقة تذكرنا عينه الواحدة التي تبصر الكل وتُطل من تحت خوذة الشرطي بعين الربّ [حورس] التي تبصر الكل وتصور عادة متسنمةً لوحات عصر التنوير. في هذه اللوحات قامت عين الرب بدور الرقابة الكلية على رعاياه المتمردين هناك على الأرض»^(٢) فهل ستقوم العين التي تطل

(1) Jim Hunt. They Said What?: Astonishing Quotes on American Democracy, Power, and Dissent (Sausalito, CA: PoliPointPress, LLC., 2009), p. 40.

(2) <http://www.guardian.co.uk/sport/2012/mar/12/london-olympics-security-lockdown-london>

أذكار

أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَلَةِ

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والتناجح التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).



في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعاذات
تفريغ الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء

للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان
دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال: ٥٠٦٤٦١٠٦٥
المنطقة الغربية: ٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية: ٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم: ٥٠٢٢٢٠٦١٦
الشرقية: ٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة: ٥٠٧٢٦٦١٢٠



وقفات مع حديث

«أحصوا لي كم يلفظ الإسلام»

أولاً: إن الحق لا يعرف بكثرة أتباعه:

فهؤلاء الستمئة أو السبعمئة^(١) إذا ما قارنت عددهم بعدد الكفار في الجزيرة، فضلاً عن بقية الكفار في العالم لوجدت البيون شاسعاً!
وفي هذا درسٌ - أيضاً - في عدم الاغترار بالكثرة، وخاصةً في أزمنة الفتن، واختلاط الحابل بالنابل، وتبدُّل المفاهيم عند كثير من الناس.
والموفق من يطلب الأقوى والأصح منهجاً وقولاً وعملاً، ولا يكون ذلك إلا باقتفاء منهج سلف الأمة في الاعتقاد والسلوك! ومما يتصل بهذا الدرس، أن الإعجاب بالكثرة لذاتها قد يعاقب عليه الإنسان، كما استتبط ذلك بعض العلماء^(٢).

ثانياً: إن حال الرخاء والقوة لا تدوم:

فهذا حذيفة - رضي الله عنه - الذي مات في أول خلافة علي - رضي الله عنه -، أي: سنة ٣٦ هـ - يقول: فابتلينا، حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً! وكأنه يشير بذلك إلى الفتنة المحزنة الخبيثة التي تبناها البغاة على أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه -^(٤)!

(٢) وقع اختلاف في الروايات في التحديد، وليس هذا موضع تحرير ذلك، لأن هذا ليس مقصوداً هنا، بل المقصود هنا: بيان قلتهم، ولتوجيه هذا الاختلاف بنظر: شرح النووي على مسلم (١٧٩ / ٢). فتح الباري لابن حجر (١٧٨ / ٦).
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٢١ / ٥).
(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٧٨ / ٦).

د. عمر المقبل^(*)

إن في أحاديث النبي ﷺ، وسيرته الشريفة من المواقف المليئة بالدروس والعبير، التي تتجدد وكأنما هي غضة طرية من في رسول الله ﷺ؛ مما يوجب على محبي هذا النبي الكريم أن يبذلوا جهدهم في استتباط تلك الدروس، وبيبينوا ما انطوت عليه من عبر، وتقديمها لعموم الأمة: ليقتبسوا من نورها، ويهتدوا بهديها.

ومن تلك المواقف: ما رواه الشيخان عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فقال: «أحصوا لي كم يلفظ الإسلام؟»، قال: فقلنا: يا رسول الله! أتخاف علينا ونحن ما بين الستمئة إلى السبعمئة؟ قال: «إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا»، قال: فابتلينا، حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً^(١).

إن هذا الحديث مع كونه قليل الكلمات، ويحكي قصة قصيرة، إلا أن له دلالات إيمانية وفقهية وتربوية، أقف معها باختصار:

(*) أستاذ الحديث المشارك في كلية الشريعة بجامعة القصيم.
(١) البخاري (٢٠٦٠)، مسلم (٢٣٥).

وحذيفة - رضي الله عنه - يقول هذا وهو لم يدرك زمن الحجاج، الذي أهان من أهان من صحابة حصلت منه مواقف لا تليق بأصحاب رسول الله ﷺ!

ويقول هذا، على الرغم من أنه كان أحد الذين أوردوا على النبي ﷺ السؤال - حينما طالبهم بعد المسلمين: أتخشى علينا ونحن ما بين الستمئة إلى السبعمئة؟

وهذا درسٌ عظيم في اغتنام أوقات الأمن، والصحة والفرغ للقيام بكل ما يمكن من صالح الأعمال الخاصة والمتعدية، فإن الإنسان لا يدري ما الذي يستقبله من أمور.

وفيه درسٌ للمؤمن ولمن تحت يده ممن تولى تربيتهم: في الاستعداد للمتغيرات التي لا يملك الإنسان أمامها خياراً، ولا يملك أمامها إلا الصبر، والسعي في إصلاح ما يمكن إصلاحه، أو يأتيه أمر الله وهو ثابت على ما يحب الله ويرضاه، ومن أعظم الزاد لهذه الأحوال: التربية الجادة وقت الرخاء.

ولهذا كان النبي ﷺ يهتبل الفرص، ويفتتم المناسبات؛ لتربية أصحابه على المتغيرات التي ستواجههم؛ ليكون تلقيها أيسر من مفاجأتها، ولعل من أشهر تلك المواقف خطبته الشهيرة التي خاطب فيها الأنصار - رضي الله عنهم - بعد غزوة حنين، حين وجد بعض الأنصار في نفوسهم من عدم إعطائهم من الغنائم - فقال لهم: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» متفق عليه^(١).

ومما هياهم له النبي ﷺ: أن الدنيا ستفتح عليهم، وحذرهم من الافتتان بالدنيا، وخصَّ بعضهم ممن يتوقع أن يجد شدة أكثر من غيره كما سبق في خطابه للأنصار - رضي الله عنهم -

إن الحالة التي يعيشها شبابنا اليوم عامة، من الانغماس الشديد في الترف، والانهماك في توافه الأمور، وسفاسفها لا تبشر بخير، وآثار الترف على الأمة في تاريخها وحاضرها لا يخفى، وإن لم تكن هناك وقفات جادة في التربية - بدءاً من المنزل ومروراً بالمسجد والمدرسة - فقد تخرج أجيال يحتاج المربون معها إلى جهود مضاعفة في إزالة هذه الآثار السيئة.

ومن قرأ في تاريخ الأندلس فسيدرك هذه الحقيقة، وأن انغماس الأمة في الترف كان من أسباب سقوط الدول، والتاريخ شاهد لا يكذب.

أما من قرأ القرآن فإنه سيجد أن الترف لم يذكر في القرآن إلا مذموماً في ثمانية مواضع، بل هو بوابة مشرعة

(١) البخاري (٤٢٣٠)، مسلم (١٠٦١) والمتبع للفاظ الحديث في الصحيحين يجد أن النبي ﷺ قال ذلك في أكثر من مناسبة.

إلى النار، فهل يعي المربون والمصلحون هذا المعنى؟ وهل يعي الشباب هذه الحقيقة؟

حقيقة أن السرف من دواعي الترف وأن الترف من أسباب التلف.

وفي الوقت ذاته، ففي الحديث إشارة إلى اغتنام حالة النشاط والفرصة المواتية قبل تغير الحال في نفسك أو في الظروف التي حولك.

كم من شاب وشيخ كبير في السن سوّف في التوبة وسوّف وسوف حتى فاجأه الموت وهو لم يصنع شيئاً!

كم من شاب قال: سأطلب العلم.. سأحفظ.. سأفعل وأفعل، ومضى الوقت ولم يصنع شيئاً!

وكم من شاب من أصحاب الطموحات الجيدة ضاعت عليهم الأوقات بالأمان الكاذبة!

وما أجمل أن نجعل حديث اغتنام الفرص نصب أعيننا: «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، و فراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»^(٢).

ثالثاً: مشروعية الإحصاء:

فقد بوّب البخاري على هذا الحديث بقوله - في كتاب الجهاد - «باب كتابة الإمام الناس»^(٣) فيه أصل شرعي للإحصاء، الذي يترتب عليه أمور كثيرة في التخطيط، كما هو معلوم في موضعه، وتزداد الحاجة له، كلما قوي أثر الجهة التي يطبق عليها الإحصاء، كما في الجهات العسكرية، والتعليمية والصحية.

وهذا وإن كان من أمور العادات التي أصلها الحل، ولا تفتقر لنص خاص، إلا أن وجود أمثال هذه الأحاديث تجعل المؤمن يزداد يقيناً بشمولية هذا الدين.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الفقه في دينه، والبصيرة فيه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٢) يروى من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -، لكنه خطأ، كما نبه على ذلك البيهقي في «الشعب»، وأن الصواب في حديث ابن عباس: «نعمتان مغيون...» والمعروف في إسناد هذا الحديث كونه من رواية عمرو بن ميثون الأودي، عن النبي ﷺ، وعمرو بن ميثون تابعي، فالحديث مرسل.

(٣) صحيح البخاري (٧٢ / ٤) ك: الجهاد، باب كتابة الإمام الناس.



المؤشرات: قوة وضبط

عاصم محمد حسن

وقد ظهرت في فترات متباعدة أهمية أن تكون الأهداف محدّدة ومقيسة، ونظّم أصحاب هذا الفنّ اختصارات تدلّ على أهمية القياس^(٢). وجُلّهم يتفق على أنه عند غياب المنظومة القياسية التي تستند إليها المؤسسة في وصف أهدافها؛ ينشأ -بالتزامن- قلقٌ حيال النتائج.

إلى جوار الاحتياج إلى القياس كمعيار على جودة العمل وإحكامه، فإن حاجةً إلى التقييم الصادق للعاملين وأعمالهم تبرز كذلك، إذ سيظل حاضراً أمامهم دوماً ما يدلّهم على تقدمهم أو تأخرهم^(٣)، وحاجة أخرى تتعلق بتصديق ما تدعيه المؤسسة من نجاح في عملها أو قصور، ولا شك أن حسماً للادعاء سيفتقر إلى برهان ناجز يوفره ما يُقرأ من نتائج للمؤشر.

(٢) مثل SMART: للإشارة إلى أن يكون الهدف: محدداً - قابلاً للقياس - قابلاً للتحقيق - معقولاً - محدداً بزمان.

(٣) خاصة إن عمدت المؤسسة إلى تصميم نظام لوحات قياس الأداء Dashboards وهي قارئات إلكترونية ترتبط بها المؤشرات من خلال نظام حاسوبي وتعطي قراءات مستمرة، ويشيع منها ما هو متدرج بالوان ثلاثة أحمر وأصفر وأخضر للتدليل على خطورة الموقف أو استقراره، بطريقة أشبه ما تكون بقارئات الوقود والسرعة والحرارة في لوحة السيارة.

تشيع عند المشتغلين بالتخطيط عبارة: "ما لا يمكن قياسه، لا يمكن إدارته" عند ذكرهم للأهداف، وهي عبارة صائبة إلى حدّ كبير، ذلك أن للأهداف أبعاداً واسعة، يصعب الإحاطة بها كلها، ولا تتمكن جهة ما من إدارتها ما لم تُحطها بإشارات تبين غاية المراد منها. إن أهدافاً -على سبيل المثال- كتميز ثقافة الإنفاق، أو القضاء على الفقر، أو نشر الفضيلة، تظل مفتوحة الجوانب إلا أن تحدّد بدلائل تشير إلى مستوى راضٍ يوصل في فضاء السفر القاصد إليها، وعلامات الطريق^(١) هذه هي المؤشرات التي أعني. قال - جلّ من قائلٍ سبحانه -: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

إن التخطيط في ختام الأمر إنما هو سلوك طرق مثلى للانتقال من وضع معيّن إلى وضع مرغوب، إجابةً عن السؤال المشهور الجامع لأطراف التخطيط كلها: أين نحن الآن؟ وماذا نريد؟ وكيف نصل إلى ما نريد؟ ورحلة الإجابة عن تلك الأسئلة تتطلب علامات طريق، ومنهجية واضحة للقياس.

(١) يشار أحياناً إلى المؤشرات بمصطلح: Milestones، أو علامات الطريق (حرفياً: أحجار الطريق)، وهي تلك العلامات التي يجدها المسافر على جنبات الطريق تحدد كم من الكيلومترات أو الأميال تبقى من أقرب حاضرة إليه.

المعايير:

والمعايير هي النماذج العلية التي تقاس عليها الأشياء، فيحكم على جودتها قريباً أو بعداً منها^(٢)، وإن الحاجة إلى المعيار الذي تُحَاكَمُ إليه جودة الأشياء أمر ركيز في الفطرة البشرية؛ التي تتحو دوماً إلى تأكيد تفوقها، وتربيتها في هذا الاتجاه لا تصادم ما فطر البارئ - سبحانه - عليه الناس، غير أنها تهذب وتوجهه إلى ما ينبغي أن يكون، ولعل الأمر بالتأسي بالنبي ﷺ في الدقيق والجليل من الشأن، يدلك على عمق هذا المفهوم في ثقافة المسلم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وأمره ﷺ الناس بالصلاة على طريقته: (صلوا كما رأيتموني أصلي)^(٤)، وبالنسك على نهجه: (خذوا عني مناسككم)^(٥)، دال على ذلك.

وتظهر أهمية المؤشرات في عالم اليوم في مجالات الدراسات الاجتماعية، التي تحاول إدراك ظواهر بعينها تشير إلى اتجاهات محدّدة من خلال إحصاءات تعدّ وأرقام تُقرأ، ويُستتبط المؤشر من هذه الإحصاءات، كأن يُقسم عدد أحداثٍ مخصوصةٍ على مجموع الأحداث من ذات النوع؛ لتنتج نسبة الحدث إلى مجموعه، فيكون الناتج (قلة أو كثرة) مؤشراً على حالة ما، وتُصدر المؤسسات اليوم كمّاً هائلاً من المؤشرات الرئيسية والفرعية، من منظور ثقافتها. وسيظلّ المؤشر يفتقر إلى الصدقيّة دوماً، بمعنى هل يدلّ هذا المؤشر فعلاً على الاتجاه المقصود أم لا؟

يعرض القرآن كثيراً أنماطاً من اختلال المعايير لدى أهل الضلال عندما يقيسون اتجاهات معيّنة بمؤشرات لا تدلّ عليها، ومن ذلك - على سبيل المثال -:

١ - اعتراض الملائ من بني إسرائيل من بعد موسى على تولية طالوت عليهم ملكاً بافتراض مؤشر ضروري في نظرهم للملك: سعة المال! ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

(٢) يراجع للاستزادة: ابن فارس، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص: ١٩١

(٤) رواه البخاري

(٥) رواه أحمد ومسلم والنسائي.

ماهية المؤشرات:

بعد هذا يمكن القول: إن المؤشرات هي مجموعة من الدلالات التي تظهر عند حدوث شيء معين أو عند وجوده، كالأثر الذي يدلّ على المسير، والظلّ الذي يدلّ على وجود جسم ما، أو تغيب عند وجوده أو غيابه، وهنالك مفاهيم تدور في فلك واحد مع المؤشرات مثل:

الآثار:

والآثار دلالات على وجود الشيء أو عدمه^(١)، وتقفي الآثار من طرق الإثبات كما قال الناظم - وهو يدلّ على أهميته في الإيمان -:

وطرق المعرفة الكبار

عياناً أو مثالاً أو آثاراً

فالأولُ منعه الجبارُ

إذ قال: (لا تدركه الأبصارُ)

والثاني أيضاً منعه بالنقل

إذ ليس له سبحانه من مثل

لم يبق بعد ذا سوى آثار

قدرته في العالم السيار^(٢)

وأجلّ من ذلك وأجلى، قوله - جلّ وعلا -: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله سبحانه: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

(١) يراجع للاستزادة: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل - بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، الجزء الأول، باب الهمة، ص: ٥٤

(٢) جزء من نصّ مفرغٍ لمحاضرة بعنوان: «معرفة الله» للعلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي والنظم لمحمد الغالو المتألي:

<http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=152689>

كيف نصمم المؤشرات؟

إن مجموعة القياسات التي تدلّ على حالة ما، تسمى "بالمنظومة القياسية"، فدرجة الحرارة ومستوى ضغط الدم، وعدد النبضات في الدقيقة، يمكن أن تكون منظومة قياسية لهدف التأكد من توافر الصحة الأولية للشخص، ومع تطوّر العلوم، صار هناك الكثير من المنظومات القياسية الجاهزة، وما ظهور الأجهزة الطبية سهلة الاستخدام إلا أمثلة على ما أعنيه هنا.

ولا يكفي مؤشراً واحداً في الغالب- للقياس، فمؤشر درجة حرارة الجسم لا يكفي وحده لتأكيد وجود الملاريا مثلاً، ما لم تضاف إليه مجموعة أخرى من المؤشرات، كفقدان الشهية، أو ظهور جراثمة الملاريا في الدم، بل يعدّ الاعتماد على مؤشر واحد مضللاً في كثير من الأحيان.

ويكمن التحدي في أنّ من يضع هدفاً ما، سيكون مسؤولاً عن وضع مؤشرات تدلّه على التقدّم تجاهه، أي سيحتاج إلى تصميم حزم خاصّة، تفسّر الهدف وتشير إلى درجة تحقّقه. لنبدأ من عل: سيظلّ من المعقول أن يكون للمؤسسة أهدافاً عامّة تتلّو من رؤية، تنتج هذه الأهداف من تساؤل منطقيّ: ما الذي يحقق هذه الرؤية؟

مثلاً: مؤسسة خيريّة ما، تعمل في مجال التنمية الاجتماعية، رؤيتها: "بحلول العام ١٤٥٠ هـ- إن شاء الله- منطقتنا خالية من الفقر"

يُشرع مهنيّاً أن يتساءل المُخطّطون: ما المسائل الضرورية التي بتحقيقها تتحقّق هذه الرؤية، ألا وهي القضاء على الفقر في المنطقة في تلك الفترة المحددة؟ يتوقّع أن تكون من نتائج عصفها الذهني لمسببات الفقر في تلك المنطقة ما يلي:

٢ - تكذيب المشركين لرسول الله تعالى وأنبياؤه لمؤشرات افترضوها هم لتصديق النبيّ تشمل:

أ - مؤشّر بشرية النبيّ ابتداءً: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا خَاسَرْتُمْ ﴿ المؤمنون : ٣٣ - ٣٤ ﴾ .

ب - مؤشّر القوّة والمكنة السابقة للنبيّ من رياسة أو زعامة: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ ﴿ الزخرف : ٣٠ - ٣١ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴿ هود : ٩١ ﴾ .

ت - مؤشّر الموافقة: ﴿ وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ يونس : ١٥ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿ الإسراء : ٧٣ ﴾ .

ث - مؤشّر المكانة الاجتماعية للأتباع: ﴿ قَوْمٌ فَرَعُونَ إِلَّا يَتَّقُونَ ﴿ الشعراء : ١١ ﴾، ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بُادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَنظُّكُمْ كَذِبِينَ ﴿ هود : ٢٧ ﴾ .

واليوم يجد المتأمل في الهجوم (العولميّ) فَرَضَ مؤشرات عديدة للحكم الصالح، أو مؤشرات للتنمية، وغيرها، منها ما يرضاه المسلم، وأكثرها يصادم عقيدته، ولكن التيار الجارف للقوة الناعمة التي يعول عليها الغرب في مرحلة صراعه القادم تجعل كثيراً من الدول - فضلاً عن المؤسسات - تذعن صاغرة إلى تلك المؤشرات^(١)، بل ويحتفي بعضهم بإنجاز تقدّم ملموس فيها، على الرغم من التهاوي الظاهر لمؤشراتهم من خلال الحراك - الذي لم يتصوره الغرب - في العالم الإسلاميّ اليوم، الأمر الذي يجعلهم يعيدون حساباتهم حول ما زعموا قطعيته من قبل^(٢). إنه ليقع على علمائنا ومتقفيها اليوم واجب جمّ في محاولات استخلاص مؤشرات من شرعنا الحكيم، تدلّ قطعاً على مراداتها، وينتفي عنها زيغ أهل الإبطال والتحريف، وتكسب صدقيتها وثباتها من صدقية مصدرها وثباته.

(١) انظر كتاب: القوة الناعمة، وسيلة النجاح في السياسة الدولية. جوزيف س. ناي، ترجمة محمد توفيق الجبيري، العبيكان للنشر، الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٧م، ص: ٩٢ وما بعدها.

(٢) من ذلك على سبيل المثال قطعهم بأن مؤشّر الديمقراطية ضروري لحدوث التنمية وقد اثبت الواقع اليوم عدم ضرورة ذلك، بل وانقلاب ذلك رأساً على عقب فقد ذكر جاك أتالي وهو من أبرز المختصين في شؤون التنمية، معلقاً على ما حدث في تونس: (إن الانخراط في نظام السوق، كما فعلت تونس، يخلق الإمكان لولادة الديموقراطية)! انظر كتاب: ثورات القوة الناعمة في العالم العربي: نحو تفكيك الأصوليات والديكتاتوريات، علي حرب، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص: ٣٢-٣٣.

١ - نسبة العاطلين عن العمل من مجموع الخريجين: بافتراض

أن التعليم الجيد يحدث كفاءة في الخريج، وبالتالي تتوفر له وظيفة.

٢ - مقارنة المناهج التعليمية مع مناطق أخرى متقدمة:

بافتراض أن التعليم الجيد يقوم على منهج جيد، ولا سبيل لمعرفة جودة منهج ما في إطار التقدّم في معالجة الفقر، ما لم نقرانه بالمعايير المعتمدة لجودة المناهج في الدول التي أحدثت رفاهية منضبطة لشعبها، وهو ما يسمى أحياناً في أدبيات التخطيط بالمقارنة المعيارية Benchmarking.

٣ - درجة توفّر البنى الأساسية للتعليم: عدد المعامل - عدد

المراجع المهمة لكل قسم وكلية وجامعة ومدرسة - نسبة توفّر الكتاب المدرسي لكل طالب، بافتراض أنها أساسيات حاسمة لتعليم جيد.

وستحتاج المؤسسة إلى قياس وضع المستهدفين الحالي تجاه كل مؤشر من التي وضعتها، ومن ثمّ تحديد الوضع الذي ترغب في الوصول إليه: فعندما تنتدب المؤسسة فريقاً بحثياً لمعرفة نسبة العاطلين عن العمل من الخريجين في تلك المنطقة، تجد أن نسبتهم -على سبيل المثال-: ٤٠٪ من مجمل الخريجين. وهو ما يسمى بالوضع الحالي للمؤشر. وتستهدف المؤسسة - بحسب تحليلها لإمكاناتها- أن تقلل النسبة إلى النصف خلال فترة الرؤية أي تصير نسبة العاطلين في مجتمع تلك المنطقة ٢٠٪، وهو ما يسمى بالوضع المستهدف، عندها يبرز سؤال مهم جداً، وهو: كيف ستسهم المؤسسة في تقليل نسبة العاطلين عن العمل إلى النصف خلال خمس سنوات؟

في هذه المرحلة تأتي أهمية طرح برامج ومشروعات تقلل نسبة العاطلين من ٤٠٪ إلى ٢٠٪، ولعلها تقترح مثلاً:

١ برنامج المشروعات الصغيرة للخريجين.

٢ مشروع التدريب الاحترافي والفني للخريجين.

٣ تصميم قاعدة بيانات عن الخريجين وإمكاناتهم العلمية

والمعرفية والفنية ونشرها في الصحف المجانية.

١ ضعف التدين وانتشار الربا والفواحش.

٢ انخفاض معدّل التعليم (الجهل).

٣ انهيار الوضع الصحي.

٤ سوء سياسة إدارة الموارد.

ومن معالجاتها المعقولة التي يمكن طرحها:

١ رفع مستوى التدين.

٢ تعزيز التعليم.

٣ تهيئة وضع صحي ملائم.

٤ إدارة رشيدة للموارد.

تصير هذه المعالجات الأربع بمنزلة الأهداف العامة لهذه المؤسسة، ويصطلح عليها في عرف التخطيط: الأهداف الإستراتيجية، أو الغايات.

ثم يجب على المخططين أن يتعمقوا في كل هدف إستراتيجي ليحدّدوا بالضبط ما المطلوب ليتحقق، مثلاً:

ليتحقق الهدف الثاني: (تعزيز التعليم)، فإن علينا

التفكير في التالي:

أ - تعميم التعليم الأساسي لثمانين في المئة (٨٠٪)

على الأقل من غير المتعلمين بحلول العام ١٤٤٠هـ.

ب - وضع مؤسسات التعليم العام والعالي على

أسس الجودة الحديثة المعتمدة في التعليم.

هذان الأمران المقترخان لتحقيق (تعزيز التعليم)

يسمّيان في أدبيات التخطيط بالأهداف الفرعية،

أو المرئية، أو التكتيكية. ولكن ليس هذا كلّ شيء،

وإشكال كثير من المؤسسات أنها تقف عند هذا الحدّ

وتظنّ أنها قد أكملت تخطيطها، وأن وثيقة خطتها

واقية وكافية.

لنتذكر أن ما لا يمكن قياسه، لا يمكن إدارته! كيف

يمكننا أن نعرف أننا نمضي قدماً في هدفنا الفرعي؟

كيف يمكننا أن ندرك أن جودة مستوى التعليم العام

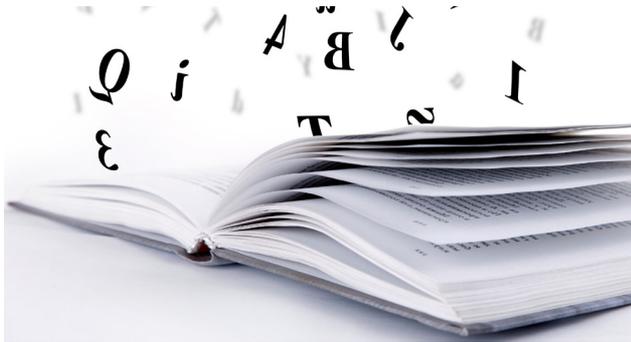
والعالي قد ارتفعت؟ هنا، وللإجابة عن هذه الأسئلة

تبرز أهمية المؤشرات:

لنقيس تقدمنا في هدف: رفع مستوى جودة

التعليم العام والعالي، يمكن تتبع ما يلي على سبيل

المثال:



ولنلخص ما ذكر في جدول واحد، وسنفضّل في هدف واحد فقط، مثلاً لبقية الأهداف:

الرؤية: (بحلول العام ١٤٥٠ هـ منطقتنا خالية من الفقر)					
البرامج والمشروعات	الاستهداف		المؤشرات	الأهداف الفرعية	الأهداف الإستراتيجية
	المستهدف	الحالي			
					رفع مستوى التدين
				١- تعميم التعليم الأساسي ٨٠٪ لغير المتعلمين	تعزيز التعليم
١- برنامج المشروعات الصغيرة لخريجين. ٢- مشروع التدريب الاحترافي. ٣- تصميم قاعدة بيانات.	٢٠٪	٤٠٪	نسبة العاطلين عن العمل من الخريجين	٢- رفع مستوى جودة التعليم في مؤسسات التعليم العام والعالي	
			اعتمادية المناهج		
			توفر البنى الأساسية للتعليم		
					تهيئة وضع صحي ملائم



ولكن مهلاً! هل انتهى الأمر؟ كلا، ليس بعد، لأن المؤشرات التي وضعت تظل افتراضية، وانبتت على هذه المؤشرات الافتراضية البرامج والمشروعات! وسيظل ملحاً سؤال مهم: هل حققت تلك البرامج والمشروعات تقدماً في المؤشرات الموضوعية؟ وهل تعكس تلك المؤشرات الافتراضية فعلاً تحقق الهدف من عدمه؟ وللإجابة عن هذين السؤالين، يجب أن تستصحب المؤسسة أهمية إنشاء وحدة مهمتها الرئيسية: متابعة مسار هذه المؤشرات وتقييم المشروعات والتأكد من جدواها. لقد أخذنا مثلاً واحداً لهدف واحد فقط ومؤشر واحد، وعندما نجري هذه الطريقة على الأهداف كلها ستتوفر منظومة متكاملة من مؤشرات القياس، ومجموعة متأزرة من البرامج والمشروعات التي يفترض أن تحقق تقدماً في المؤشرات الموضوعية، ومن ثمّ تقدماً في الأهداف الفرعية، والتي يحقّق التقدم فيها تقدّم في الأهداف الإستراتيجية، التي لو تحققت، ستتحقق الرؤية بإذن الله. هكذا بذات الترابط.

ختاماً:

يتضح من هذا السرد المختصر أن المؤسسات الخيرية تحتاج ما يلي لإحكام هذه الطريقة:

١ أن يستصحب القياس من لحظة البدء في التخطيط، باختيار المنهجية الملائمة، وتخصيص وقت لتحديد المؤشرات المناسبة. إن أحد الأسباب الجوهرية التي تجعل نتائج قياس الأثر ضامرة، لا تعكس الصورة الحقيقية للمجهود، هو عدم استصحاب منهجية القياس مع مرحلة البدء في وضع خطة، وفي أثناء التنفيذ، على الرغم من تشديد الإداريين دائماً على مبدأ "الرقابة"، وعلى الرغم من وجود قسم "المتابعة والتقييم" في بعض المؤسسات الخيرية؛ ولكن لا تغني هذه المبادئ أو الأقسام شيئاً إن لم تستصحب القضية منذ البدء.

٢ أن تخصص المؤسسات الخيرية موازنة للبحوث والدراسات، لأن معرفة الوضع الحالي من المؤشرات يتطلب دراسة استقصائية، فإذا أرادت المؤسسة معرفة نسبة الأمية الحالية أو الفقر، أو تفشي الجرائم التي تحاربها فلا بد لها إذا من تخصيص موازنة للبحث والدراسة لتضع مشروعاتها على بيّنة.

٣ وعلى هذا يجب أن تدرك المؤسسات الخيرية أن بناء المؤشرات نفسه أمر مكلف، ولكنه في نهاية الأمر مريح جداً، إذ ستوجه الجهود بناء على إشارات معيّنة، وتبذل المؤسسة نفقات واضحة تجاه قضايا قابلة للقياس.

٤ سيحتاج الأمر ولا شك قدرًا من الابتكار في صياغة المؤشرات، وذلك لتمييز مؤشرات العمل الخيري عن غيرها من معهود المؤشرات في العمل الربحي.

٥ يظهر بوضوح أن إنتاج مؤشرات صادقة تدل على الأهداف، هو أمر توفيق إلهي يلزم الحريصين على وضع مؤشرات جيدة بسؤال ودعاء لله العليم الحكيم أن يلهمهم الرشيد في ذلك، إذ هو نوع هداية، ومن يهد الله فهو المهتدي. والله الموفق وعليه التكلان.



أمور فنيّة تحسن مراعاتها عند وضع المؤشرات:

١ - تبنى المؤشرات وفق إطار منطقي يحقق فعلاً قياس الهدف المطلوب، ويذكر المختصون في التخطيط أموراً من المهم توفرها في المؤشر وهي:

أ - القابلية للقياس: ويعني ذلك أن يكون المؤشر - قدر المستطاع - عدداً، أو نسبة، أو معدلاً، أو حجماً، أو قيمة.
ب - الحساسية: أي أن يكون المؤشر حساساً للقضية التي يقيسها.

ج - الارتباط: أي أن يكون المؤشر مرتبطاً بالموضوع المراد قياسه، فلا يعقل أن يوضع مؤشر من مؤشرات سوق الأوراق المالية (البورصة) ونحن نريد قياس تقدمنا نحو مدينة معيّنة.

ث - القابلية للتعميم: بحيث يمكن قياس الغرض في كل مرة أردنا أن نقيسه فيها.

٢ - المؤشر في ذاته محايد، فليس من المهني أن نضع مؤشراً موصوفاً بقلّة أو كثرة، كأن يقال مثلاً: من مؤشراتنا: تقليل نسبة الذين لا يجيدون الكتابة والقراءة إلى النصف بحلول عام كذا، بل المؤشر هو: نسبة الذين لا يجيدون الكتابة والقراءة، ثم يكون الاستهداف لتقليلهم إلى النصف، إذ سيظلّ المؤشر - إن توافرت فيه الشروط اللازمة - قائماً ليدلّ على التقدّم أو التأخر في الهدف المحدّد، ومن هنا جاءت أهمية أن يكون المؤشر محايداً.



فائدة التدرج

وإشكالية التطبيق

د. أمين الدميري

amindemery51@hotmail.com

البخاري في كتاب المغازي ومسلم في كتاب الإيمان). وفي الحديث بيان أن الدعوة في الأصل هي الدعوة إلى توحيد الله - عزَّ وجلَّ -؛ لأن التوحيد هو الأساس للبيان؛ كما جاء في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: «بني الإسلام على خمس...» أخرجه البخاري في باب (دعاؤكم إيمانكم) ومسلم في باب (أركان الإيمان)؛ فإذا خلص التوحيد واستقر في القلب، كان الانقياد بمجرد الإعلام؛ لذا قال ﷺ لمعاذ: «فأعلمهم».

ومن هنا كان العمل بشرائع الإسلام فور العلم بها، هو الدليل على الإيمان..... ومن حكمة العليم الخبير - سبحانه - أنه لم يفرض التكاليف إلا بعد أن استقر التوحيد في القلوب، وصار سلطان الإيمان أقوى من سلطان الهوى والنفس!! وفي هذا تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: «كان أول ما نزل من القرآن آيات من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، فلما ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام...» أخرجه البخاري في باب (أركان الإيمان)، وقولها - رضي الله عنها - يفسر لنا أن مرحلة الدعوة المكية كانت معنية بشرح

من قوى الإسلام الدافعة، ومن سننه الباعثة على قبوله وبقائه سنة التدرج؛ وهي سنة ربانية في كل شيء؛ في الخلق والتكوين، وفي التربية والإعداد، وفي الدعوة والتشريع، وهي في ذلك تتسجم مع فطرة الإنسان؛ كما أن البلوغ إلى التمام وتحقيق الكمال لا يكون بجرة قلم، ولا بالطرفة؛ وإنما يكون خطوة خطوة، وشيئاً فشيئاً؛ إذ لا بد من التهيئة والبدء بالأهم والأساس، وفي الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ -؛ فإن الأساس هو توحيد الله - عزَّ وجلَّ -، ولهذا لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن أمره أن يبدأ بالدعوة إلى التوحيد، لأن البيئة بيئة شرك، ولأن معرفة بيئة الدعوة وتوصيفها هو الذي يحدد نقطة البدء؛ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فإنَّهم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن أجابوك؛ فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم...» (أخرجه

فرض الصيام: فقد كان الحكم على التخيير أولاً، في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ ثم على سبيل الحتم والإلزام، في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فرض الحج: كان الفرض على من نوى وتجهز؛ فعليه الإتمام، في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ثم كان الإلزام في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

تحريم الخمر: فقد حرمت على مراحل متدرجة - بحسب ترتيب المصحف - كما يلي:

أ- في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

ب- في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣].

ج- في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، والحديث عن التدرج له أبعاد كثيرة ومجالات متعددة؛ كالتدرج في الدعوة (البدء بالأهم وبالأقربين، ومراتب الاحتساب، والمرحلة..)، والتدرج في التربية (على أساس المراحل العمرية، وتزكية النفس للوصول إلى أعلى درجات الإيمان والإحسان..)، وغير ذلك؛ غير أن الحديث عن التدرج قد شاع في هذه الأيام، خاصة في قضية تطبيق الحدود الشرعية، التي غابت وأقصيت في معظم البلاد الإسلامية منذ حوالي قرن من الزمان!!

التوحيد، وبيان مقتضياته؛ وأهمها الانقياد لأوامر الله - عزَّ وجلَّ - والرضا بحكمه، و ترويض النفوس لقبول التشريعات والتكاليف، والتي عَنِي بها القرآن المدني؛ وهاجر المسلمون لإقامة الدين؛ لأنه لا قيام للدين إلا بإقامة الدولة، و في أقل من عامين (سبعة عشر شهراً) وقبل غزوة بدر، نزلت حزمة من التشريعات منها: فرض الزكاة، والصيام، والتوجه ناحية الكعبة (تحويل القبلة؛ للاستقلالية والتميز؛ فلا يشترك المسلمون واليهود في توجه واحد حتى لو كان في الصلاة!!)،

ومنها فرض القتال وردُّ عدوان مشركي مكة - بعد نجاة عير أبي سفيان - بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وبعد انتصار بدر نزل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؛ فقد كان من أهداف هذه المرحلة: توطيد أركان الدولة الناشئة، وتحقيق أمن وتماسك الجبهة الداخلية؛ وكيفية التعامل مع المعارضين سواء أكانوا يهوداً أم منافقين أم مشركين؛ وقد تم ذلك بما يلي:

١- بناء المسجد .

٢- المؤاخاة بين الأنصار، وبين المهاجرين والأنصار.

٣- كتابة الوثيقة التي نظمت العلاقة بين المسلمين وغيرهم .

٤- إرسال سرايا الاستطلاع (سبع سرايا) لتأمين الطرق حول المدينة المنورة (على منورها الصلاة والسلام) والتي كان آخرها سرية عبد الله بن جحش؛ والتي نزل بشأنها - بحسب ما جاء في كتب التفسير والسير- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾ [البقرة: ٢١٧]!

ثم تتابع نزول التشريعات والتكاليف بحسب سنة التدرج؛ وإذا كان ترتيب النزول (من اقرأ حتى النصر!!) هو منهج تربية على العقيدة والأخلاق؛ فإن ترتيب المصحف هو منهج تشريع قائم على التدرج سواء أفي فرض التكاليف أم في تحريم المحرمات؛ وبيان ذلك فيما يلي - على سبيل المثال لا الحصر -:

واقترنت الرؤى حول كيفية التطبيق؛ هل يكون فورياً أم متدرجاً وعلى مراحل؟ وهل الآن أم بعد مرور هذه المرحلة التي يسمونها انتقالية؟.... وجدت لزاماً عليّ أن أدلو بدلوي المتواضع في هذه القضية؛ خاصة أنها كانت موضع دراستي واهتمامي على مدى عشر سنوات (فقد كانت رسالة التخصص ”الماجستير“ في الدعوة عام ٢٠٠٤م بعنوان ”خصيصة التدرج في الدعوة إلى الله - عز وجل -)، وما أريد أن أشير إليه الآن هو ما يلي:

١ توصيف المرحلة (بيئة الدعوة كما في حديث معاذ: ”إنك تأتي قومًا أهل كتاب..“): فهل المرحلة مرحلة تمكين أم غير ذلك من المراحل؟ (فمراحل الدعوة أربع: التكوين التبليغ - الاستضعاف - التمكين)؛ وقد أحلت مسألة التوصيف للاجتهاد الجماعي!!

٢ الأخذ بالحكم النهائي؛ ففي مسألة الخمر كان الحكم الثاني في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، هو حكم مرحلي؛ مع أنه حكم نهائي للصحابي ”فقط“ وقت نزول هذا الحكم؛ لأن من الصحابة من مات في هذه المرحلة ولم يعيش حتى نزل الحكم النهائي؛ وفيمن ماتوا في هذه المرحلة نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [المائدة: ٩٣]، وهذه الآية جاء موضعها بعد آية التحريم (المائدة: ٩٠) ”الحكم“ النهائي؛ لأن بعض الصحابة - كما جاء في التفاسير - سألوا عمَّن ماتوا وقد شربوا الخمر لعدم نزول الحكم النهائي إلا بعد وفاتهم - رضي الله عنهم -! فكان حكمهم رفع الحرج والعضو عنهم.. ومن هنا نشأت

١ توصيف المرحلة (بيئة الدعوة كما في حديث معاذ: ”إنك تأتي قومًا أهل كتاب..“): فهل المرحلة مرحلة تمكين أم غير ذلك من المراحل؟ (فمراحل الدعوة أربع: التكوين التبليغ - الاستضعاف - التمكين)؛ وقد أحلت مسألة التوصيف للاجتهاد الجماعي!!

٢ الأخذ بالحكم النهائي؛ ففي مسألة الخمر كان الحكم الثاني في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، هو حكم مرحلي؛ مع أنه حكم نهائي للصحابي ”فقط“ وقت نزول هذا الحكم؛ لأن من الصحابة من مات في هذه المرحلة ولم يعيش حتى نزل الحكم النهائي؛ وفيمن ماتوا في هذه المرحلة نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [المائدة: ٩٣]، وهذه الآية جاء موضعها بعد آية التحريم (المائدة: ٩٠) ”الحكم“ النهائي؛ لأن بعض الصحابة - كما جاء في التفاسير - سألوا عمَّن ماتوا وقد شربوا الخمر لعدم نزول الحكم النهائي إلا بعد وفاتهم - رضي الله عنهم -! فكان حكمهم رفع الحرج والعضو عنهم.. ومن هنا نشأت

٣ توصيف المرحلة (بيئة الدعوة كما في حديث معاذ: ”إنك تأتي قومًا أهل كتاب..“): فهل المرحلة مرحلة تمكين أم غير ذلك من المراحل؟ (فمراحل الدعوة أربع: التكوين التبليغ - الاستضعاف - التمكين)؛ وقد أحلت مسألة التوصيف للاجتهاد الجماعي!!





ومن هنا نتبين أهمية مراعاة حال الناس وما درجوا عليه، وكذا حال الفئة المؤمنة؛ وهي التي تتحمل تبعات التغيير، ويناط بها إمكانية الانتقال من مرحلة إلى مرحلة؛ وهو فقه المرحلة؛ وهي (أي المرحلة) سنة التدرج.. وأختم بما ذكرته من حكمة التدرج:

١ تسهيل قبول الدعوة؛ وهو تيسير من الله تعالى على عباده؛ لأنه يعلم طبائعهم وضعفهم..
٢ الإعانة على الإعداد والإحكام؛ فما من دعوة أو جماعة تقوم بنشر فكرة أو مذهب أو عقيدة بين الناس أو تريد إقامة نظام، إلا وهي تحتاج إلى إعداد كبير وتهيئة للبيئة التي تريد أن تغرس فيها بذور دعوتها؛ لتبت منها خيراً وتوفيقاً..

٣ علاج النفور من كثرة التكاليف؛ فلا يغيب عن بال قليل الخبرة بالناس أن التكاليف بالكثرة ممّا لا يطيقه الناس، ولا يتحملونه؛ فيدعو ذلك للنفور والإدبار... فكانت الحكمة قاضية بالتدرج.

٣ بين التدرج والأولويات:-- التدرج هو تأصيل لمرحلة العمل؛ وهو فقه الانتقال من مرحلة إلى أخرى؛ وقرار (أو فتوى) الانتقال إنما هو قرار محوري (إستراتيجي)؛ يتوقف عليه تحويل الأهداف إلى وسائل وبالعكس، كما يتوقف عليه مدى ما تقدمه الحركة من تضحيات ومن ثمن!! إذ إن لكل مرحلة أهدافها ووسائلها (الموافقة للشرع)؛ وقد تتحول الأهداف في مرحلة ما إلى وسائل في مرحلة أخرى؛ كما في حال مرحلة الاستضعاف؛ فإن الصبر مع التهيئة المعنوية للجهاد؛ يُعد هدفاً، ثم يكون الجهاد - مع الصبر- في مرحلة تالية وسيلة لغاية أخرى؛ هي إقامة الدين، وإعلاء كلمة الله - عزّ وجلّ -.

أما الأولويات فهي تأصيل لنوعية العمل داخل المرحلة الواحدة (بعد توصيفها)؛ بحسب قاعدة: "واجب الوقت" و "أفضل الأعمال؛ أفضلها لوقتها"، كما هو معلوم.. ففي حال عدم التمكين يكون الصبر وتحمل الأذى وضبط النفس، مع ترك الانشغال بالأهداف الجزئية، والاهتمام - فقط - بالأهداف الكلية، كما يكون الإعداد والتهيئة لقبول التكاليف، وفي حال التمكين يراعى - في الناس وفي البيئة - حداثة العهد بالشرك وبالمعاصي؛ فقد أُلّف الناس - على مدى ثلاثة أجيال - الأحكام البشرية الوضعية، وقضية التحول من النظام «الديمقراطي المدني»؛ إلى النظام الإسلامي؛ لا بدّ أن يراعى فيه ما أُلّفه الناس وتشربوه على مدى سنين طويلة، ودرجت عليه أجيال متتابعة، ولعل ما قاله وأراده النبي ﷺ لعائشة كان من هذا القبيل؛ فقد بوب البخاري - رحمه الله تعالى - في باب (من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا فيما هو أشد منه) كقول النبي ﷺ: "يا عائشة؛ لولا أن قومك حديث عهدهم - أي بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين، باباً يدخل منه الناس، وباباً يخرجون منه"؛ يقول ابن حجر - رحمه الله تعالى -: (وفي الحديث معنى ما ترجم له، لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً، فخشي ﷺ أن يظنوا - لأجل قرب عهدهم بالإسلام - أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك.. ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، وفيه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع فما هو أشد نكراً (والإمام - ولو كان مفضولاً - إنما يسوس رعيته بما فيه إصلاحها ما لم يكن محرماً.. انظر: فتح الباري جزء ١ ص ١٨١ - دار إحياء التراث العربي بيروت.



الثقة واليقين

رب العالمين

عبد العزيز الشامي(*)

Omarez1973@hotmail.com

اليقين بالذي كل يوم هو في شأن: يغفر ذنباً، ويفرح كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين، يحيي ميتاً، ويميت حياً، ويجيب داعياً، ويشفي سقيماً، ويعز من يشاء، ويدل من يشاء، يجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويُرشد حيراناً، ويغيث لهفاناً، ويفك عانياً، ويشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزي محسنناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقيل عشرةً، ويستر عورةً، ويؤمن روعةً.

اليقين في الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأسعد وأشقى، وأوجد وأبلى، ورفع وخفض، وأعز وأذل، وأعطى ومنع، ورفع ووضع. وحده لا شريك له.

اليقين في التواب الرحيم رب العالمين الذي من أقبل إليه تلقاه من بعيد، ومن أعرض عنه ناداه من قريب، ومن ترك من أجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد رضاه أراد ما يريد، أهل ذكره هم أهل مجالسته، وأهل شكره هم أهل زيادته، وأهل طاعته هم أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته؛ إن تابوا إليه فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا فهو رحيم بهم، يبتليهم بالمصائب ليظهِرهم من المعاييب، الحسننة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عنده بواحدة، فإن ندم عليها واستغفر غفرها له، يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل.. سبحانه وتعالى.

عندما ينظر الإنسان في نفسه وأحوال الناس من حوله يجد أموراً عجيبة، فكثير من الناس قد لا يجد من الدنيا كثير مال، ولا كثير متاع، ومع ذلك فهو ساكن النفس، راض مطمئن القلب، مستريح البال، بينما غيره ممن ملكوا الأموال والوظائف والأرصدة والحسابات، تجدهم أصحاب أنفس قلقة، وقلوب وجلة، فواعجباً من اطمئنان مع القلة، وذلك طريق من طرق اليقين، وواعجباً من قلق مع الكثرة، وذلك من أسرع طرق الشك والريبة.

حكى أحد العاملين في الحقل الدعوي عن نفسه قائلاً: قديماً كنت أخرج مع مجموعة من أقراني ونحن فتية نعمل في أعمال المزارع والحقول بالأجرة، وكنا نعمل يوماً بيوم، كنا نخرج لمكان ما يجتمع فيه الفتيان وأصحاب المزارع، فيأخذ أصحاب الحقول من العمال ما يريدون، ثم ينصرفون بهم إلى مزارعهم، يقول: ومع أن العمل كان يوماً بعد يوم، كنت تجد حسن توكل على الله، ورضاً ويقين في الله، واليوم.. يوم صار للفرد الوظيفة والراتب، لا أجد هذا اليقين الذي كنت أجد في الشباب أيام العمل في الحقول!!

ما أحوج الأمة في هذه الأزمان إلى اليقين في الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، السماء بناها، والجبال أرساها، والأرض دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، يبسط الرزق، ويغدق العطاء، ويرسل النعم - سبحانه وتعالى -

(*) باحث شرعي وكتاب ومدقق لغوي - مصر.

وعندما يستسلم العبد لله - جَلَّ وَعَلَا -، ويوقن به، ويستشعر العزَّ في وحدانيته، والقوة في أن ربه واحد أحد فرد صمد، لا شريك له ولا ولد، عزَّ عن النظر والشبيه، ما اتخذ من ولد وما كان معه من إله، يستشعر الفخر والعزة؛ إذ ليس فيه شركاء متشاكسون، بل هو سَلَمٌ لسيد واحد ورب واحد، فلا أمر له سواه، ولا متصرف فيه غيره، ولا مدبر للأمر إلا الله الواحد الأحد، - سبحانه وتعالى وعز وجل - .

لا بدُّ لنا من اليقين بأن في القلب شعثاً لا يلمَّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى لقائه، وفيه فاقة لا يسدُّها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبداً - سبحانه وتعالى - .

وكثيراً ما توقظ آيات القرآن الكريم القلب البشري للتأمل والتدبر، واستجلاء العجائب في هذا الكون الهائل، غير أنه لا يدرك هذه العجائب، ولا يستمتع بالرحلة في هذا المتاع، إلا القلب العامر باليقين؛ قال رب العالمين: ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٠] .

منزلة اليقين وعلاماته:

إن اليقين، والرضا بقضاء الله وقدره من أعظم الأسباب المعينة على الثبات؛ ذلك أن اليقين هو جوهر الإيمان، فاليقين روح أعمال القلوب، التي هي روح أعمال الجوارح. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك، وكل سخط وحيرة، وكل همٍّ وغمٍّ. وإذا وصل اليقين إلى القلب امتلأ بمحبة الله.. والخوف منه.. والرضا به.. والشكر له.. والتوكل عليه.. والإنابة إليه.. والتوجه إليه.. والأنس به.. وعدم الالتفات إلى غيره. واليقين لا يساكن قلباً فيه سكون لغير الله. قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

وقد ذكر النبي ﷺ اليقين، وحض عليه، ورفع من شأنه في كثير من الأحاديث، فجعل من أهم أسس صلاح الأفراد والأمة كلها حصول اليقين، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: "صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل وطول الأمل"^(١).

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٨٤٤) وصححه الألباني.

وقام أبو بكر أول خليفة لرسول الله ﷺ مذكراً الأمة بأهمية اليقين، فقد قام على المنبر بعد وفاة النبي ﷺ، ثم بكى، فقال: قام رسول الله ﷺ عامه الأول على المنبر، ثم بكى، فقال: أسألوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية"^(٢).

وكان ﷺ يوصي أصحابه باستصحاب اليقين في العمل، فكان يقول: "واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً"^(٣).

وكان ﷺ كثيراً ما يدعو ربه بصحة اليقين وسلامته ودوامه، فعن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الشك بعد اليقين"^(٤).

وحذَّر ﷺ من ضعف اليقين الذي يؤدي بالإنسان إلى إرضاء المخلوق بما يسخط الله، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ مِنْ مَّضَعَفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ تَعَالَى، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجْرُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَزِدُّكَ عَنْكَ كَرَاهِيَةٌ كَارِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ بِحِكْمَتِهِ وَجَلَالِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْجَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الهمَّ وَالْحَزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ"^(٥).

وكان النبي ﷺ يرشد أصحابه إلى سؤال الله اليقين، فاليقين بالله والثقة به تخفف المصائب، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "قَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَوْلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ أَقْسِمْنَا بِمَا حَشَيْتَكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَصَائِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلَّغْنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهَوَّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا..."^(٦).

والصبر على المصائب من مقامات اليقين، فأحسن الناس صبراً عند المصائب أكثرهم يقيناً، وأكثر الناس جزعاً وسخطاً في المصائب أقلهم يقيناً. فشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها، وعلامة ضعف اليقين بمحبوبه، وسهولة الغم على فوتها دليل على الزهد فيها وقوة اليقين بربه. وقد قال سفيان الثوري: "اليقين ألا تتهم مولاك في كل ما أصابك"^(٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٧١٨) وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٠٤) والطبراني (١١٢٤٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩١٤٤).

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٦/٥)، وضعفه الألباني.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني في الكلم الطيب (٢٢٥).

(٧) حلية الأولياء ٩/٧.

وإذا استحكمت اليقين في القلوب، فإنَّ صاحبه لا يعرف اليأس مهما طال الليل، وأهل اليقين لا يعرفون اليأس، وبالتالي فمهما وقع عليهم كأفراد أو الأمة كلها من مصائب، وبلايا، ومحن ونكبات، وتسلسل الأعداء، ومهما امتد الظلام، فهم يثبتم في الله، ويوقنون بربهم، فالليل مهما طال ساعاته ومهما اشتدت ظلمته، فإنه يزول وينفلق عن بياض الصباح، فمع الفقر غنى، وبعد المرض عافية، وبعد الحزن سرور، وبعد الضيق سعة، وبعد الحبس انطلاق، وبعد الجوع شبع، فسوف يبدل الحال، وتهادئ النفس، وينشرح الصدر، ويسهل الأمر، وتحل العقدة، وتفترج الأزمة.

وإن اليقين يورث صاحبه أموراً جلييلة عظيمة، ويؤثر في سلوكه فوائد جمة: فهو يزيد العبد المسلم قريباً من الله - عزَّ وجلَّ -، وحباً، ورضاً بما قدره وقضاه، وهو لبُّ الدين، ومقصده الأعظم، ويزيد صاحبه استكانة وخضوعاً لربه وخالقه - جلَّ جلاله -، كما أنه يكسبه رفعة، وعزة، ويبعده عن مواطن الذل والضعفة، كما أنه يحمل صاحبه دائماً على الإخلاص والصدق، وتحري ذلك في كل أعماله، واليقين يضبط العلاقة بين العبد وربيه، ويجعل العبد يلتزم الإخلاص، والصدق، والمراقبة، وفعل ما يليق، وترك ما لا يليق في تعامله مع ربه، ومع الآخرين.

اليقين عند السلف:

وقد عظم السلف - رضوان الله عليهم - اليقين ورفعوا من شأنه، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: "الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"^(١).

وكان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: "وخير ما أُلقي في القلب اليقين، وخير الغنى غنى النفس، وخير العلم ما نفع.. وإنما يصير أحلكم إلى موضع أربع أذرع، فلا تملؤا الناس ولا تسأموهم"^(٢).

وكان سفيان الثوري - رحمه الله - يقول: "لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وحرزاً؛ شوقاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار"^(٣).

قال ابن القيم - رحمه الله -: "إن أفضل الأحوال: الرغبة في الله ولو أزمها، وذلك لا يتم إلا باليقين والرضا عن الله، ولهذا قال سهل: حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من

الرضا، وحظهم من الرضا على قدر رغبتهم في الله"^(٤). وحصول اليقين في القلوب علماً وبقية وثقة واطمئناناً، يجعل بعض الناس أئمة وسادة وقادة بين الناس، فقد كان السلف يقولون: "بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين"، قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]^(٥).

مضدات اليقين:

إنَّ ممَّا ينافي اليقين أن يكون القلب متطلعاً إلى غير الله - عزَّ وجلَّ -، متعلقاً به، ملتفتاً إليه، ولهذا قال بعض السلف: "حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه السكون إلى غير الله - عزَّ وجلَّ -، وحرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء ممَّا يكرهه الله - جلَّ جلاله -"^(٦).

ومما يضعف اليقين في القلوب: الإصغاء إلى الشكوك، والريب، والأمور التي تجلب ذلك: بسماع الشبه، وسماع كلام المخذلين، والمثبطين الذين يثبطون عزائم المؤمنين، ويوهنونهم، ويحثونهم على القعود عن التزام صراط الله - عزَّ وجلَّ - المستقيم، فهؤلاء الذين قلَّ يقينهم إذا استمع العبد منهم؛ فربما سببوا له شيئاً من ضعف اليقين، حين ذلك يورثه قلقاً، وانزعاجاً، واضطراباً، وهذا يخالف اليقين؛ لأن اليقين طمأنينة، وثبات واستقرار، كما قال ابن القيم - رحمه الله -: "الشك مبدأ الريب كما أن العلم مبدأ اليقين"^(٧).

فكن - أخي - على يقين بربك، وثقة فيه، فلا تحمدنَّ أحداً على فضل الله، ولا تذمننَّ أحداً على ما لم يؤتكَ الله، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا يرده عنك كراهية كاره. سبحانه، يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله، ولا يعترض عليه ذو عقل بعقله!! سبحانه، قد يعطي وهو يمنح، وقد يمنح وهو يعطي، وقد تأتي العطايا على ظهور البلايا، وقد تأتي البلايا على ظهور العطايا. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا.

(٤) مدارج السالكين (٢/٢٢٢).

(٥) مدارج السالكين ١٩٦/٢، والفوائد ص ١٩٩.

(٦) روضة المحبين ص ٤٣٩.

(٧) بدائع الفوائد ٤/٩١٣.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/٧٤).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/٩٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/١٨).

جوال السيان

للاشتراك
ارسل رسالة فارغة

٨٨٠٠٤



٦٣٦٣٩٣



٧٠٤٠٤٧



رسائلنا تحكي أهدافنا



ضغط

اللحظة الراهنة

فهد بن صالح العجلان

Fsalehajlan@hotmail.com

@alajlan_f

المثقفين الغربيين عن حال المعجزات التي ما عادت جذابة للعقل الغربي، فهي لديهم أقرب لفكر الخرافات والأساطير التي تجاوزها الزمان، فما عادت مستساغة في زمن تأليه العقل، وتقديس الفكر المادي التجريبي، غدت معه المعجزات مادة تتدّر واستهجان من رجالات الغرب، وكنز أسئلة يلاحقون بها من يلتقون به من العلماء والمثقفين المسلمين.

هذا المزاج الغربي صاحبه حال إلحاد وجحود عن الدين لدى أوساط كثير من المثقفين المسلمين، بما عزز في وعي كثير من المؤلفين ضرورة تقديم خطاب عقلاني مناسب يحفظون فيه الدين الإسلامي من سيطرة النقد الغربي، ويحمون شباب الإسلام من حال التقلت عن الدين، فكان لا بد من إعادة قراءة التراث الإسلامي؛ لتخليصه من قصص المعجزات التي غدت معيبة في تلك اللحظة.

كتب حينها محمد حسين هيكل كتابه الشهير (حياة محمد) جرد فيه سيرة النبي ﷺ من كافة الآثار والسنن الواردة في معجزاته ﷺ، وجعل معجزته الوحيدة هي القرآن الكريم فقط،

كانت قضية (المعجزات) في مرحلة زمنية قريبة من أسخن القضايا التي أربكت عدداً من المؤلفين والمفكرين في الفكر الإسلامي المعاصر.

قبل هذه المرحلة، لم يكن مكوث قضية المعجزات في دائرة القضايا الشرعية البديهية يثير أي إشكال، حيث إنها من دلائل صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - كما قال ربنا - تعالى - عن موقف كثير من الكفار ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ [الأنعام: ٢٥] وقد قصّ الله - تعالى - في القرآن الكريم عدداً من معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كمعجزة موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - قال - تعالى -: ﴿ وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ﴾ [طه: ٦٩] وقال أيضاً: ﴿ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩] كما اختص نبينا محمد ﷺ بمعجزات كثيرة تضافرت في تأكيدها الروايات الصحيحة.

كان القلق ناتجاً من هبوب موجة استنكارات عنيفة من

والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) ومن الملفت للنظر أن أغلب مباحث هذا الكتاب كانت في مناقشة قضايا الغيب والمعجزة بما يكشف عن حجم تأثير وقلق هذه القضية في تلك المرحلة.

لم تكن الحركة النشطة آنذاك لتأويل المعجزات نابعة من رفض للشريعة أو انتقاص من مكانتها؛ بل ظاهر جداً أن الحفاظ على الإسلام والدفاع عن حرمانه، والخوف عليه وضرورة تقديم صورة حسنة إلى الغرب هو الهاجس العميق الذي كان يسكن قلوب كثير ممن تأثر بهذه الموجة، فهم يشعرون كما يقول السيد رشيد رضا: «إن المعجزات هي من منفردات العلماء عن الدين في هذا العصر»^(٦).

وكانت قلوبهم معلقة بهداية الغربيين، ولو وصل ذلك إلى تجاوز خطير بلغ حد القول: «إنه لولا حكاية القرآن الكريم لآيات الله التي أيد بها موسى وعيسى - عليهما السلام - لكان إقبال أحرار الإفرنج عليه أكثر واهتداؤوهم به أعم وأسرع»^(٧).

طبعاً هذا لا ينفي خضوع العقل لسطوة المفاهيم الغربية لحد القول (مماً يدل على أن هذه القرون الأخيرة لا تروج فيها مسائل المعجزات تكذيب علماء أوروبا بكل المعجزات السابقة وهو وإن كان تهوراً منهم إلا أنهم مصيبون في قولهم إننا في زمان لا يجدي فيه للاعتقاد إلا النور العقلي والدليل العلمي)^(٨). ومضت تلك الحقبة، ورصد التاريخ مقولاتها وإشكالاتها التي تكشف عن طبيعة المؤثرات التي كانت توجه الفكر الإسلامي.

فتش الآن عن حضور قضية المعجزات في الفكر الإسلامي المعاصر، هل سؤالات المعجزة من القضايا القلقة والأسئلة المشكلة التي تتزاحم الدراسات والمؤتمرات في مناقشتها وإزالة الشبهات عنها؟

المسلم المعاصر الآن يدرك بوضوح أن هذا السؤال - وإن بقي حاضراً عند بعض الفئات - فما عاد له ذلك التأثير، ولا تكاد كثير من البحوث والدراسات الإسلامية المعاصرة تتطرق للموضوع من الأساس، وربما يشد المسلم حاجبيه متعجباً من حال التحفز والتعسف في تأويل المعجزات، فلا يجد في الأمر ما يستحق كل هذا.

وقد قدّم له أحد العلماء المشهورين وواقفه فيما ذهب إليه. وأما الروايات الصحيحة فلا اعتبار لها لأن (مضرة الروايات التي لا يقرها العقل والعلم قد أصبحت واضحة ملموسة)^(١). فضرورة الواقع تفرض تجاوز مثل هذه الأخبار (ولو أنهم - أي رواة الحديث - عاشوا إلى زماننا هذا ورأوا كيف اتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام وأهله لالتزموا ما جاء به القرآن الكريم)^(٢).

وكان المزاج العصري الراض لقضية المعجزات حاضراً حتى في تفسير آيات القرآن الكريم، فالآيات التي تتضمن معجزات سابقة يتم التعامل معها بطريقة تزيل عنها وصف الإعجاز حتى تكون حكماً معتاداً على وفق سنن الطبيعة، كمثل تفسير هلاك الفيل بالطير الأبايل الوارد في كتاب الله ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣-٥] بأنها جراثيم الطاعون إذ لا مانع من تسميتها طيوراً، أو أنهم قد أصيبوا بمرض الجدري أو الحصبة حتى ماتوا، فالطير الأبايل إنما هو بعوض أو ذباب ناقل للأمراض.^(٣)

وحتى ما لم يصبه التحريف من المعجزات السابقة، فلم يسلم من حال التهوين منها كتفسير المعجزات السابقة بأنها أدلة مناسبة لضعفاء العقول؛ فكانت المعجزات (لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم إلى فهم البرهان)^(٤).

وعلى نفس المنوال جرى الكلام على بقية المعجزات الواردة في القرآن الكريم، وتبع ذلك تأويل عدد من المغيبات التي لا يتقبلها المزاج المادي الغربي كتأويل الملائكة بأنها قوى وأرواح مودعة في الكائنات الحية وهي قوى الطبيعة، وتأويل الشيطان بأنه ما يدفع إلى الشر، ومن النتيجة البديهية بعدها أن يتم تأويل وإنكار أخبار الدجال والسحر ونزول عيسى وأشراف الساعة وغيرها^(٥).

هذه الحال آلمت عدداً من العلماء الذين شعروا أنها حال عبث وتحريف لأحكام الإسلام، وجزموا بأنها ثمرة انهزام أمام مد الثقافة الغربية. فكتب في تلك الحقبة بكل قوة وثبات شيخ الإسلام مصطفى صبري موسوعته الشهيرة (موقف العقل

(١) حياة محمد ٥٤.

(٢) حياة محمد ٥٤.

(٣) انظر بعض هذه الأقوال في منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ٧٢٢-٧٢٤.

(٤) تفسير المنار ١/٣١٥.

(٥) انظر عدداً من هذه التأويلات في: التجديد في الفكر الإسلامي لعدنان أمامة ٣٩٤-٤٠٠.

(٦) تفسير المنار ١١/١٥٥.

(٧) تفسير المنار ١١/١٥٩.

(٨) الإسلام والمدنية لفريد وجدي ٧١-٧٢ نقلاً عن منهج المدرسة العقلية الحديثة ٥٤٩.

مفهوم الطائفة المستمسكة بالحق التي: (ما تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله) ومن مآثور الصحابة: (الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك) فرسوخ هذا المعنى في وعي المسلم يجعل البحث عن الحق هو المعيار الوحيد الذي يبسد كل المؤثرات التي تضغط على العقل المسلم.

ثم إن عوارض كثيرة تصرف المسلم عن إصابة الحق، ومن المهم أن يجتهد كل مسلم في محاولة التخلص من كافة دوافعها قدر المستطاع، ومنها العوارض المتعلقة بالواقع الذي لا يتقبل بعض الأحكام الشرعية، فمثل هذا الواقع يدفع المسلم لئن يتخفف من بعض الصرامة العلمية الواجبة، وهو من جنس الهوى الذي نهت الشريعة عنه قال - تعالى - ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦] ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

إن الدفاع عن الإسلام، وضرورة تقديم صورة حسنة له، وضرورة حماية الشباب من الانحراف مقاصد نبيلة وغايات شريفة؛ لكنها لا تبرر التهاون في تحريف أي حكم شرعي، كما أن التحرز من ضغط اللحظة الراهنة لا يعني إهمال الاجتهاد المبني على المنهج الفقهي في الوقائع المتجددة للنظر في متغيراتها وأوصافها المؤثرة، وما يطرأ عليها من ضرورة أو حاجة، فهذا اجتهاد في الواقع وليس خضوعاً لضغط لحظة راهنة.

ضغط اللحظة الراهنة موجود في كل زمان ومكان، وهو دافع عميق لتجاوز عدد من الأحكام الشرعية التي لا تتجسم مع اللحظة الراهنة، ليس لأن الدليل لا يدل عليها، ولا لأن العقل لا ينصرها؛ بل لأن المزاج العام لا يجعل لدلائلها ذلك الوهج المقبول، فيجد المسلم ضغطاً عميقاً في نفسه، يجعله يتخفف من الصرامة العلمية ومنهجية التحري والتدقيق المطلوبة، فإن كانت لمن قبلنا لحظات مع المعجزات والاشتراكية والقومية، فإن لحظتنا الراهنة قد اندفعت نحو مفاهيم آخر، ما زالت تمارس عبثها في عقول كثير من المسلمين، فأعملوا عقولهم في أحكام الإسلام تليقاً وتأويلاً وتغييراً برؤية غير علمية، ولا منسجمة مع الأصول والقواعد الشرعية، وهي مرحلة زمنية لا بد أن تنتهي فيتضح من كان سائراً مع النص وبراهينه ودلائله ممن وقع تحت أسر ضغط لحظة راهنة قد انتهت!

إنه قلق مرحلة زمنية، وضغط حال مؤقتة، ضعف دافعه فذهبت معه كافة الإشكالات المصاحبة له.

وعاش الفكر الإسلامي بعده مراحل زمنية أخرى انتعشت فيه قضايا أخرى وأحدثت من الإرباك ما أحدثته المعجزة في تلك الفترة، فجاءت قضية الاشتراكية والقومية وغيرها، وتكرر في كل قضية منها نفس المشهد: تشكيك في الأحكام الشرعية المعارضة لهذه الهزات المؤقتة، يتبعه استنكار شائع، ثم حركة تأويل وتعسف من قبل بعض الناس، ثم لا يسلم من الخطأ فيها بعض أهل العلم والفضل.

حين تضع هذه الصور التاريخية أمام عينيك وتدقق النظر فيها يتجلى لك هذا المعنى العظيم:

ضرورة (الاستمسك بالأصول الشرعية والمحكمات الإسلامية) وأهمية (التماسك المنهجي في الأخذ بأحكام الإسلام) وألا يخضع المسلم لضغط مرحلة زمنية ما، فتكون سبباً لتحريف الأحكام والعبث بالتصورات وإحداث أشكال التلفيق بين مفاهيم الإسلام والمفاهيم المزاخمة، فالعبرة باتباع الحق وليس بموافقة المزاج العام، فهذا المزاج والجو العام عرضة للتقلبات السريعة والهزات العنيفة فلا يليق بمن يعظم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - خاصة من أهل العلم المؤتمنين على بيان الشريعة- أن يكون ضغط هذا المزاج مؤثراً على تصوراتهم ومفاهيمهم الشرعية.

إنك حين تتحدث عن قضايا شرعية فأنت تتحدث في الدين الذي يريده الله للناس جميعاً، فلا تكن حبيس اللحظة الراهنة التي تعيشها، وأسير الفضاء الذي يحيط بك، فلعل من يقرأ كتابك ممن يعيش في أزمنة لاحقة وأمكنة مختلفة هم أضعاف من قرأه وكان متفهماً لحالة القلق التي عاشها الكاتب، ولعل هذا يفسر بعض حالات الشذوذ الفكري والفقهي التي نستنكرها ونتعجب من صدورها.

إن الرؤية التي تكون أمام منظار المسلم هي (البحث عن مراد الله ومراد رسوله ﷺ) وخارطة التفكير لديه يجب أن تكون السير خلف الدلائل الشرعية، والابتعاد عن أي صوارف عارضة.

فالمنهج الشرعي في إصابة الحق ليس مرتبطاً بكثير قال - تعالى - ﴿ وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال أيضاً: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] ومن المفاهيم المتقررة في وعي المسلم



الانتخابات المصرية... رئيس أم مرؤوس؟

أصحاب الرتب العسكرية، أو الشباب النائر لمجرد الثورة بلا روية؟ أم توجهه كيانات لها علاقاتها ومصالحها في الداخل أو الخارج؟! الانتخابات القادمة في مصر، هي الحكم الفاصل على نجاح الثورة المصرية أو عدمه، وهذا الحكم - بلا شك - سيظل سراً مكتوماً يكتب بحروف قليلة داخل الصناديق الشفافة، أو التي ينبغي أن تكون شفافة، حتى يتم الإعلان عن مستقبل الثورة في مصر، وربما في غيرها يوم ٢١ يونيو ٢٠١٢م.

كلمة رئيس، مأخوذة من (الرأس) والرأس دائماً هو الذي يقود الجسد إلى ما يصلحه، أما إذا كان الجسد أو بعض أعضائه هو القائد المسير للرأس، فهذه صورة تخيلية هزلية، ولكنها - وللأسف - كانت في بعض مواضع التاريخ والجغرافيا حقيقة واقعية! هل سيكون المسؤول الكبير القادم على قدر المسؤولية، هل سيكون رأساً في الأمر، يستشير ثم يدير، أم أنه سيكون ناقص الصلاحية مائع الشخصية، يسيره



من أحكام السياسة الشرعية في الانتخابات الرئاسية المصرية



محمد بن شاكر الشريف

alsharif@albayan.co.uk

من النتائج المهمة التي أسفرت عنها الثورات العربية المعاصرة بعث الحياة في علم كاد أن يذبل ويُقتصر الكلام فيه على قاعات الدرس في الجامعات والمعاهد العلمية وهو علم السياسة الشرعية، فبعد أن طغى الدخيل من السياسات وغيرها على الساحة في بلدان المسلمين ممّا حُجم من الالتفات إلى علم السياسة الشرعية والاعتناء به، إذا بالثورات تعيده إلى صدارة الأولويات فصرنا نسمع عنه في الدروس العلمية والمحاضرات والندوات والأسئلة والاستفسارات وفي البرامج الفضائية بعد أن كان نسياً منسياً.

من المسائل التي تحتاج اليوم للنظر إليها من وجهة نظر السياسة الشرعية مسألة الانتخابات الرئاسية في مصر.

الانتخاب الرئاسي: يعني اختيار شخص من بين عدة أشخاص يسبقه قبل ذلك وجود أكثر من طالب أو مرشح للرئاسة يكون الاختيار من بينهم، وهذه المسألة تعني وجود أكثر من قضية متعلقة بأحكامها فمن ذلك:

أولاً: حكم طلب الولاية.

ثانياً: صفات من يجوز توليته.

ثالثاً: صفات من يختار أو ينتخب.

رابعاً: ما العمل إذا تعارض الواقع المعمول به مع الحكم الشرعي.

أولاً: حكم طلب الولاية أو الترشح لرئاسة الجمهورية:

الأصل الذي تدلُّ عليه النصوص الشرعية أن المسلم ليس له أن يطلب الدخول في الولاية؛ لأنه باختياره هذا الأمر يُعرض نفسه لبلاء قد لا يطيقه ثم لا يجد على ذلك عوناً من الله تعالى:

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى

فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ.

أما إذا طُلب لها أو فُرضت عليه فإنه ما يزال معه من الله معين:

وإذا كان عون الله للمرء شاملاً

تهياً له من كل شيء مراده.

وقد دلَّ على ذلك الحديث المشهور عندما قال الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة - رضي الله عنه - : «يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها»^(١)، وقوله لأبي ذر - رضي الله تعالى عنه - : «يا أبا ذر، إني أحب لك ما أحب لنفسي، وإنني أراك ضعيفاً، فلا تأمرنَّ على اثنين، ولا تليَنَّ مال يتيم»، وقوله ﷺ لأبي ذر عندما سأله: «ألا تستعملني؟» قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»^(٢)، وقال لعنه العباس - رضي الله عنه - حينما قال له: «يا رسول الله، ألا تستعملني؟» فقال: يا عباس يا عم رسول الله ﷺ؛ نفس تتجيبها خير من إمارة لا تحصيلها»^(٣).

كما دلَّت النصوص على أن من طلبها فلا ينبغي أن يُجاب طلبه كما جاء في حديث أبي موسى: «قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، أمرنا على بعض ما ولاك الله - عزَّ وجلَّ -، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: «إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سألته، ولا أحداً حرص عليه»^(٤)، ومنهج الإسلام في ذلك أن الولاية الصغرى يتولاها المرء بتولية صاحب الولاية الكبرى له، وأما الولاية الكبرى التي هي الرئاسة العليا للدولة فلا يطلبها المرء وإنما تعرض عليه ممن له الحق في إسنادها إليه، ومن هذا يتبين أن طلبها أو الترشح لها - سواء أكانت صغرى أم كبرى؛ ليس طريقاً مقبولاً من وجهة النظر الشرعية، غير أن هذا الحكم ترد عليه بعض الاستثناءات فمن ذلك:

١- عندما ينحصر الصلاح للولاية في شخص واحد بحيث يكون هو الصالح الوحيد لها وما عداه لا يصلح لها، ولا ينبغي أن يكون التفاوت هنا تفاوتاً في مزيد الصلاح ولكنه تفاوت في أصل الصلاح كأن يكون أحدهما جامعاً لأركان الصلاح وواجباته، ويكون ما عداه ناقصاً عنه إما

في الأركان وإما في الواجبات وإما في كليهما، أما إذا كان التفاوت في مزيد الصلاح بعد أن يستويا في أركانه وواجباته فإن المزيد في الصلاح لا يجيز لأحد الصالحين طلبها ما دام أن هناك من يشاركه في الصلاح الواجب، على أنه لا ينبغي أن يقتصر رؤية انحصار الصلاح للولاية في شخص على مجرد رؤية الشخص نفسه لأن الإنسان قد يرى في نفسه ما ليس حقيقياً لفرط ثقته في نفسه ومزيد تقديره لها، بل ينبغي أن يراه الناس كذلك أو يقدم هو من البراهين والأدلة التي يقتنع بها الناس على صدق رؤيته لنفسه، والأصل في هذا الاستثناء طلب يوسف - عليه السلام - من ملك مصر في زمنه الولاية التي بمقتضاها يتصرف باجتهاده في خزائن مصر، وقد كان الملك وقتها يراه كذلك أي أن الصلاح منحصر فيه لسابق تأويله للرؤيا التي تدلُّ على علمه وكفاءته، وقد ذكر هو من الدليل على مقدرته وكفاءته أنه حفيظ عليم قال يوسف - عليه السلام - عندما قال له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾^(٥) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٦﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٥]، ومن هنا فإذا كان من هؤلاء الذين أظهروا رغبتهم في الترشح من انحصار الصلاح فيه فهو الذي يجوز له الترشح، أما إن كان الصلاح لم ينحصر في واحد منهم؛ بل الصلاح موجود في أكثر من واحد منهم، فلا ينبغي له أن يتقدم لأنه فقد مسوغ مخالفة الأصل، ولا شك أن ميادين الصلاح كثيرة وعلى رأسها أو ذروة سنامها الإيمان الكامل التام بصلاحيه الشرعية، ووجوب تحكيمها والتمسك الصريح بها، وعقد العزم على إنفاذها وتحكيمها، وهذا ليس كلمة تقال أو وعد يعطى من غير أن تكون هناك دلائل على صدق التمسك به والعزم على إنفاذه، ويتبين ذلك من خلال الكلام التفصيلي الذي لا يناقض الكلام العام أو المجمع بالتمسك بالشرعية، كما يتبين بعدم صدور أقوال ورؤى تخالف الكلام المجمع، وإذا كانت لبعض المرشحين كلمات سابقة تدلُّ على بعده عن التمسك الصريح الصحيح بالشرعية، فالغالب أن تكون كلماته اللاحقة المخالفة للمتقدمة من باب الدعاية الانتخابية أو لكسب الأصوات الإسلامية، ولا يكون هذا من قبيل التوبة والرجوع عمماً قاله سابقاً إلا أن يعلن ذلك فيعلن رجوعه عمماً سبق أن قاله مناقضاً لما يعلنه حالياً، فلا يمكن لمن كان يقول سلفاً إن الشرعية كانت مطبقة في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٦٢٤٨ ومسلم في صحيحه رقم ١٦٥٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ١٨٢٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة رقم ٢٢٥٤، والسنة لأبي بكر الخلال رقم ٦٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ١٧٢٣ والبخاري في صحيحه رقم ٧١٤٩.

جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد حين غير إمرة ففتح عليه^(١)، وقد بوب عليه البخاري بقوله: «باب من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو»، فهو بذلك يشير إلى حال الضرورة التي حملت القائد الهمام خالد على التقدم وتحمل المسؤولية من غير أن يسبق تأميره وهو مما يبين جواز الإقدام على ذلك في مثل تلك الأحوال.

٣- الحال الثالثة التي يجوز فيها التقدم لطلب الولاية أن يكون النظام غير ملتزم بالضوابط الشرعية في تولية الولايات حيث يتيح لكل أحد أن يتقدم لطلب الرئاسة مما يترتب عليه إمكانية أن يتولى الأمر من ليس هو صالح له، وحينئذ يكون تقدم المسلم لها من باب دفع من ليس صالحاً لها عن توليها وإن لم يكن صلاح المسلم لها تاماً فهو من باب احتمال أخف الضررين، فلو لم يتقدم مسلم لها وإن لم يكن كامل الصلاح؛ لأدى ذلك إلى تقدم من ليس صالحاً لها أصلاً وحينئذ يكون إحجام المسلمين عن التقدم لطلبها بمنزلة تيسير الطريق وتسهيلها أمام غير الصالحين لها.

ومن خلال هذه الاستثناءات يتبين لنا أن تقدم بعض المسلمين لتولي هذا الأمر مما يجوز الإقدام عليه في ظل الظروف القائمة في مصر، فإذا كان الاستثناء الأول يقصر جواز التقدم على من انحصر الصلاح فيه، فإن الاستثناء الثالث يوسع الباب أمام من لم ينحصر الصلاح فيه للتقدم لهذا الأمر وذلك حتى يمنع من ليس صالحاً أصلاً لتولي هذا الأمر.

ثانياً: صفات من يجوز توليته:

الصفات المطلوبة فيمن يتولى أمر الأمة تنقسم إلى عدة أقسام:

- منها ما يتعلق بالحواس: كالبصر والسمع ونطق اللسان فمما لا يخفى على الناظر ضرورة سلامة الحواس المذكورة كي يتمكن الوالي من القيام بواجباته التي نصب من أجل تحقيقها، وإن الإخلال بتلك الحواس أو أحدها كأن يكون أعمى أو أصم أو أخرس فإنه يعسر عليه جداً القيام بتلك الواجبات مما يمتنع معه تولية من هذا حاله.

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٠٦٣.

زمن النظام البائد وما كان من أمور لا تحمد لا يعدو أن يكون خللاً إدارياً، وأن الداعين إلى تطبيق الشريعة إنما هم يزايدون بذلك، لا يمكن أن يحمل قوله اليوم على تطبيق الشريعة على المعنى الحسن إلا أن يتراجع عن قوله السابق، كما لا يمكن لمن كان يقول: إنه ليس بين المسلمين والنصارى خلاف في العقيدة أن يحمل قوله اليوم على تطبيق الشريعة على المعنى الحسن إلا أن يتراجع عن قوله السابق، ولا شك عندي في أن من خلا كلامه عن التصريح بالتمسك بالشريعة وتحكيمها قولاً وفعلاً فقد فقد ركناً ركيناً من أركان الصلاح للمنصب حتى لو كان مستكملاً لبقية الأركان.

وانطلاقاً من هذا الاستثناء يمكن القول: إنه لو تقدم رجل للمنصب وانحصر الصلاح فيه وكان ممن حصل له قبول أو ركون ظاهري من جمهور الناس، فإنه لا ينبغي لأحد بعده أن يتقدم؛ لأن استثناء طلب الولاية مبني على عدم وجود من يصلح لها لذا أجاز للصلاح أن يتقدم لها فإذا تقدم من هو صالح لها؛ وظهر ركون الناس له وقبولهم له، فإن تقدم الثاني من بعده يكون تقدماً بغير مسوغ يجيزه.

٢- الحال الثانية التي يجوز فيها التقدم لطلب الولاية أن يخلو مكان الإمارة بموت مفاجئ أو نحوه، ولا يكون هناك مجال لاختيار الأمير بالطريق الاعتيادي نظراً لطرف طارئ بالأمة فإنه يجوز لمن أنس من نفسه قدرة على القيام بمهام الإمارة أن يطلبها ممن يملك إعطاءها؛ بل يجوز له أن يستولي عليها إذا شغرت المكان وكان في تقاعسه عن التقدم لهذا المنصب إضاعة للناس، فإنه يجوز له التقدم بل ربما يجب، لكن هذا لا يمنع من محاولة الحصول على موافقة من يتيسر اجتماعهم ممن له حق التولية بغير إخلال بمتطلبات الطرف الطارئ، ودليل ذلك فيما كان من غزوة مؤتة عندما استشهد الأمراء الذين ولاهم رسول الله ﷺ وبقي الجيش في أرض بعيدة بدون قائد أو أمير في مواجهة جيش محارب، وفي هذا الطرف الطارئ العصيب لا يكون طلب الإمارة من باب الحرص على المنصب؛ لأن الإمارة في تلك الحال من باب المغارم وليس من باب المغانم، أخرج البخاري في صحيحه وغيره عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: خطب رسول الله ﷺ، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها

لما يقوم به من أعمال وتصرفات جسيمة فإنه في حاجة أكيدة إلى الرأي النافذ، والقدرة على استشراق القدام، والنظر في مآلات الأحداث التي ربما تكون مبادئها غير ظاهرة للعيان.

٤- ويأتي على رأس هذه الصفات الدين فيشترط

بالإجماع أن يكون الرئيس في بلاد المسلمين مسلماً، والمقصود بكونه مسلماً ليس أن يكون له اسم من أسماء المسلمين أو يكون مولوداً لأبوين مسلمين أو يكون مدوناً أمام خانة الديانة في شهادة الميلاد أنه مسلم؛ بل المراد بذلك أن يكون منسوباً لحقيقة الإسلام في أصوله وفروعه وعقيدته وشرائعه وهذا يقتضي منه الانحياز التام إلى شريعة الله تعالى كلها واليقين الجازم بكمالها وعمومها، وأنها العلاج التام لكل أدواء المجتمعات سواء أفي السياسة أم الاقتصاد أم القضاء أم الحقوق والحريات، والجهر بذلك في كل مناسبة ولا يكون ذلك مجرد عقيدة يسرها في نفسه والسعي بكل طريق في سبيل تحكيمها في أرض الواقع.

وعندما ننظر اليوم في واقع المرشحين اليوم سواء أكان ممن يُقال عنه إنه مرشح إسلامي أم لا يُقال عنه ذلك؛ لا نجد واحداً منهم تتحقق فيه كل هذه الصفات، ومن ثمّ فلا مناص من الموازنة بين المرشحين واختيار أكثرهم قرباً من هذه الصفات.

ثالثاً: صفات من يختار:

طالما أن الحديث عن دولة إسلامية ينص دستورها على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع فكان مقتضى ذلك أن يجري كل شيء فيها وفقاً لما تقتضي به الشريعة، ومنها ما يتعلق بنظام الحكم وإقامة النظام السياسي، لكن الواقع بخلاف ذلك حيث يتيح النظام لغير المسلم وللمرأة الترشح لمنصب الرئاسة، ومن باب أولى إعطاؤهم الحق في اختيار من يتقلد هذا المنصب، والأحكام الشرعية في هذا الجانب واضحة وهي معلومة مذكورة في النصوص الشرعية وفي مصنفات أهل العلم في كتب السياسة الشرعية أو الأحكام السلطانية،

- ومنها ما يتعلق بالأعضاء: كفقْد الرجلين أو

اليدين فهذا ممّا ينزل منزلة العمى والصمم والخرس لأنه عائق كبير لولي الأمر عن القيام بما يجب عليه، ويكون مانعاً من قيامه بواجباته التي نصب من أجل القيام، فيها فلا ينبغي أن يُؤلّى والحال هذه.

- ومنها ما يتعلق بالصفات اللازمة: وهي أن يكون

الإمام من قريش، وهذا الشرط إنما هو في حق الإمام أو أمير المؤمنين، ورئيس مصر ليس أميراً للمؤمنين جميعهم فلا يشترط فيه هذا الشرط ولا يعدُّ تخلفه قادحاً في ولايته.

- ومن الصفات اللازمة المجمع عليها: المذكورة -

الحرية - العقل - البلوغ، فلا رئاسة لامرأة، ولا رئاسة لعبد، ولا رئاسة لفاقد أو ناقص العقل، ولا رئاسة لصبي، وممّا يلحق بالصفات اللازمة الشجاعة: فلا يصلح أن يكون الرئيس والقائد الأعلى للبلاد خواراً جباناً، وكذلك الشهامة فلا يصلح ألا يكون عنده صبر ولا جلد ولا صلابة في مواجهة الشدائد والأزمات.

- ومنها ما يتعلق بالصفات المكتسبة: وهي:

١- العلم وهو لا حدّ لأكثره وأما أقل ما يُعتدُّ به من قدر العلم ما يتمكن به الرئيس من استقلاله بنفسه في تدبير الأمور الدينية، والدنيوية، والقدرة على فهم ما يحال إليه ممّا هو متعلق بتلك الأمور والنظر فيه على نحو يستطيع معه الموازنة بين الأقوال المختلفة والوصول إلى رأي هو أقرب ما يكون إلى الصحة والصواب، وتحقيق هذا الحد من العلم لا يمانع أو يعارض وجود مجلس شوري للرئيس في مختلف التخصصات يستشير به فيما يريد البتّ فيه.

٢- التقوى والسورع وهي صفة في النفس تحمل

صاحبها على مجانبة كبائر الذنوب والحياء، والبعد عن التظاهر بصغارها، فمن لم يقدر على كف نفسه عن الوقوع في هذه الأمور فلن يقدر على سياسة أمة خاصة وهو في حاجة إلى أن يكفها عمّاً لم يقدر على كف نفسه عنه فأتى له ذلك.

٣- توقد الرأي في عظامم الأمور، والنظر في مغبات

العواقب (كما يقول الجويني في الغياثي): فالرئيس نظراً

رابعاً: ما العمل إذا تعارض الواقع المعمول به مع الحكم الشرعي:

نظراً لأن الأمور تدار في غالب البلاد الإسلامية بموازنين ليست مرتبطة بالشريعة في كثير من الأحيان، فإنه من المتوقع أن تكون التنظيمات المتعلقة بإدارة الانتخابات في كثير من جوانبها ليست متفقة مع الأحكام الشرعية التي جاءت في النصوص، والتي أوردتها أهل العلم في مصنفاتهم، ومن هنا ظهر من يقول بعدم خوض هذه الانتخابات والمشاركة العامة في العملية السياسية: لأن ذلك سوف يوقع حتماً في مخالفات شرعية أو على الأقل الموافقة عليها والإقرار بها.

وهذا القول لا شك له حظ من النظر وهو خلاف معتد به، لكن هناك أكثر من محدد يدعو إلى المشاركة وخوض تلك الانتخابات على الرغم ممّا فيها من المخالفات الشرعية، فمن ذلك:

١- أن عدم المشاركة سوف يجعل الطريق سهلاً ميسراً للوصول من لا يستحق لهذا المنصب الذي سيكون له تأثير كبير على المجتمع في كافة جوانبه وقضاياها، والموازنة الآن بين منكرين:

أ- منكر المشاركة في ظل نظام به مخالفات شرعية.

ب- منكر وصول شخصية غير إسلامية لهذا المنصب تقسّد البلاد والعباد وتبعدهم عن الالتزام بالشرع في كثير من الجوانب، وعلى أقل تقدير لن يكون من اهتماماته تحكيم شرع الله ممّا يعني ضياع تحكيم الشريعة على المدى الطويل كما حدث من قبل.

والمنكر الثاني بلا شك أكبر وخطره أشد حيث سيقود المجتمع في النهاية إلى وجهة غير إسلامية، ويوقع المجتمع في مخالفات شرعية أكبر بكثير من المخالفات التي تحدث نتيجة الانتخابات الرئاسية في ظل نظام به مخالفات شرعية، فضلاً عن أن مخالفات المشاركة في الانتخابات لا يلزم المرشح أو المنتخب أن يعلن عن موافقته عليها أو الالتزام بها لا تصريحاً ولا كتابة، وأكثر ما فيها ما يمكن أن يفهم من الموافقة الضمنية التي تزول بالتصريح بالصواب الذي تدل عليه النصوص وقبوله ونبذ ما خالفه.

٢- أن المشاركة تتم في ظل نظام لم يستقر بعد ومن ثم فإمكانية التغيير أو البناء الجديد أبوابها مشرعة ومن المأمول أن يحدث تغيير حقيقي في الاتجاه الذي نريد وعلى ذلك تكون المشاركة لإحداث التغيير المنشود في الاتجاه الصحيح.

حيث من يحق لهم الاختيار هم طائفة من الناس لهم صفات تؤهلهم للاختيار الصحيح من حيث العلم الذي يمكنهم من معرفة من توجد فيه الصفات المؤهلة للولاية على نحو أكمل من غيره، ومن حيث العدالة التي تحجزهم عن اتباع الهوى في الاختيار، وهذه الطائفة معروفة في كتب السياسة الشرعية بأهل الحل والعقد، والأمر في الأنظمة المعاصرة التي تؤخذ بالنظام الانتخابي ليس كذلك حيث تتيح أغلب هذه الأنظمة لمن بلغ سن الثامنة عشرة من مواطنيها المسلم منهم والكافر الرجل والمرأة على حد سواء، الحق في اختيار من يشغل منصب الرئيس.

وهنا نقطة نود أن نثيرها في هذا الصدد وهو تصور بعض الجماعات الإسلامية أن لها الحق في أن تملّي على أفرادها اختيار من تراه الجماعة أهلاً لمنصب الرئاسة، ويعدون ذلك داخلياً تحت السمع والطاعة التي بين إمارة الجماعة وأفرادها، ومن غير دخول في مناقشة القضية الأصل أعني مسألة السمع والطاعة بين الجماعة وأفرادها فإننا نقول: إن مسألة اختيار رئيس البلاد ليست داخلة تحت السمع والطاعة فليس يلزم أحد ينتمي لجماعة ما أن يتقيد بما تختاره الجماعة لهذا المنصب، لأن الاختيار هنا يعبر عن رأي عضو الجماعة عن مدى اقتناعه بصلاحيّة ذلك المرشح لهذا المنصب، وهذا لا يدخل فيه السمع والطاعة، فلا يمكن لأحد أياً كان أن يأمر أحداً بأن يقتنع بصلاحيّة مرشح ما لمنصب الرئاسة، فالإقتناع والتصور والرؤية ليست مسألة تنفيذية يتصور فيها الأمر والنهي ومن ثم السمع والطاعة، والمتكلمون في التكييف الفقهي للانتخاب بعضهم يقول: إنه من باب الشهادة والشاهد لا يجوز له أن يشهد إلا بما يراه هو صواباً، ومن ثم فلا معنى للسمع والطاعة في الشهادة، وبعضهم يقول عن الانتخاب إنه من باب الوكالة أو الإنابة والمسلم لا يوكل أو ينيب إلا من يراه هو ويرضيه ليكون وكيلاً أو نائباً عنه، ومن ثم فلا يدخل في ذلك أيضاً السمع والطاعة، فكيفما كان تكييف الانتخاب فلا يدخله الأمر والنهي من أمير الجماعة ومن ثم السمع والطاعة.

نماء

منهج بناء الشخصية الإسلامية
من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة

بمشاركة فريق من الباحثين المختصين

للمربين ..
.. للأسرة ..
.. للدعاة



أولادي والتقنية

بناء قيادات
اجتماعية فاعلة

أريد بناء
الخلق الحسن
لدى ابنتي

كيف نبني
داعية مؤثراً؟

ابني المراهق
وعلاقته بالله

كيف أجعل
طفلي منظماً.

إعداد مؤسسة

المربي

ALMURABBI

إخراج وتصميم

BN

www.BNet.ws



الإسلاميون .. هل يقدرّون على الحكم؟

أحمد فهمي

afahmee@hotmail.com

@ahmdfahmee

وهكذا تحول الشعب المصري إلى ساحة تجارب تعلم فيها الأشاوس كيف يديرون الدولة، على الأقل لحسابهم..

ثم جاء السادات، وهو أيضاً من فصيل الضباط الأحرار الذين تقلدوا في زمن عبد الناصر مناصب متتالية لا علاقة بينها، فقد كان مسؤولاً عن صحيفة قومية، كما شارك في محكمة الثورة التي أصدرت أحكامها على جماعة الإخوان، وتسلّم منصب رئيس مجلس الأمة - الشعب - وأخيراً أصبح نائباً لرئيس الجمهورية، ثم رئيساً، فما خبراته في السياسة والحكم والإدارة؟..

بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م دخل جمال عبد الناصر ورفاقه من الضباط الذين لم تتجاوز أعمار أكثرهم منتصف الثلاثينات، عالم إدارة الدولة والحكم مرة واحدة ودون سابق إنذار أو إعداد مسبق، فالنجاح الساحق الذي حققته الثورة لم يكن متوقفاً بهذه الصورة، لذا لم يفكر أحد قبل الثورة في كيفية إدارة الدولة بعد الثورة، وعن هذه المرحلة يقول عبد الناصر نفسه: «ماكنش مطلوب مني أبداً في يوم ٢٣ يوليو إني أطلع معايا كتاب مطبوع وأقول: إن هذا الكتاب هو النظرية.. مستحيل لو كنا قعدنا نعمل الكتاب ده قبل ٢٣ يوليو ماكناش عملنا ٢٣ يوليو لأن مكناش نقدر نعمل العمليتين مع بعض»^(١).

(١) أزمة المثقفين وثورة يوليو، عادل حمودة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ٧٧.

جميع الأحزاب التي تتولى الحكم في مختلف دول العالم، كان لها سابقة أولى، ومرّت دون شك بمرحلة الصدمة عند تولي المسؤولية للمرة الأولى، ولو أنّ كل حزب حاز أغلبية أصوات الناخبين واضطلع بمسؤولية مباشرة في إدارة أجهزة الدولة، واجه مثل هذه الاتهامات، لظل الحكم في كافة أنحاء العالم خاضعاً لسيطرة الحزب الواحد، ولتلاشى مفهوم «تداول السلطة»..

لا أهدف الدخول في تعقيدات سياسية أو علمية، بل مجرد وضع النقاط على الحروف، إذ الهدف من المقال أساساً تقوية معنويات الإسلاميين في خضم الهجمات الإعلامية التي يوجهونها، والتي ترمي إلى إضعاف ثقتهم بالله - أولاً - ثم بأنفسهم.. فما المقومات الأساسية الواجب توفرها لكي نقول: إن حزباً ما قادر على تولي الحكم؟ ..

١ في البداية، يجب أن نفرق بين الأنظمة السياسية، فهناك نظام رئاسي، برلماني، مختلط... والذي يفرق بينها هو كيفية توزيع الصلاحيات بين رئيس الحكومة ورئيس الدولة.. وفي جميع الحالات لا يبدأ الحزب من الصفر، حيث يكون له سابقة تجارب برلمانية، على الأقل في الحال المصرية، فإن جماعة الإخوان المسلمين تمتلك خبرة واسعة تمتد لما يقرب من ثلاثين عاماً في العمل البرلماني، ولو أخذنا الولايات المتحدة كمثال، سنجد أن نسبة كبيرة من رؤساء الدولة كانوا نواباً سابقين..

٢ العنصر الأهم في تحديد قدرة الحزب على إدارة الدولة، هو امتلاكه لبرنامج قوي ومشروع سياسي مقنع، وقد تجلّى ذلك بوضوح في الانتخابات البرلمانية - الشعب والشورى - ثم في مرشحي الرئاسة المنتمين إلى المرجعية الإسلامية، وفي كل المحافل الانتخابية يبرز الإسلاميون بوصفهم أصحاب الرؤية الأقوى والبرنامج الأكثر وضوحاً..

في كتابه «خريف الغضب» قدّم محمد حسنين هيكل صورة لشخصية السادات كرئيس دولة، تكشف عن قدر كبير من العشوائية والتخبط والبعد التام عن المؤسسية والقرارات المدروسة، فضلاً عن الفقر في المؤهلات الأكاديمية والعلمية..

ثم جاء بعدهما، مبارك، بالطريقة نفسها، ويحكي د. يحيى الجمل عن بداية اختيار السادات «مبارك» نائباً للرئيس، فيقول: «جمعنا جلسة مشتركة تضم كلاً من السادات ومبارك والبايز والمحجوب، وفي أثناء الجلسة وجّه السادات كلامه لكل من المحجوب والبايز قائلاً: «حسني أهو، ما يعرفش حاجة، وعليكو إنكم تعلموه وتفهموه». ثم قال لمبارك: «وأنت يا حسني اللي يقولك عليه الباز والمحجوب تعمله، فاهم؟»^(١).

شرع مبارك في بداية توليه الحكم إثر مقتل السادات، في تلقي محاضرات ودورات تدريبية، شارك فيها د. كمال الجنزوري الذي كان يشغل منصب رئيس معهد التخطيط القومي في ذلك الوقت، ويقول د. حمدي السيد نقيب الأطباء السابق: «أذكر في أحد اللقاءات مع مبارك في بداية حكمه وكان معنا د. كمال الجنزوري، وكان يقدم محاضرة في التخطيط، والرئيس مبارك يستمع، وفي وسط الكلام قال له مبارك: «بس كلمني على قدي علشان أنا مش فاهم اللي أنت بتقوله»^(٢).

بعد ثورة ٢٥ يناير تولى الحكم في مصر المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وهم ضباط عسكريون لا سابقة لهم في العمل السياسي وإدارة شؤون الدولة.. هذه المقدمة الطويلة، أسردها في سياق الردّ على من يستفرغ الوسع والجهد في اتهام الإسلاميين بالعجز عن إدارة الدولة في مصر، وإنهم غير مؤهلين لذلك ولا يملكون القدرات ولا الكفاءات اللازمة، وقد صرح بذلك كثير من الرموز والقيادات العلمانية، وللأسف بدأت هذه المقولة تتسرب إلى عقول بعض الإسلاميين فتأثروا بها، واقتنعوا فعلاً أن الإسلاميين غير قادرين..

(١) حوار د. يحيى الجمل مع صحيفة الشرق الأوسط ١٠-٩-٢٠١١م.

(٢) حوار د. حمدي السيد مع صحيفة الشروق، ٢٢-٢-٢٠١١م.

٧ مؤسسات الدول تخدم جميع الأحزاب والقوى السياسية، وهي مهياة أساساً للعمل تحت قيادة أي نظام سياسي، أو أي حزب أغلبية، وبالتالي فإن الحزب الذي يشكل حكومة جديدة، لن يكون مكلفاً بإنشاء مؤسسات جديدة موازية، فهو يستعين بصورة مباشرة بكافة القدرات المتاحة في تلك المؤسسات في كافة المجالات التنفيذية والاستشارية، من أجل خدمة مشروعه السياسي..

٨ يمكن لحزب الأغلبية أن يستعين بـ «التكنوقراط»، وهم المتخصصون في شتى المجالات، وغير المنتمين سياسياً، وهذه الاستعانة لا حدود لها، فهي تشمل شغل كافة المناصب القيادية بدءاً من رئاسة الحكومة وحتى المناصب القيادية الأخرى..

٩ ليس من العجلة مقارنة أي حزب إسلامي يفوز بالأغلبية في مصر، بالحزب الوطني المنحل، من حيث الإمكانيات والكفاءات، فالحزب الوطني نشأ حزباً لكنه ابتلع الدولة، فتماهت الدولة في داخله، وهذه حال لا يقبل أحد تكرارها، لا للإسلاميين، ولا لغيرهم...



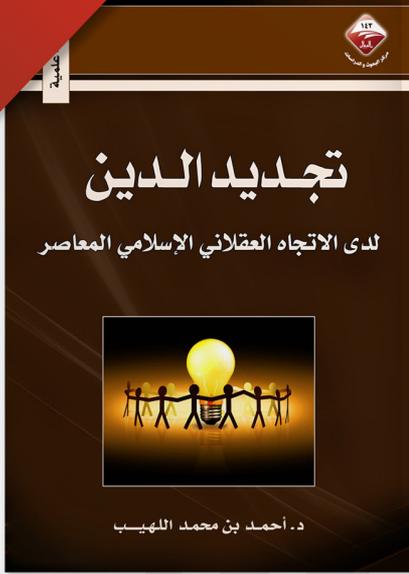
٣ أثبتت الأحزاب الإسلامية قدرتها الفائقة على التطور السريع والتكيف مع متغيرات الواقع، ويكفي الإشارة إلى قدرة «الدعوة السلفية» وهي التيار السلفي الأبرز في مصر، على تأسيس حزب سياسي والمشاركة، في الانتخابات وتحقيق نتائج مبهرة، في مدة زمنية يسيرة، عجزت الأحزاب العلمانية عن مجاراتها... وهذا مؤشر قوي يصلح لقياس كفاءة القوى السياسية الإسلامية في مجال إدارة الحكم..

٤ تضم التيارات الإسلامية بين صفوفها أعداداً هائلة من المتخصصين في كافة المجالات، بدءاً من المهن الصغيرة، وانتهاء بأساتذة الجامعات، ويكفي للدلالة على ذلك نتائج انتخابات النقابات المهنية، فإما أن يكتسحها الإسلاميون وإما أن يكونوا المنافس الأبرز.

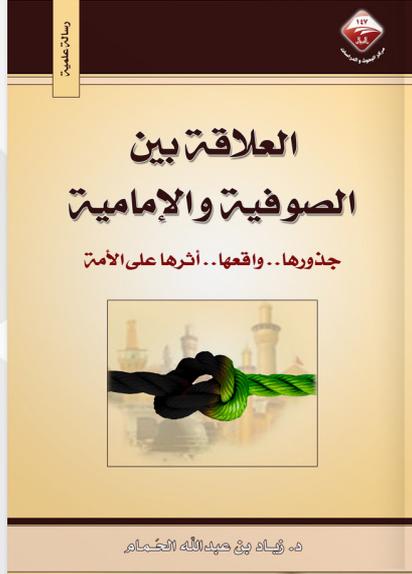
٥ التواجد التنظيمي القوي للتيارات الإسلامية في الأوساط المجتمعية، تكفل لهم أمرين: التواصل المباشر مع فئات المجتمع، والشمول الجغرافي لكافة مناطق الدولة، وهذين الأمرين يترجمان عملياً في قدرة سياسية على التأثير المجتمعي والتعرف على مشكلاته وطموحاته..

٦ لم يقل أحد: إن الحزب الحاكم يكون ملزماً بتغيير كافة القيادات الإدارية العليا عند توليه الحكم حتى نتساءل عن امتلاكه للعدد الكافي من الكفاءات، ويبلغ عدد القيادات في البنية السياسية العليا في مصر نحو ٤٠٠٠ تقريباً، فلا يعقل أن يبادر الحزب المتقلد للحكم حديثاً إلى تحية هؤلاء فوراً وتعيين بدلاء ينتمون إليه، على الأقل يجب أن يتم ذلك بصورة تدريجية حتى لا يختل العمل في مؤسسات الدولة، وحتى إن حدث التغيير على صعيد تبني «سياسة تطهير» من فلول النظام المخلوع، فإن التدرج لابد أن يراعى في هذا الأمر من ناحية، ومن ناحية أخرى فلا يشترط أن يكون البدلاء منتمين إلى حزب الأغلبية..

جديد ..



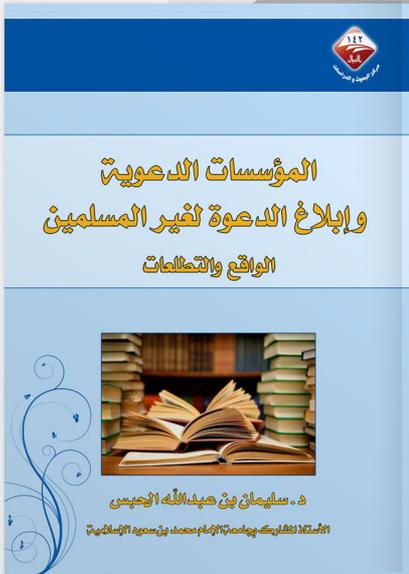
جديد ..



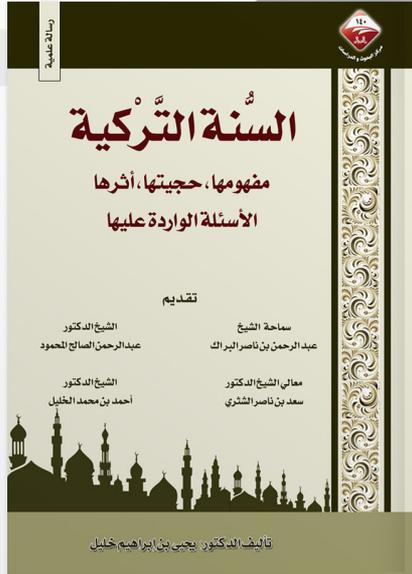
جديد ..



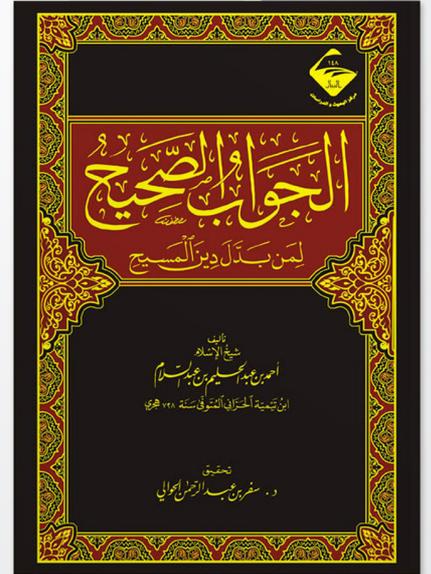
جديد ..



جديد ..



جديد ..





حسن الرشيدى(*)

istratigi@hotmail.com

«أكثر شخصية ذكية الآن في الشارع المصري هو المشير طنطاوي»

هذا تعليق سمدار يبيري محررة الشؤون العربية في صحيفة ידיעות أحرونوت الإسرائيلية، وتعلل الصحفية الإسرائيلية قولها هذا بأنه نجح حتى اليوم في إحراز الأهداف التي حددها لنفسه بحنكة كبيرة.

وأضافت يبيري: أن ما يجري في مصر الآن يجعل قادة وخبراء الاستخبارات الإسرائيلية «الموساد» أو غيرها من الأجهزة الأمنية يشعرون بالضيق قائلة: «إن جميع هؤلاء الخبراء لا يعرفون أو يتوقعون ما الذي سيجري في مصر الجديدة بعد تنحية مبارك ومحاكمته وتواصل الثورة بهذه الصورة في الشارع».



فهل نجح المجلس العسكري بقيادة المشير حسين طنطاوي في تحقيق الأهداف التي حددها لنفسه بالفعل كما تقول الصحيفة الإسرائيلية

أهداف المجلس العسكري:

لا يستطيع أحد أن يقول: إن المجلس العسكري يرغب في البقاء بالسلطة طمعاً فيها؛ وذلك من عدة اعتبارات:

أولاً: إن السلطة في مصر لم تعد مغنماً فالصعوبات الاقتصادية والتحول الاجتماعي والثورة التي تجتاح قطاعات كبيرة من الغاضبين والمحبطين تجعل من حكم مصر أشبه بمن يريد الخوض في مستنقع لا يدري أيغرق به أم ينجو منه؟

ثانياً: إن المجموعة التي في قيادة المجلس العسكري ليست قيادات شبابية فمعظمها تخطى الستين، وليسوا كمجموعة يوليو ٥٢ فقد كان متوسط أعمارهم في الثلاثينات والشباب له طموح ورغبات، وهذا مالا يتوافر في المجلس العسكري الحالي؛ بل غالبيتهم على وشك التقاعد ومن في هذا العمر أقصى طموحاته هو تقاعد مريح يحتفظ فيه بما حققه قبل ذلك.

فإذا كان المجلس العسكري لا يرغب في البقاء في السلطة فماذا يريد إذا؟

يقع المحلل الذي يحاول استنباط الأهداف الإستراتيجية للمجلس العسكري في حيرة بالغة؛ لقلّة التصريحات التي تصدر عن قادة المجلس، وتعمدهم في نفس الوقت الإصرار على أنهم ماضون في طريق واحد لتسليم السلطة إلى المدنيين؛ ولكن في أثناء تصريحاتهم ومواقفهم والتسريبات المتعمدة عن المقربين منهم، ثم التقارير الغربية التي تتناول خفايا المجلس، وكذلك مقارنة أنموذجهم بنماذج شبيهة في بلدان أخرى يمكن تتبع ماذا يريد هؤلاء؟

ولكن الأمر لا يخلو من إرسال رسائل مباشرة على ندرتها؛ من بينها التصريحات الخطيرة للواء محمود نصر مساعد وزير الدفاع للشؤون المالية في مؤتمر صحفي غير مسبوق عقده في ٢٧ مارس الماضي حيث كشف اللواء ولأول مرة أن حجم ميزانية القوات المسلحة لا تتعدى ٥٪ من ميزانية الدولة المصرية، وتحدث أيضاً عن النشاط الاقتصادي للجيش الذي يجعله مكتفياً ذاتياً ومعيشياً عن الدولة، والفائض يبيعه للمدنيين، وهذا الفائض هو الذي يخضع فقط لمراقبة الدولة ويدفع عنه الضرائب، واعترف بأن بعض القرارات طوال المرحلة الانتقالية لم تكن سليمة حيث إنها اتخذت في الوقت غير المناسب؛ ولكن أخطر ما قاله هو تأكيده على أن أموال الجيش ليست من أموال الدولة، ولن نسمح للدولة بالتدخل فيها لأنها ستخربها وسنقاتل دفاعاً عن مشروعاتنا، وهذه معركة لن نتركها والعرق الذي ظللنا ٣٠ سنة لن نتركه لأحد آخر يدمره، ولن نسمح لغيرنا أبداً كان بالاقتراب من مشروعات القوات المسلحة.

هذا التصريح ينم عن بعض ما يصبو إليه المجلس العسكري وهو:

أن ميزانية الجيش ومشروعاته مستقلة، ولا يسمح بتدخل النظام السياسي الجديد في هذه الميزانية.

و يبرر المجلس ذلك بعدم الثقة في قدرات المدنيين على إدارة هذه الميزانية، وعلى الرغم من أن نسبة الـ ٥٪ من ميزانية الدولة نسبة مختلف عليها، وربما كانت رداً على تقرير نشرته صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية قبل تصريحات اللواء نصر بيومين والذي ذُكر فيه أن الاستثمارات التي يقوم بها

الجيش تبلغ من ١٠٪ إلى ٤٠٪ تقريباً من الاقتصاد المصري. بينما يفصل تقرير غربي آخر (١) حجم الاقتصاد الذي يشرف عليه الجيش ويقول: إنه وبموجب معاهدة كامب ديفيد كان على الجيش أن يقلص قواته. وبدلاً من تسريح مئات الآلاف من الرجال أقام الجيش مصانع لتوظيفهم. وتنتج هذه المصانع الآن كل شيء بدءاً من الذخيرة وانتهاء بقدرور الطهي وطفائيات الحريق وأدوات المائدة. ويدير الجيش أيضاً مصارف وعمليات سياحية ومزارع ومحطات لمعالجة المياه وسلسلة من محطات البنزين وشركات مقاولات وشركات استيراد. والشركات التي يملكها الجيش منفرداً معفاة من الضرائب، ويعمل بها المجندون الذين يتقاضى الواحد منهم ما بين ١٧ و ٢٨ دولاراً في الشهر؛ غير أن الجيش يتولى إطعامهم ويقدم لهم الرعاية الطبية. ويؤكد لواء في الجيش المصري على عدم الثقة في كفاءة المدنيين إذا أداروا الشأن العسكري بقوله لوكالة الأنباء رويترز في ١٤ إبريل الماضي: إن الجيش هو المؤسسة الوحيدة التي تتمتع بالكفاءة الثابتة منذ فترة طويلة، والتي تستطيع الحفاظ على العلاقات الثنائية مع الدول الأخرى.

وهذه الجملة الأخيرة تنقلنا إلى الهدف الثاني والذي يسعى إليه المجلس العسكري وهو تحكّمه في العلاقات الدولية؛ خشية أن تتأثر بتولي قيادة غير مقدرّة لضرورات الأمن القومي.

وقد تحدثت بعض قيادات الإخوان عن أن قادة المجلس العسكري سألوا الجماعة عن رؤيتها للعلاقات مع إسرائيل.

فقيادة الجيش على ما يبدو لا تريد قيادة سياسية تورطها في أمور وتعقيدات قد تؤدّي إلى حرب في غير وقتها أو مكانها، فمسألة الأمن القومي هي مسألة أساسية لدى المجلس العسكري، وممّا يؤكد على هذه الرغبة مقاومة الجيش المصري محاولات الولايات المتحدة توظيفه في الإستراتيجيات الخاصة بها مثل مكافحة الإرهاب فتقول إحدى برقيات ويكيليكس المسربة التي تعود إلى ديسمبر ٢٠٠٨م: إن واشنطن قد سعت لإقناع القيادة المصرية بتوسيع مهمة الجيش بطريقة تعكس التهديدات الأمنية الإقليمية الجديدة مثل القرصنة وأمن الحدود ومكافحة الإرهاب، وأضافته الوثيقة أن القيادة المصرية قاومت جهودنا وهي راضية عن المضي فيما تقوم به منذ سنوات: التدريب على نزاع تتواجه فيه قوتان بمزيد من القوات البرية والمدركات،

(١) رويترز ١٤/٤/٢٠١٢م.

ولكن ماذا يفعل المجلس العسكري لتحقيق تلك الأهداف؟

استند المجلس العسكري إلى تنفيذ أهدافه على ركيزتين أساسيتين: الدستور والرئيس.

فوضع الجيش في الدستور، وصلاحيات تنفيذية لرئيس موال للعسكر هما الضمانتان اللتان يراهما المجلس العسكري سبيلاً وحيداً لصون مصالحه.

كانت أول إشارة لوضع خاص للجيش في الدستور فيما سمي بوثيقة مبادئ حاكمة وفوق دستورية، ثم جاءت وثيقة السلمي والتي تحدثت لأول مرة عن مادتين في الدستور هما المادة ٩ و١٠ وتتص المادة التاسعة على اختصاص المجلس الأعلى للقوات المسلحة دون غيره بالنظر في كل ما يتعلق بالشؤون الخاصة بالقوات المسلحة، ومناقشة بنود ميزانيتها على أن يتم إدراجها رقم واحد في موازنة الدولة، كما يختص دون غيره بالموافقة على أي تشريع يتعلق بالقوات المسلحة قبل إصداره، وهذا يضمن الهدف الأول للمجلس وهو الحفاظ على مصالحه الاقتصادية - وهذا ما قلناه سابقاً - بينما تنص المادة العاشرة على إنشاء مجلس يسمى مجلس الدفاع الوطني يتولى رئيس الجمهورية رئاسته، ويختص بالنظر في الشؤون الخاصة بوسائل تأمين البلاد وسلامتها وهذا يحقق الهدف الثاني الخاص بالأمن القومي.

و لكن أقوى إشارات جاءت في تصريحات صريحة للواء مختار الملا عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة الحاكم في مصر حيث شد في مقابلة مع صحفيي الجارديان وبعض وكالات الأنباء على بقاء ميزانية الجيش بعيداً عن الرقابة البرلمانية مؤكداً أن ذلك سببه الحال غير المستقرة للبلاد حالياً بالإضافة إلى أن البرلمان لا يمثل الشعب المصري كله، وأضاف أن المجلس العسكري سيحتفظ بصلاحيات كاملة على البرلمان المقبل والحكومة وعلى الرغم من أن المجلس العسكري تنصل من هذه التصريحات بعد صدامات شارع محمد محمود ومجلس الوزراء فقد كانت هذه التصريحات نقطة الانطلاق للصراع بين المجلس والإخوان. وبعده احتجاجات وخوفاً من انفجار أزمة جديدة لا يحتملها الزمان والمكان صرح طنطاوي أن وضع الجيش في الدستور القادم لن يختلف عمّا كان عليه في الدساتير السابقة.

و عند النظر في الدساتير السابقة نجد أنه منذ دستور ١٩٥٤م وحتى آخر دستور في عام ١٩٧١م، قد نصت هذه الدساتير على وجود مجلس الدفاع الوطني، ولا تتكلم هذه الدساتير عن طبيعة هذا المجلس أو طريقة تشكيله أو كيفية اتخاذ القرار فيه، وما حجم المدنيين والعسكريين فيه؟ وما اختصاصاته؟ إلا إشارة في دستور ٥٤ أنه دور استشاري ويختص باتخاذ التدابير الدفاعية وفي إعلان الحرب وعقد الصلح.



وتقول الولايات المتحدة: إن المسؤول عن ذلك هو وزير الدفاع محمد حسين طنطاوي الذي تصفه بأنه العقبة الأساسية لتحويل مهمة الجيش بحسب ويكليفس.

وتتجلى الحساسية في أن يراقب المدنيون الجيش أو أن يتحكموا في الترقيات والمناصب العسكرية، وفي رواية لقاتد سابق للحرس الجمهوري^(١) إن المشير باغته بعد العودة من اجتماع عاصف في مجلس الوزراء بعد فترة قصيرة من تولي أحمد نظيف رئاسته: هل يعقل أن أؤدي التحية العسكرية مستقبلاً لتنظيف الذي بهدلته اليوم.

و بالرغم من أن أحمد نظيف وهو آخر رئيس للوزراء في عهد مبارك يختلف عن رئيس وزراء أو رئيس جمهورية يجيء باختيار شعبي، ولكن هذا الأمر لم يتعود عليه ضباط الجيش في مصر من قبل.

(١) عبدالله السنوي-صحيفة العربي الناصري-٢٢/٤/٢٠١٢

- الأمن.

- الحال المعيشية.

كانت الأداة الرئيسية لتنفيذ تلك الإستراتيجية هي أجهزة المخابرات التابعة للدولة بدءاً من جهاز المخابرات العامة والمخابرات العسكرية وجهاز الأمن الوطني (أمن الدولة سابقاً). المشكلة الحقيقية هي أن أجهزة المخابرات تلك تحرك تنظيمياً للبلطجية، وقد كشفتها الوثائق التي عثر عليها في أمن الدولة أخيراً فمع بداية تولي اللواء حبيب العادلي وزير الداخلية الأسبق المسؤولية عام ١٩٩٧م اتجهت إدارتها مباحث أمن الدولة والمباحث العامة بوزارة الداخلية إلى اتباع سياسة تجنيد فئة من البلطجية والمسجلين - خطر - في نقل المعلومات عن حركة بيع المخدرات والأسلحة، وكذلك أماكن الفارين من الأحكام القضائية، وهم من عرفوا بين العامة باسم (المرشدين) ويكون المرشدون غالباً من المجرمين الذين يعملون في معاونة رجال المباحث مقابل غض النظر عن تحركاتهم ومصالحهم الشخصية.

وقد شاهدت بنفسني في الأيام الأخيرة قبل مذبحة العباسية بيوم واحد وعند باب أحد أقسام الشرطة القريبة من ميدان العباسية سيارة خاصة بالشرطة تقلُّ أفراداً يلبسون ثياباً مدنية فقلت في بادئ الأمر: إنهم مخبرون شرطة ولكن بالتدقيق في ملامحهم وما يرتدون من سلاسل ذهبية في رقابهم تبين لي أنهم من فئة البلطجية الذين يجمعونهم لأمر ما.

والوضع في مصر الآن من تدبير الحرائق ومحاولات إسكات المد الثوري بتدبير المذابح في ماسبيرو وشارع محمد محمود، وبورسعيد وتطور الأمر في العباسية عندما توجهت مجموعات من البلطجية التابعين لأجهزة المخابرات، وبعضهم يطلق لحيته لإطلاق النار على كل من سكان العباسية والشباب المعتصمين ممّا تسبب في فتنة بينهم فلنا أن كل طرف يقوم بمهاجمة الطرف الآخر في أنموذج أشبه بما حدث في الجزائر في بداية التسعينات.

قد يجد المجلس العسكري وأدواته المخابراتية مبررات لهذه الأفعال خاصة عندما يتمادى المتظاهرون ويحاصرون مباني وزارات الداخلية والدفاع وهي منشآت حكومية، أو يقومون بتوجيه سباب لا يحتمله أحد إلى قيادات عسكرية؛ أو يحاولون فرض مرشح رئاسي مستبعد بأسباب قانونية؛ ولكن كل هذه المبررات لا تعطي صكاً لأحد لارتكاب مجازر أو نحر أو قتل في الشوارع بدون محاكمات قانونية وتفعيل لدولة القانون.

إذاً مجلس الدفاع الوطني أو مجلس الأمن القومي أو أيًا كانت مسمياته هو ما يطمح له المجلس من خلال الدستور على أن تتوافر فيه شروط تخدم أهداف الجيش منها: أن يكون دوره تنفيذياً وليس استشارياً ضمن هيكلية الإدارة التنفيذية للدولة. ثم تجيء قضية الرئيس القادم حيث ينقل الصحفي عبد الله السناوي عن قيادة عسكرية رفيعة أنه لا يصح أن تتسلم دولة بها دستور جرى تعطيله، ثم نسلّمها لرئيس منتخب بلا دستور لن نترك البلد لفرغ دستوري، أو أن يتحول الرئيس إلى دمية في يد البرلمان وحزب الأكثرية فيه. هذا التصريح تواترت مفرداته من قائد عسكري لآخر بحسب السناوي.

وصرّح بعض رؤساء الأحزاب في إحدى الاجتماعات التي عقدها معهم المشير طنطاوي في أعقاب انهيار الجمعية التأسيسية أنه أكد على أنه لا انتخابات رئاسية قبل الدستور. ويؤكد على ذلك الرأي ما قاله عصام سلطان نائب رئيس حزب الوسط نقلاً عن رئيس الحزب أبو العلا ماضي من أن أحد أعضاء المجلس العسكري اتصل به داعياً الحزب إلى الحضور لتأجيل الانتخابات لحين كتابة الدستور، ثم حصلت مذبحة العباسية فتم إلغاء الأمر.

وبالطبع فإن كتابة الدستور ووضع صلاحيات واسعة للرئيس فيه يضمن سيطرة للرئيس المتحالف مع المجلس العسكري أن يحقق الجيش أهدافه.

ويعتقد قائد بارز دوراً مؤثراً في المطبخ السياسي للمؤسسة العسكرية أن مصر في حاجة إلى فترة قد تطول إلى عشر سنوات على الأقل لترسخ خلالها التجربة الديمقراطية ويتراجع بعدها الدور السياسي للجيش.

وفي هذه الفترة الانتقالية ذات العشر سنوات يتم إسناد المهام التنفيذية لرئيس الجمهورية إلى رئيس الحكومة الذي يستند إلى أغلبية برلمانية على أن تبقى في يد الرئيس وحده المهام السيادية في الدفاع والأمن والخارجية والقضاء. هذا مقترح طرحه قضاة في المحكمة الدستورية على اللواء ممدوح شاهين مسؤول الشؤون القانونية في المجلس العسكري.

ولكي يحقق المجلس العسكري هاتين الركيزتين (وضعه في الدستور والرئيس الموالي)

بنى إستراتيجيته على عدة عناصر أهمها:

- استخدام التيار الإسلامي وتطويعه.

- تبريد الحال الثورية.

- زرع الخلافات بين القوى السياسية.



الخروج من هذا المأزق:

لابدً من ثلاث طرق يجب أن يسلكها التيار الإسلامي وفي القلب منه جماعة الإخوان المسلمين باعتباره القوة الشعبية الأكبر وصاحب مشروع يتجاوز إطاره المحلي لكي ينهض بالأمة كلها:

أولاً: ضرورة إعادة اللحمة والالتزام بالقوى الثورية الشريفة مهما كانت اتجاهاتها الفكرية أو أفعالها المتهورة، والتي خاضت مع الإسلاميين غمار ثورة ٢٥ يناير فكانوا كالجسد الواحد، ولن تتم هذه اللحمة إلا ببعض التنازلات التكتيكية من جانب الإسلاميين.

ثانياً: الحفاظ على الشعلة الثورية متقدمة بالنزول إلى مليونيات أو غيرها من الوسائل الثورية طيلة الفترة القادمة حتى موعد تسليم السلطة في أواخر شهر يونيو القادم فالحال الثورية تلك تجعل المجلس العسكري تحت ضغط كبير.

ثالثاً: أن يسود منطق التفاوض والسياسة وتبادل الأوراق بين الطرفين القويين في مصر: الطرف الإسلامي والعسكريين فالصراع السياسي الآن صراع إرادات بين المجلس العسكري والقوى الإسلامية، وكل طرف يضع أوراقه ما ظهر منها وما بطن ويستعرضها استعداداً للحظة فارقة.. لحظة تسليم السلطة والتي في الغالب لن تكون مكتملة؛ بل تتوقف على حنكة الإسلاميين في انتزاع أكبر قدر من التنازلات من الطرف الآخر؛ حتى لا تصل الأمور إلى لحظة صراع صفيرية يكسب فيها الطرف الأقوى مادياً ويخرج منها الطرف الآخر خالي الوفاض.

ستجتاز مصر أزمته... مصر الحائرة بين أي طريق تسلكها... مصر المترددة بين الواقعية والثورية... ولكن مصر الشباب الطاهر المؤمن هي القادرة على عبور كبوتها.

إرادة غربية:

بالتوازي مع الإرادة الداخلية للمجلس العسكري هناك نموذج تحلم به الدوائر الغربية - وعلى رأسها الولايات المتحدة - أن يطبق في مصر بعد الثورة وهذا النموذج شبيه بالنموذج التركي والباكستاني القائم على ركيزتين: العسكري المتخفي، والإسلامي المهادن وتختلف التفاصيل داخل كل مشهد بحسب الظروف والبيئة في كل من تركيا وباكستان ولكن يبقى مضمون عام يشترك فيه كل من الدولتين، ولذلك في أعقاب الثورة عينت الولايات المتحدة سفيرة لها في القاهرة آن باترسون، وقد كانت تشغل لفترة طويلة سفيرة لأمريكا في باكستان وخاصة في ذروة الحرب غير المعلنة والتي كانت تشنُّها أمريكا على باكستان بالتوازي مع حربها في أفغانستان، وحتى المبعوث الأمريكي السيناتور جون كيري الذي كان على علاقة وثيقة بجنرالات باكستان ودائم الزيارة إليها أصبح منذ شهر نجم الساحة المصرية والذي يجتمع بجنرالات مصر وقادة الإخوان حتى كانت آخر زيارته في أوائل شهر مايو الحالي للقاهرة في قمة تصاعد التوتر بين العسكر والإخوان.

مجلة البيان



www.albayan.co.uk

تفاعل معنا إلكترونياً



موقع البيان الإلكتروني
يطلق نافذته الإندونيسية



bayan@albayan.co.uk



كيف يراقب الصهاينة مستقبل مصر بعد الانتخابات الرئاسية

د. عدنان أبو عامر^(*)

adnanaa74@hotmail.com

الهوس والهستيريا:

وعلى الرغم من أن هناك دعوة لعدم إبداء مزيد من القلق - الذي بلغ حدَّ «الهستيريا والهوس» - من تطورات الانتخابات المصرية، لكن المستويات العليا في تل أبيب تتحسب لأي تطور مفاجئ بما في ذلك أسوأ الاحتمالات، والبحث عن الفرص الكامنة في التغيرات التي تمرُّ على مصر.

في ذات السياق، طرحت أجهزة الأمن الصهيونية المتابعة لملف الانتخابات المصرية جملة من السيناريوهات المحتملة لمستقبل الوضع في مصر، جاءت على النحو التالي:

١ تسارع الأسلمة: حيث سينجح الإسلاميون

بصياغة دستور جديد يجعل الشريعة مصدر التشريع الرئيس، وتحول النظام المصري إلى برلماني، وينزع القوة من أيدي قادة الجيش، وسنَّ قوانين إسلامية في المراحل الأولى، بحيث يدخل الإسلام في كل مجالات الحياة، وهذا احتمال عالٍ.

٢ ذوبان الإنجاز: من خلال اتخاذ القوى العسكرية

والاقتصادية في مصر - التي تخشى أكثر من أي شيء آخر صعود الإسلاميين - سلسلة من الخطوات السياسية للمسِّ بقوتهم، وتحاول دقِّ إسفين بين السلفيين والإخوان، بحيث تجعل إنجاز القوى الإسلامية أمراً عقيماً، ولا يبقَى أمام الإخوان، الذين لا يرغبون في الدخول بمواجهة، سوى المساومة على السيطرة في السلطة التشريعية، وهو احتمال متوسط.

تعيش تل أبيب حالة من القلق الشديد، والانزعاج المتزايد، بعد نجاح الإسلاميين المصريين في الوصول إلى سدة السلطة التشريعية، والتقدير الكبير بنجاح مرتقب لهم في الانتخابات الرئاسية، ما يعني إمساكهم بزمام الأمور الكاملة في مصر، ممَّا دفعهم للتحذير من خطورة الأوضاع فيها على الأمن الصهيوني، ومستقبل «إسرائيل» في المنطقة، الذي بات غير مضمون ومظلم. ومما يزيد من هذا القلق المتفاقم أن نتائج الانتخابات المصرية تؤكد أن الأخطار الأمنية تتزايد، وعليها التحرك بسرعة قبل تمكن الإسلاميين من حكم مصر، مما يجعل التحرك ضد القوى المعادية في المنطقة أمراً مستحيلاً، خاصة وأن الإسلاميين المصريين يتمتعون بعلاقات جيدة مع من يوصفون بـ«أعداء إسرائيل».

التخوف الصهيوني له ما يبرره بنظر دوائر صنع القرار، خاصة وأنه يعني نهاية معاهدة السلام، وصعود حكومة ملتزمة، لها أيديولوجية إسلامية، تضع نصب عينها تدمير «إسرائيل»، وإذا تواجد الإسلاميون في منطقة معينة، فإن «إسرائيل» ستشهد كارثة وكابوساً كبيرين، وفي الحد الأدنى فإن الوضع بالنسبة إليها سيكون غير مستقر، ويجب متابعة التطورات الجارية حالياً. أكثر من ذلك، فإن النتائج المتوقعة للانتخابات الرئاسية المصرية، ستدفع باتجاه اتحاد القوى الإسلامية هناك، مما سيكيل أيدي «إسرائيل» في قطاع غزة، كما أن توجهاً متطرفاً سيسود منطقة الشرق الأوسط، وعلى الرغم من أن هذا ليس أمراً مفاجئاً، بل متوقعاً، لكن القوى الإسلامية الأكثر تنظيمًا في الشارع المصري، قد حصلت على مساعدات كثيرة من جهات إسلامية عربية ودولية.

(*) كاتب فلسطيني.

سيطرة الجيش:

فيما أعربت محافل سياسية عن اعتقادها بأن «إسرائيل» لن تواجه تهديداً حريياً من جهة مصر خلال السنوات القريبة القادمة، حتى لو تسلّم الإسلاميون سدة الرئاسة؛ لأنها منشغلة حالياً بمشاكلها الداخلية، آملة أن تصان معاهدة السلام بينهما في المستقبل كونها مصلحة مشتركة للجانبين، لكن «إسرائيل» ملزمة بأن تكون دائماً على أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ، في ضوء التصريحات المقلقة للجماعات الإسلامية المصرية.

أكثر من ذلك، فقد أشار المستشرق البارز البروفيسور «إيال زيسر» إلى أن نتائج الانتخابات الرئاسية المصرية ستأثر حتماً بفوز الإسلاميين في الكويت وتونس والمغرب، في حين أنّ المصريين يوجّهون تلقائياً أنظارهم على المدى البعيد، نحو العمليات الجوهرية المستقبلية، برؤيتهم لتقوية وترسيخ موقفهم أكثر في الشارع المصري؛ لذلك فهم مستعدون للإذعان حتى الآن لسيطرة الجيش، والوضع الذي تكون فيه الديمقراطية في مصر مسيرةً شيئاً فشيئاً على مدى فترة متواصلة، وليس دفعة واحدة. ولذلك فإن ما توصف بـ«العاصفة» الانتخابية التي تشهدها القاهرة في هذه الأيام تثير حالة من القلق الكبير في تل أبيب، مما يدفعها لأن ترصد بقلق متزايد ما يدور، وتعترف بأن حالة فقدان اليقين والفوضى في مصر من شأنها أن تنذر قريباً بعهد جديد خطير، كما تطرح بعض التوقعات السوداء حول وضع «إسرائيل» مع جيرانها؛ من مواجهة مستقبلية مع مصر، عبر جمود تام في العلاقات التي حددتها اتفاقية «كامب ديفيد»، وصولاً إلى خطر يهدد أمن «إسرائيل» مع الأردن، ومستقبل اتفاقية «وادي عربة». ولذلك فإن الوضع الجديد الذي تحياه مصر عشية الانتخابات الرئاسية يمثل لـ«إسرائيل» زلزالاً حقيقياً، وليس من الواضح أنه سينتهي في المستقبل القريب، وبأي صورة سيتم حل المشكلة، ممّا سيقرب الأمور رأساً على عقب، وستواجه «إسرائيل» مصر أخرى، حيث ستجد نفسها في وضع سيء جداً، وقبل كل شيء، سيحدث برود في اتفاق السلام لدرجة الجمود التام في العلاقات، وبعد ذلك مخاطر متوقعة، وستطرح عندهم الكثير من علامات الاستفهام، هذا الوضع من شأنه أن يصبح معقداً ومربكاً جداً.

ويزداد هذا الخطر المتفاقم إذا ما اتضح أن الاتفاق الإستراتيجي الصهيوني مع مصر، يُعدّ الثاني في أهميته بعد العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك، وعلى ضوء السيناريوهات، يمكن التقدير بأن وضع احتمال الدخول في حرب مع مصر يجب أن يؤخذ في الحسبان.



٣ الوضع الراهن: الإسلاميون يفوزون في الانتخابات الرئاسية، لكنهم يحافظون على طبيعة مصر، ولا يخلطون بين الدين والدولة، الذي يتغلغل على نحو أعمق، ويحرصون على عدم تجاوز الخطوط الحمراء كيلا يصطدموا بالجيش، بحيث إن الديمقراطية في مصر تنتهت، والانتخابات تجري كل بضع سنوات بشكل سليم، وهو احتمال منخفض.

٤ حرب أهلية: بعد أن يفشل الجيش في محاولاته صدّ صعود الإسلاميين للحكم، يعلن إلغاء الانتخابات، كما حصل في الجزائر، والإسلاميون يخرجون للشوارع؛ ليقمعهم الجيش والشرطة بعنف متعاطم، مما يؤدي إلى انشقاق في صفوفه، وفي نهاية المطاف نشوب حرب أهلية، وهو احتمال منخفض. وممّا يزيد من احتمالات التخوف والقلق الصهيوني، أن نتائج الانتخابات المصرية قد تسفر عن «تحول إستراتيجي» للأسوأ، لأن جميع علاقات إسرائيل بمصر تقريباً، قائمة مع الأجهزة العسكرية والاستخباراتية، بينما لا تمتلك علاقات مع المؤسسات السياسية المعادية، خاصة وأنه في حال قدّم الإسلاميون مرشحاً معتدلاً للرئاسة، فإنه سيفوز فيها، وبنسبة تأييد مرتفعة جداً.

وما يزيد الأمر خوفاً داخل إسرائيل أن تطبيق العملية السياسية في مصر يفتح الطريق أمام الإسلاميين للتحول إلى قوة سياسية مركزية، لأنهم يمتلكون نسبة التمثيل الأكبر للغاية في البرلمان، وفرصهم جيدة للفوز في الانتخابات الرئاسية أيضاً.



الأمين العام للهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح (البيبان): الدكتور محمد يسري: الأصل ألا يتوقف تطبيق الشريعة على شيء ولا علم أحد بعد اكتمالها.

حواره: جلال الشايب

البيبان: ما رؤيتكم في المشهد السياسي المصري الآن، وخاصة بعد أن جلستم مع معظم التيارات المتفاعلة في الأجواء المصرية؟

ديسري: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله صحبه أجمعين: هذه اللقاءات التي جرت بين اللجنة التي شكلتها الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، ومرشحي الرئاسة انتهت إلى جملة نتائج، وتحققت من خلال هذه اللقاءات مجموعة أهداف؛ فلقد هدفت الهيئة إلى تحقيق هذا القدر المهم من التواصل بين رموز الحياة المصرية ورموز المشاركين في العملية السياسية، وقد تحقق -بحمد الله- هذا الهدف من خلال الاتصال بعشرة من كبار المرشحين الموجودين على الأرض؛ وقد عنيت الهيئة بقاء كل من ينتسب إلى هذه البلاد بوطنية وصدق واشترطت ألا يكون ممن شارك في الحياة السياسية، أو انتسب بشكل أو بآخر إلى ما سميَّ بـ (فلول)

ليس لأحد أن يقول بالتدرج في تطبيق الشريعة؛ إلا في الضرورة والاضطرار.

لسنا مع تثوير الناس ضد مؤسستي العسكر والقضاء لأنهما تمثلان أعمدة نظام الدولة. على المصريين أن يبحثوا عن الأتقى لله والأرضى له - سبحانه- والأنفع لعباده.

قضية الرئاسة من قضايا الشأن العام التي ينبغي أن يتجرد فيها الناس لله في تقديم من هو الأنفع والأصلح والأفضل.

تعدُّ الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح أول هيئة إسلامية تمَّ إنشاؤها عقب سقوط النظام البائد، وفيها ممثلون لكل الجماعات والتيارات الإسلامية بأسمائهم وصفاتهم، وتلعب دوراً كبيراً في تسيير دفة الأحداث في مصر سواء أكان فيما يتعلق بالانتخابات الرئاسية - وهي الحدث الأبرز على الساحة المصرية الآن- أم غيرها من القضايا المطروحة وما تحتمله من صدمات مستقبلية استناداً إلى احتقانات ماضية وحالية؛ ومن هنا جاءت أهمية الحوار مع أمينها العام الدكتور محمد يسري إبراهيم؛ لنطرح معه بعض التساؤلات المهمة في شأن الانتخابات الرئاسية؛ وخاصة بعد أن أظهرت الهيئة دعمها للدكتور محمد مرسي، مرشح حزب الحرية والعدالة؛ فإلى الحوار:

البيان: دعمت الهيئة الشرعية مؤخراً الدكتور محمد مرسي رئيساً لجمهورية مصر العربية، فما المحاور الرئيسية التي وضعتها الهيئة كآليات في نقاشها للمرشحين التي قابلتهم؟

ديسري: مضت الهيئة لتحقيق هذه الأهداف عبر خطوات، الخطوة الأولى: قامت بتشكيل لجنة لإدارة هذه العملية، وشُكلت بالأصالة من أعضاء الهيئة الشرعية؛ ولقد قامت بمراجعة المختصين؛ وعملت على وضع المعايير التي على أساسها يمكن أن يُختار رئيس البلاد.

هذه المعايير متعلقة بمختلف القضايا والمحاور الشخصية والمنهجية والعملية الخاصة بالشخصية، ووضعت أوزاناً نسبية لكل معيار من هذه المعايير، كما وضعت قيماً ودرجات إلى آخره بحيث إن اللقاء يخرج عن كونه كلمة يلقيها المرشح، أو إبداء وجهات نظره في بعض القضايا، إلى مراجعة شاملة في كل محاور التفكير، وكل مسائل السياسة الداخلية والخارجية، وبالتالي تعرض المرشح لنقاشات تفصيلية حول محاور ستة رأت الهيئة أهميتها وأولوياتها، فناقشت الهيئة المرشحين في الموقف من قضية تطبيق الشريعة، ومن المؤسسات والجهات الرسمية الدينية كمؤسسة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية؛ والواجب نحو هذه المؤسسات. وكيف يمكن العمل على تطويرها؟ وما الآليات والإجراءات والتصورات الموجودة عند المرشح لتطبيق الشريعة الإسلامية؟، ثم الموقف من الكنيسة المصرية والأقباط، وكيف يمكن التعامل مع الفتنة الطائفية التي تطل برأسها بين حين وآخر؟ وما موقف المرشح من الدستور المقبل؟ وكيف ينظر إليه؟ وما موقفه ممّا يسمى بالتوافق حول الدستور المصري هذا كله كان في محور استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية.

محور السياسة الداخلية

ثم تنتقل مع المرشح إلى محور السياسة الداخلية فنسأله: كيف يمكن أن يعود الجيش إلى ثكناته مرة أخرى؟ وكيف يمكن أن تستعيد مؤسسات الدولة هيبتها؟ وكيف يمكن أن يُعاد هيكله وزارة الداخلية؟ وكيف يمكن للأمن أن يعود؟ وكيف يمكن القضاء على حالة الانفلات الموجودة في الشارع المصري ليس فقط عملياً ولكن أيضاً نظرياً؟ وكيف يمكن إعادة الانضباط إلى الحياة المصرية؟ وغير ذلك من ملفات الشأن الداخلي للدولة.

محور الحكم وشؤون الدولة

ثم نذهب معه إلى محور آخر وهو ملف الحكم وشؤون الدولة، فنسأل المرشح: ما موقفه من قضية المركزية واللامركزية في الحكم؟ وما رؤيته في الدولة المقبلة؛ هل تكون دولة رئاسية أم برلمانية أم دولة مختلطة؟ ثم تنتقل إلى الحديث عن محور السياسات الخارجية، وكيف يراها المرشح؟ وما الموقف

النظام البائد أو ب (فلول) الحزب الوطني الذي ساد البلاد في مرحلة من مراحل الضعف والفساد.

وقد استطاعت الهيئة أن تكتسب ثقة واحترام هؤلاء المرشحين نظراً لما قامت به من مقابلات كشفت عن حرفية ومهنية عالية، حيث إن الهيئة شكلت لجنة من كبار المتخصصين في الجوانب السياسية والاقتصادية وما يتعلق بالشأن العام، كانوا يهتمون بمقابلة هؤلاء المرشحين إضافة إلى أعضاء مجلس أمناء الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، كما استطاعت -من خلال هذا التواصل- أن تفتح باباً من أبواب التفاهم، وتسعى إلى إحداث هذا القدر من التناغم، وتصحيح الصورة المغلوطة عند بعض المرشحين عن الاتجاهات الوطنية أو الإسلامية الموجودة في بلادنا.

الصحيح والمنضبط من قضية الاتفاقات والمعاهدات الدولية التي أبرمتها مصر مع العالم الخارجي سواء أكان منها المعاهدات الإقليمية أم الدولية وما يتعلق بالمعاهدات الخاصة كاتفاقية كامب ديفيد مثلاً؟.

محور دور مصر الإقليمي

ونتجاوز بعد ذلك حول دور مصر الإقليمي؛ فنناقش مصر قُطرياً، وأفريقياً، وعربياً، وإسلامياً، وعالمياً، وننظر كيف يمكن أن تستعيد مصر دورها الخارجي؟ وكيف تعود إلى سابق عهدها وأثرها الملموس في العالم بأسره؟ ونناقش معه بعض القضايا الدولية ذات الصلة بالشأن المصري كقضية مياه النيل والمشاكل التي تتعلق بها، وتأثيرات ما يجري في السودان على الحياة في مصر؟.

ملف التنمية

كما نسأله عن ملف التنمية في مصر؛ لنناقش كيف تخلفت مصر؟ وكيف يمكن أن تنهض؟ وما مشاريع المرشح وخططه التي سوف يقوم بها في حال فوزه بانتخابات الرئاسة؟ كيف يستطيع أن يعود بمصر لسابق عهدها في الازدهار الاقتصادي؟ كيف يحقق لها الرواج التجاري؟ كيف ينهض بملف تنمية الإنسان واستعادة خصائصه التي فقدت عبر العهود السابقة؟

كما نتناقش معه تفصيلاً في بعض الملفات المهمة كملف الصحة والعلاج المجاني، والتعليم؛ والتعليم المجاني، والتربية؛ والرؤية التي يجب أن تُعتمد لتربية النشء وهيئته لغد مشرق - بإذن الله تبارك وتعالى -، ورؤيته حول الخروج من الأزمات الاقتصادية الحقيقية والمفتعلة.

وأخيراً: ملف أولويات الرئيس في المرحلة الأولى من رئاسته وهي القضايا الأخطر بالنسبة إليه، فمثلاً: ما المسائل التي سوف يبدأ بها؟ وأين سيتوجه في أول زيارة سيقوم بها خارج البلاد؟ وما أجداته في أول مئة يوم لرئاسته؟.

كل ما سبق وأكثر هو ما نديره في حوار طويل يمتد مع كل مرشح إلى بضع ساعات في اللقاء الواحد.

البيان: بعد انتهاء اللجنة التي وضعتها لاختيار مرشح الرئاسة القادم؛ هل تحققت تلك الأهداف المرجوة قبلاً؟

ديسري: -فضل الله تعالى- حققت هذه اللجنة أهدافها التي توختها من مدّ جسور التواصل مع هؤلاء المرشحين، وتصحيح الصورة عند بعضهم عن الإسلاميين، وتصحيح الصورة عنهم وعن مواقفهم أنفسهم من القضايا المختلفة، ومحاولة وزن كل مرشح من خلال المعايير التي وضعتها الهيئة وإعطائها تقويماً دقيقاً لكل شخص من هؤلاء؛ والنتيجة أن كل ذلك - بحمد الله تبارك وتعالى - قد تحقق.

ويبقى أن أذكر في هذه النقطة أمراً مهماً؛ وهو أن المشهد متغير، وما كان من قرار قد يتغير بتغير الظروف والمآلات.

رجل رفع سقف الدعوة

البيان: تابع العالم كله تقريباً؛ قضية الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل مع لجنة الانتخابات، والتي انتهت باستبعاد الشيخ من سباق الرئاسة، وأظهرته في صورة الرجل الكاذب المتجرب على أمتة بالخداع؟ فما رأيكم فكيف تقرؤون هذه القضية؟

ديسري: فضيلة الشيخ حازم أحد الدعاة المعروفين، وأحد المتحدثين الذين يُشهد لهم بالكفاءة في القول، وممن ساهم في الدعوة الإسلامية بإسهامات واضحة جداً في الفترة الأخيرة من خلال لقاءاته الفضائية والتلفزيونية المصورة والمسموعة؛ فلقد استطاع من خلال سباق الرئاسة أن يحقق أهدافاً كثيرة للدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - حيث إنه استطاع أن ينشر هذا المنهج الإسلامي ويكسب له أنصاراً كثيرين، وأن يبشر بقضية الشريعة وأن يجمع الناس حولها، وهذه من أكبر الحسنات التي تحققت من خلال الشيخ للدعوة إلى الله، وقضية الشريعة وهذا ممَّا ينبغي أن يذكر فيشكر، ولو لم يكن له من هذه الحملة الانتخابية الموسعة إلا نشر قضية الفناعة والإيمان العميق بقضية الشريعة، وبقضية المنهج الإسلامي لكفاه عند الله - عزَّ وجلَّ -، وفي النهاية: إن الهيئة الشرعية تُكِنُّ لعضو جمعيتها العمومية الشيخ حازم صلاح كل التقدير وتثمن كثيراً هذه المواقف التي قام بها في المرحلة السابقة.

ومن واجب القول: إن بعض الهيئات أحسنت في مواقف وأساءت في أخرى، واستطاعت أن تكسب الجولة في قضية وأن تخسرهما في أخرى؛ لكن التقييم العام والإجمالي هو أن هذه الطوائف والجماعات كانت على قدر المسؤولية، وهذا حكم عام لأبناء الحركة الإسلامية اليوم برفع غطاء القهر والاستبداد الذي كان يجثم على صدور وقلوب الجميع، والكل الآن في مسيرة من البناء والتنمية ومسيرة من المواجهة والمدافعة، فهم يواجهون ويدفعون كثيراً من الإشكالات وكثيراً من الافتراءات وكثيراً من الشبهات؛ وفي نفس الوقت يعملون على بناء أنفسهم وتنمية قدراتهم وإقامة هياكلهم وإنشاء حياتهم المعاصرة على شكل يحقق لمصر ما تصبو إليه من التقدم والرقى والنماء والاستقرار - بإذن الله تبارك وتعالى - الأداء العام للتيارات والجماعات والطوائف الإسلامية بالجملة أداء محمود؛ ولهذا استثناءات لكن الاستثناء كما يقال يثبت القاعدة.

ملحوظات على الأداء

البيان: هلا مثلت لنا بعض النماذج من تلك الاستثناءات التي تثبت القاعدة كما ذكرتم؟

ديسري: يمكن أن نرصد بعض هذه الملحوظات على أداء هذه التيارات منها: أولاً: التأثير بالخلفية السابقة والتاريخية في العلاقات التي كانت بين تلك الجماعات، وقد كان هذا من عمل النظام البائد؛ كأجهزة أمن الدولة مثلاً؛ ممّا ترتب عليه وجود حساسيات بين هذه الطوائف جعلت الكلمة مفترقة، والصف منقسم، والرايات متعددة؛ واستمرار هذه الحال أمر لا ينبغي.

والأمر الثاني: هو أن الحركة الإسلامية التي تمارس العمل السياسي أو الحزبي اليوم تستشعر قدراً من عدم النضج؛ ولتحقيق هذا النضج وتحصيله يحتاج إلى أسباب وإجراءات متعددة بدءاً من التثقيف السياسي مروراً بالتربية السياسية وانتهاء بالجهاد والحراك

البيان: ما تعليقكم على تصوير الإعلام لمواقف أنصار الشيخ حازم، بأنهم إرهابيون يسعون في الأرض فساداً، فينقلون الأكاذيب عنهم، ويؤولون على أسنتهم التصريحات والافتراءات؟

ديسري: هذه قضية لا نقبلها؛ لأن المحيطين بالشيخ حازم أبو إسماعيل فئات متعددة ومتنوعة منهم من عامة الشعب المصري، ومنهم من المنتسبين إلى المنهج السلفي، ومنهم من ينتسب إلى جماعه الإخوان، ومنهم من ينتسبون إلى جماعات الغلو والتطرف، فلا يصلح أن يُعمّم الحكم على هؤلاء جميعاً بأنهم على هذا النحو المذكور؛ وذلك لأن الشيخ حازم بشخصه ليس ممن ينتسب إلى طوائف الغلو بحال لا في تاريخ ولا في خطابة.

أداء سياسي

البيان: ما تعليقكم على أداء الإسلاميين السياسي منذ اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير؟

ديسري: هذا موضوع كبير جداً يحتاج إلى تفصيل وبسط في الكلام، كما يحتاج إلى بحث طويل؛ إنما الحركات الإسلامية المصرية - بحمد الله تبارك وتعالى - في الجملة أبلت بلاء حسناً وأدت دوراً جيداً، واستطاعت التأثير في مجريات الأحداث، ولا نستثني أحداً من هذا، فالإخوان والجماعات السلفية، والجماعة الإسلامية وجماعة أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية - على الرغم من انقطاعها للعمل الدعوي فقط - وجماعة التبليغ والدعوة... إلخ من الهيئات الإسلامية الأخرى.

فلقد استطاعت هذه الجماعات أن تملأ المشهد وأن تملأ الفراغ، وأن تحقق كثيراً من الإنجازات والإيجابيات؛ بعضها يتعلق بالجانب الدعوي والشرعي، وبعضها يتعلق بالجانب السياسي، وبعضها يتعلق بجانب إدارة الحياة بشكل عام، ومعظمها جماعات لم يظهر لها مشروع سياسي في الفترة السابقة فبدا الآن.

مجلس رئاسي

البيان : نعود لقضية الرئاسة المصرية، هل ترون إمكانية التفاوض على فكرة عمل مجلس رئاسي أو رئيس توافقي إسلامي، وذلك لجمع الشمل؟

ديسري : هذه فكرة مطروحة طبعاً؛ وهي موضع بحث الآن من مختلف الأطراف كيف يمكن أن يجمع بين المرشحين الإسلاميين في نسيج واحد وقوي ومتماسك ومتناسق؟، وكيف يمكن احتواء القوى الأخرى في المجتمع وتمثيلها بشكل معتبر في هذا المجلس الرئاسي؟؛ الذي قد يتكون من رئيس ومن نواب ومن مجموعة من المساعدين والمستشارين في نفس الوقت، وفي حال يبنى من خلالها مشروع للنهضة على خلفية هذه الشريعة الإسلامية - بإذن الله تبارك وتعالى - وهذا مما يجري فيه العمل الآن، ونرجو أن تُسفر الأيام القليلة القادمة عن وجود هذا المجلس والاتفاق عليه والتوافق عليه - بإذن الله تبارك وتعالى -.

الدستور والرئاسة

البيان : ما رأيكم في قضية وضع الدستور والرئاسة أيهما أولاً؟، ثم من وجهة نظركم لماذا يتمسك المجلس العسكري بالدستور قبل الرئاسة؟

ديسري : في الحقيقة إن المجلس العسكري هو جهة من الجهات المؤثرة في الحياة السياسية اليوم؛ لأن الجيش المصري حكم ولده ٦٠ عاماً، وخروجه من السلطة بهذه السهولة ليس أمراً ميسوراً؛ وقد قال الله - تعالى -: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] فهنا نازع للملك والنزع لا يكون بسهولة؛ النزع لا يكون إلا بمشقة فلا شك أن فيه مشقة حقيقية على الذين عاشوا يحكمون لعقود متصلة أن يتروكا الحكم ويغادروه، ولهذا أستطيع أن أفهم قلق المجلس

السياسي، فلا بد من إيجاد ثقافة سياسية عند مختلف أبناء الحركة الإسلامية، وأن يربى أبناء الحركة الإسلامية على كفية وقوف الفرد منهم موقفاً سياسياً صحيحاً من قضية من القضايا السياسية المعاصرة أو المطروحة. وكيف تقوم الطائفة أو الفئة أو الجماعة بهذا الدور بين أبنائها حين تحسن تربيتهن سياسياً؟ ثم كيف يمكن أن تمارس هذه الجماعة أو هذا الحزب اجتهاده السياسي برشد من خلال المواجهات السياسية والمنازلات السياسية والوسائل السياسية المختلفة؟ والعمل الإسلامي يحتاج اليوم إلى هذا المعنى للحرص على النضج السياسي، والبعد عن المراهقة السياسية في مواقف أو في تصريحات أو في رؤى أو في تحالفات، وهذا يبدو لي من الأهمية بمكان تحقيق وتحصيل النضج في الممارسة السياسية، طبعاً أحداثاً هذه التجربة وقلة الكفاءات والكوادر المدربة، وهذا ممّا ينبغي الاعتناء به والاهتمام به في المرحلة الآتية - بإذن الله تبارك وتعالى -.

كمال الشريعة

البيان : كيف ترون قضية تدرج تطبيق الشريعة خاصة أننا رأينا في النموذج التونسي تصريحات تنادي بعدم تطبيقها؟

ديسري : هذه الشريعة انتهت - بحمد الله تبارك وتعالى - كاملة مكمله حين أنزل الله - عزَّ وجلَّ - قوله: ﴿يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالأصل ألا يتوقف تطبيق الشريعة على شيء، ولا على أحد بعد اكتمالها وتمامها، وتحكيمها بالكامل، خلال ثلاثة عشر قرناً متعاقبة من الزمان، فليس لأحد أن يقول بالتدرج في تطبيق الشريعة؛ لكن الحال التي يمكن القبول فيها هي حال الضرورة والاضطرار؛ فقط في هذه الحالات؛ إذ لا محرم مع الاضطرار، والضرورات تبيح المحظورات؛ لكن الضرورة تقدر بقدرها، فالأصل أن تطبيق الشريعة بكمالها وبجملتها إلا إذا تعذر هذا التطبيق، وامتنع فإنه يبقى هذا موضع من مواضع الضرورة التي يقدرها أهل العلم وينظرون فيها ويهيئون الأسباب لتلافي حال الضرورة ورفع حكمها حتى يتهيأ المجتمع لتطبيق الشريعة بأكملها - بإذن الله تبارك وتعالى - ولدينا من القواعد الفقهية والأصولية والنصوص الشرعية ما يشهد لهذا المعنى بتمامه وكماله.

الذين يقولون: إن الجيش كان مجبراً وكان مضطراً وكان لابد أن يفعل ما فعل وأنه لم يكن له خيار آخر؛ فلقد رأينا خيارات أخرى للجيش في الجزائر وليبيا واليمن، ونرى له الآن خياراً آخر في سورية، نحن نكُنُّ تقديراً واحتراماً للجيش المصري الذي وقف وقفة معتبرة في هذه الثورة.

الجيش أخطأ في بعض المواقف، نعم أخطأ. كانت عليه مؤاخذات، نعم عليه مؤاخذات. المجلس العسكري أساء التصرف في بعض القضايا، نعم أخطأ أخطاء سياسية وميدانية. كل هذا يمكن التسليم به. لسنا مع تفجير الموقف مع الجيش، ولسنا مع تثوير الناس ضد هذه المؤسسة الكبرى، وكذلك ضد مؤسسة القضاء؛ التي لا نراها ممثلة في هذه اللجنة الرئاسية والتي عليها مؤاخذات كثيرة في مواقفها.

معايير التصويت

البيان: أخيراً هل يكون تصويت الناخب لمرشحي الرئاسة مؤيداً لانتمائه الحزبي أم لضميره؛ لأنها شهادة يسأل عنها أمام الله؟

ديسري: المصريون ليسوا كلهم أعضاء في جماعات، وليس كل أعضاء الجماعات قد أخذوا بيعة على أصحابهم، وليس البيعة ملزمة لكل أحد في كل قضية، وينبغي أن يبحث المصريون عن الأتقى لله والأرضى له - سبحانه وتعالى - والأئنفع لعباده، فهذا ممَّا ينبغي أن يعتني المصريون بتحقيقه بغض النظر عن الانتماءات والولاءات؛ لأن قضية الرئاسة هذه من قضايا الشأن العام التي ينبغي أن يتجرد فيها الناس لله - تعالى - في تقديم من هو الأئنفع والأصلح والأفضل، وينبغي أن تتحرر فيها إرادة الناس، فمن وافقت إرادته إرادة طائفته أو جماعته فله أن يأخذ بهذا والحمد لله؛ وإن خالف فعليه أن يستفتي إماماً في دائرة جماعته، أو في دائرة أوسع وهي دائرة العلم الشرعي الذي يحكم على الأفراد والجماعات والطوائف على حدٍّ سواء.

العسكري على وضعه في الدستور، قلقة على الموقف من ميزانية الجيش، قلقة على استثمارات يقوم بها الجيش لحسابه؛ ربما تمثل ثلث الاقتصاد المصري. كل هذا قد يدعو إلى القلق بالإضافة إلى الامتيازات الشخصية التي قد توجد لأعضاء هذا المجلس. كل هذا ممَّا يحمل الجميع على القلق، ماذا سوف تؤول إليه الأمور؟

وينبغي على الحكماء والعقلاء أن يوجهوا هذه الرسائل التي تطمئن المجلس العسكري أننا لسنا بصدد ثورة تطيح بالمجلس العسكري، وإنما بصدد ثورة تحترم الجيش المصري، وتحترم المؤسسة العسكرية، وتعطيها قدرها، وليست في الحقيقة الخصومة والمنازعة والثورة على الجيش المصري أو على المؤسسة العسكرية.

الرئيس والعسكري

البيان: كيف ترون سيناريوهات الرئيس القادم والمجلس العسكري؟

ديسري: لا بدَّ على كل حال من الأحوال أن تقوم علاقة متوازنة بين الرئيس وهذه الجهات التي يقوم على رئاستها، فهو رئيس لكل المصريين العسكريين والمدنيين على حد سواء. وهو رئيس القضاة ورئيس المحامين، فلا بدَّ أن يجد الرئيس المصري هذه الوسائل التي من خلالها يحقق التوازن في التعامل مع هذه القوى الموجودة في المجتمع، وأن يستطيع العمل على هذا القدر المطلوب من التوازن بين السلطات، وينبغي لرئيس الجمهورية أن يكون بهذه القوة وهذه الصلاحية وهذه القدرة التي تمكنه من إدارة المرحلة التي تمرُّ بها البلاد بقدر عالٍ من الهدوء، وقدر عالٍ من التوازن، وقدر عالٍ من مراعاة الخصوصية الموجودة من غير أن يفضي هذا إلى تفرغ الثورة من محتواها، أو تحويلها إلى ثورة غير حقيقية أو هامشية.

البيان: ما تقييمكم للتعامل بين الإسلاميين والمجلس العسكري في

الفترة الماضية؟

ديسري: في الجملة؛ الإسلاميون لا يريدون أن يدخلوا صراعاً مع العسكريين، بل يوجهون خطاباً دعوياً هادئاً رقيقاً إلى المؤسسة العسكرية وإلى أفرادها وإلى قيادتها بأن الإسلاميين يقدرون ويشمنون دور الجيش المصري، ودور المؤسسة العسكرية المصرية، وأنهم ينظرون إلى ما قامت به هذه المؤسسة في الثورة نظرة تقدير واحترام، وليسوا مع



محمود حسين عيسى

كرسيه الوثير في مكتبه، وسيارته، وقصره، فصرخ في نفسه صرخة مدوية أيقظت بقايا ضمير حاول القضاء عليها سنين طويلاً ليستريح منه تماماً إلا أنه أخفق في ذلك، بل فشل فشلاً ذريعاً.. رآه واقفاً أمامه في صورة غير صورته المعهودة لديه..!

سأله سعيد وهو يرتجف من الخوف: ماذا حل بك ؟
كيف تحولت من مراد إلى قزم..؟

- أنت..!

سعيد مستنكراً: أنا..!

- نعم.. أنت

سعيد مستفهماً: كيف ؟

- أنسيت ما فعلت بي.. كنت في شبابك تأخذ بنصيحتي.. وتبني رأيي.. وتحافظ لي على حيويتي.. وكنت تشنف أذاني دائماً بقولك لمن يغريك ويرغبك في طريق الحرام، والانحلال.. لا.. أنا أخاف الله.. ثم تتبعها بقولك: ضميري لا يسمح لي بذلك..!

وكنت أعمل جاهداً على استمراره يقظاً كيلا تتسلل

استيقظ على صوت السجان الغليظ.. وهو ينادي عليه من شراعة باب الزنزانة: بعد أن قرع الباب بقوة: قم للخروج للترييض؛ بدل ما تتلف عضلاتك.. إن كان عندك عضلات أصلاً.. أكيد كل جسمك لحم ودهون من أكل اللحوم.. التي حرمتها علينا؛ بعد ما وصل سعر الكيلو منها أكثر من

نصف راتبي..! قم وانهض..!

لم يحرك سعيد ساكناً..!

السجان: قم.. منذ أن جئت أول أمس؛ لم تأكل شيئاً..

ولم تغادر الزنزانة.. ولم أرك إلا والدموع منهمة من عينيك..!

لم يعره سعيد اهتماماً..!

أغلق السجان الباب.. وهو يتمم الحكمة الشعبية: (اللي

يأكل على ضرسه ينفع نفسه).

• • •

جلس سعيد جلسة القرفصاء.. ودفن رأسه بين ركبتيه

وراح ينتحب ويشهق..! إلى أن أعياه البكاء.. وتورمت عيناه..

فأسند رأسه إلى جدار خشن أصابه بألم خفيف فتذكر رأس

رأيتهم يغرونك بكل ما يملكون.. يزينون لك

الحرام..!

نصحتك...

أشحت بوجهك عني..!

رأيتك تقترف جريمة رشوة مبطنه.. بعد أن

أوهموك أنها مجاملة بسيطة من شركة الإنشاءات

التي أرسيت عليها عملية صيانة مرافق الجامعة

بالأمر المباشر.. وأنت في زهو بسلطتك..! وسعادة

برصيد نقدي لم تكن تحلم بامتلاكه بهذه السرعة..!

انتحيت بك جانباً.. ذكرتك بأن الراشي والمرتشي

ملعونان.. وذكرتك بماضيك المشرف..!

علا صوتك علي.. ونهرتني أمامهم.. وأعطيتهم

فرصة الهمز واللمز بي.. والسخرية مني..!

• • •

ورأيتك تتبوء المنصب تلو المنصب.. وتزداد رغبتك

في الامتلاك.. ويزداد طغيانك وظلمك للعباد.. لم

ترع في مرؤوس لك كرامة.. ولم ترع في مال سطوت

عليه حرمة.. ولم يعد همك إلا امتلاك القصور..

والسيارات الفارهة.. وكم أصبح رصيدك في بنوك

الداخل والخارج الذي تسأل عنه كل ساعة..!

• • •

مرت السنون ببطء شديد علي.. وبسرعة

فائقة عليك..! كنت أزداد إصراراً على الظهور

أمامك.. ونصحك غير عابئ بما يصيبني منك

ومن أعوانك..! وكنت تزداد إصراراً على التخفي

مني.. وازدراء قولي.. وكان النصر حليفك أنت

وأعوانك علي.. فبدأت تقزمني في نفسك..! حتى

صرت كما تراني..! وصرت أنت كما أراك..! لا وجود

لك..! ستقضي كما يقضي كل شيء.. وسأحاجك في

الموقف المشهود..! لا عذر لك عندي..! دمرت حياتك

وأخرتك..! فلا تلومن إلا نفسك ووسواسك..!

ينخرط سعيد في بكاء حاد.. يكاد يزهق روحه..!

- ابك على نفسك وارثها.. فلن تبك عليك

البواكي..!

• • •

إليك نفسك الأمانة بالسوء، أو وسواس خناس

من الجن أو الناس.. وكنت أصبئ، وأشجع نفسي

وأهنتها في الوقت ذاته أن جهادي هذا يأتي بالنتائج

المطلوبة.. وكنت أتغافل عن الهنات والأخطاء التي

كنت تقع فيها.. فالتغافل علاج في مواقف ما..!

وتجاوزنا سوياً مرحلة الشباب الخطرة،

وانتقلنا إلى مرحلة ما بعد الجامعة.. وقد تم تعيينك

معيداً في إحدى كلياتها المرموقة.. كيف لا وأنت

المتفوق.. المتميز.. وكانت سعادتني كبيرة عندما قررت

أنت إكمال نصف دينك.. عصمة لنفسك.. وغضاً

لبصرك..! وكنت أكثر سعادة بتقدمك العلمي؛ الذي

مكنك من تحصيل الدرجات العلمية في فترة زمنية

قياسية.. مما ساعدك على تبوء المناصب الإدارية في

الكلية ثم الجامعة حتى وصلت إلى قمتها..!

وليتك ما وصلت..!

بدأت الأنظار تتجه حولك.. والأضواء تسلط

عليك.. والحوارات التلفزيونية، والصحفية تنهال

عليك كالمطر شتاءً وصيفاً..! فبدأت تدير ظهرك

لنصائحي.. ولا تبالي لحديثي.. واستبدلته بحديث

نفسك.. وأنصت لوسواسك الخناس الذي جثم على

صدرك.. بعد أن رحبت به، وأفسحت له الطريق..

ويعد أن شغلك هোক.. وبهرتك الأضواء.. وغيرتك

الشهرة.. وانقطعت عن ذكر الله.. فلم يخنس

وسواسك..! فأخذ مكاني بجوارك..!

فقررت ألا أنسحب وأتركك فريسة لهم..

وأعلنتها أمامهم: حرب بيني وبينكم لا هوادة فيها..

وعزمت أن أنتصر.. وظننت أنك ستفنيق وتنحاز

لي، وتقف في صفي لمواجهةهم.. ولكن خاب ظني..

وانحزت لهم.. ووجدت نفسي وحيداً.. أمامكم..!

وتساءلت في نفسي: ماذا أفعل؟ خذلني

رفيق دربي.. هم أقوى مني.. أتركه يتحمل نتيجة

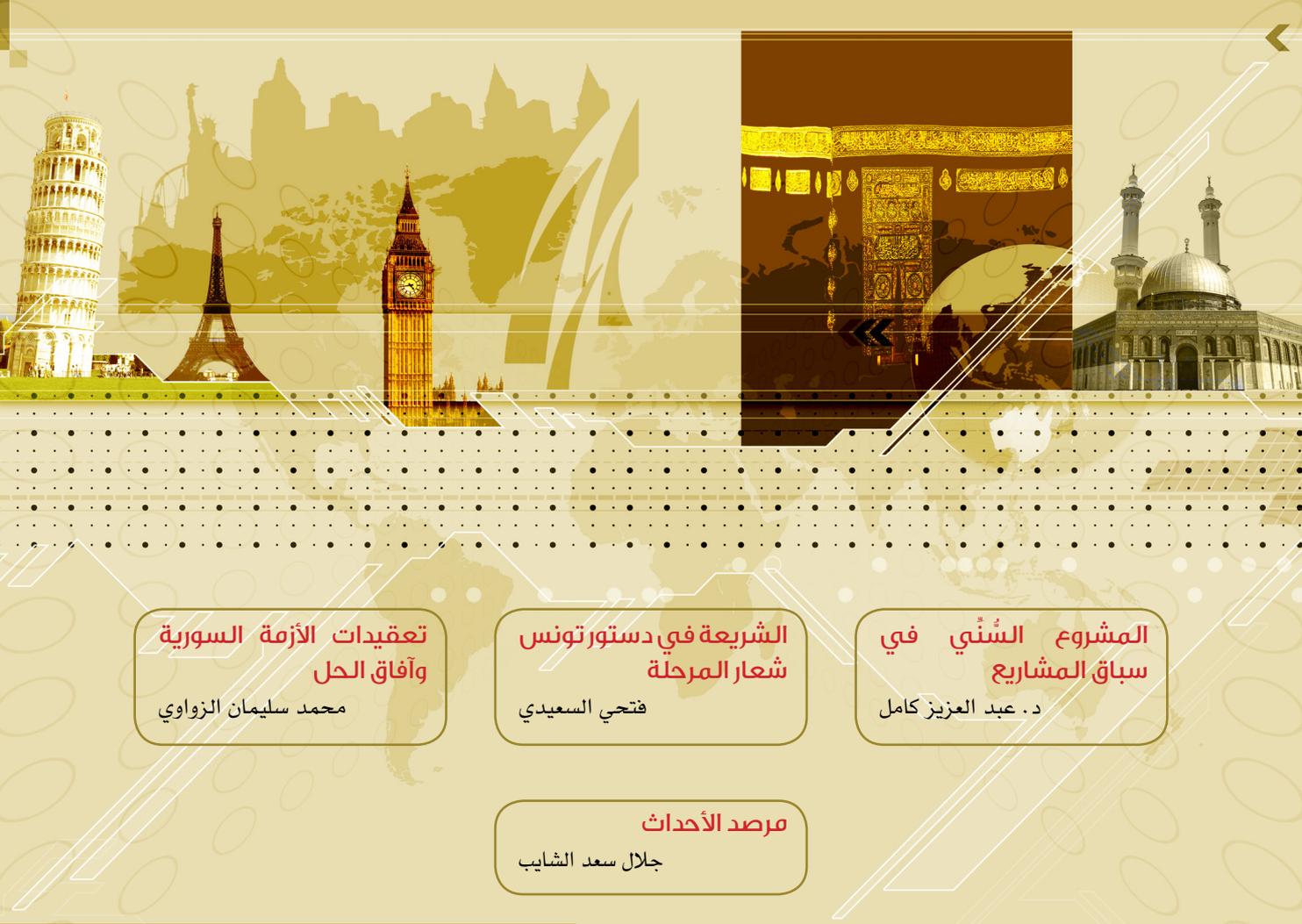
اختياره.. وأنزوي كما أراد لي؟

لكن كيف أتركه وهو مني وأنا منه؟!

لا.. لن أتركه فريسة سهلة لهم..!

• • •

[المسلمون .. والعالم]



**تعقيدات الأزمة السورية
وأفاق الحل**

محمد سليمان الزواوي

**الشريعة في دستور تونس
شعار المرحلة**

فتحي السعيدي

**المشروع السنّي في
سباق المشاريع**

د. عبد العزيز كامل

مرصد الأحداث

جلال سعد الشايب



المشروع السنّي

في سباق المشاريع

د. عبد العزيز كامل

d.amk@hotmail.com

سباق أو حلبة مصارعة، وقد أكسبها الأمريكيون مؤخراً أبعاداً دولية أهم، بعد أن جرى توسيع مفهوم ذلك (الشرق الأوسط) إستراتيجياً، ليضم باكستان وأفغانستان وتركيا تحت مسمى «الشرق الأوسط الكبير» أو الجديد!

إن أبعاد الصراع الاقتصادية والسياسية والعسكرية على أراضي العالم الإسلامي - وخاصة في المراكز الأربعة الأهم فيه تاريخياً وجغرافياً وهي: (بلدان الخليج العربي واليمن والشام ومصر والعراق) هذه الأبعاد؛ تزداد حدتها وشدتها بدخول البُعد الديني عليها، لتظل تلك المنطقة ملتقى تصورات متباينة من الرؤى فيما يسمى بـ (الحتمية التاريخية) عند أصحاب التجارب الحضارية، حيث إن أصحاب كل مشروع من المشاريع الدولية والإقليمية والمحلية المتنافسة فوق أراضي هذه المنطقة، يرون أنها بذاتها ستشهد (نهاية التاريخ) بانتصار مشروعهم الحضاري، أو بتعبير أدق: مسلهم الاعتقادي، حيث إن الصراع في جوهره بين كل المشاريع على أرض الحضارات والنبوات؛ هو في جوهره صراع اعتقادي، أو بالمصطلح الأمريكي: (صراع حضارات) أو (حرب أفكار). لكن تخدمه الحروب السياسية والعسكرية والاقتصادية، بهدف هزيمة المشروع المقابل، أو على الأقل تحييده وتهميشه. ولذلك فإن أصحاب كل مشروع يعدون أنفسهم بالفعل في «سباق» قد لا يتدرك، إذا سبقهم مشروع آخر منافس، وهذا فيه ما فيه من جريان الأحداث وفق سنة التدافع التي قررها القرآن الكريم في أكثر من موضع: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

في مقال سابق - عدد (٢٩٨) - من مجلة البيلال، تحدثت عن مجريات (مئة عام من الحصار) الذي فرض على المشروع الإسلامي الجامع لشعوب أهل السنة، منذ إسقاط آخر صيغة عالمية له، ممثلة في دولة الخلافة العثمانية، الملقاة عام ١٩٢٤م بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وتناولت التفاعلات الواقعة والمتوقعة من جراء ذلك الحصار المتواصل على المشروع السنّي من وقتها وحتى الآن، لافتاً النظر إلى خطأ التجاهل أو التغافل عن ذلك الخطر عند قادة الرأي وأصحاب القرار من الإسلاميين، خاصة بعد موجة الثورات العربية، التي ستُصور حتماً على أنها يمكن أن تمثل قفزة هائلة للخروج من ذلك الحصار، للمشاركة بقوة في مضمار السباق بين المشاريع المتصارعة منذ عقود طويلة في قلب العالم الإسلامي المسمى منذ مطلع القرن التاسع عشر بـ (الشرق الأوسط).

مصطلح «الشرق الأوسط»، يشمل مناطق الجزيرة العربية وأقاليم الشام والعراق ومصر، وأضيفت إليها إيران لأغراض تاريخية، فبلاد الشرق الأوسط مساحة جغرافية ذات خصوصية، تميزت بين سائر بقاع العالم بأنها مهد الحضارات، ومهبط الرسالات، وملتقى القارات، ومطمع القوى العظمى الطامحة إلى الإبقاء على قوتها وسيطرتها بضمان السيطرة على مقدرات تلك المنطقة، ومستودعات كنوزها العظيمة، وممراتها المتحكممة في التجارة العالمية، ومواقعها الإستراتيجية الفريدة، ولذلك كانت عبر التاريخ - ولا تزال - أشبه بميدان

المشروعات المتناقضة حضارياً وعقائدياً؛ كانت - ولا تزال - لا يجمعها شيء سوى العداوة لمشروع الإسلام السُّنِّي، والاستماتة دون عودته في أية صيغة، وتحت أي قيادة؛ عربية أو أعجمية. فمن العجيب أن كل تلك المشروعات - على الرغم من أجنداتها المختلفة - كانت كلها تتنافس فيما بينها على أمرين؛ أحدهما: من يحقق المغنم الأقصى والفائدة الأعظم لحساب مشروعه خصماً من تركة المشروع السُّنِّي الغائب أهله، والثاني: من يلحق المغرم الأكبر والضرر الأشد بأهل ذلك المشروع، في هويتهم وشرعتهم وأرضهم ومقدراتهم ومستقبل أجيالهم!

والملاحظ كذلك أن بداخل كل مشروع من تلك المشروعات الرئيسية، مشاريع أخرى صغيرة، يتم استعمالها أدوات مساعدة في المناكفة والمناهضة، مثل مشاريع الأقباط والموارنة والدروز والنصيرية العلوية والزيدية الحوثية والزنج الوثنيين وأصحاب الأجنات العرقية الانفصالية.

ونلق نظرة مختصرة على تفاعلات تلك التنافسات المتواصلة ضد الإسلام الصحيح، والمتواصية على إقصائه وعزله، وهي نظرة؛ وإن كان بعضها من الماضي؛ إلا أن موضوعها هو المستقبل:

أولاً: المشروع الصليبي التغريبي

ينطلق أصحاب هذا المشروع من «حمية تاريخية» تقول - باختصار- بأن حركة التاريخ تتجه نحو حضارة الرجل الأبيض بالسيادة والتفوق على بقية الأمم، بما لهذا الرجل من خصائص خلّقية وحضارية، زادها تألقاً - في زعمهم - انتسابه إلى القيم الدينية التي جاء بها المسيح - عليه السلام - وعمل لنشرها ونصرها، وسينتهي التاريخ - كما يتوهمون - بتفوق أهلها، بل بتزعم ذلك المسيح - شخصياً - لأتباعه في الفصل الأخير من التاريخ؛ ليخلصهم من كل الأنداد والمنافسين والمعادين الذين يأتي على رأسهم: المسلمون، لأنهم وضعوا أيديهم على أرض المسيح، وجعلوا قداستها وتحررها جزءاً من اعتقادهم!

وتحت هذه النظرة - العنصرية والدينية - لسير « التاريخ المستقبل»؛ جرت معظم أحداث التاريخ الماضي بين النصارى والمسلمين وستجري إلى يوم الدين، كما قرر القرآن العظيم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُوكُمْ حَتَّى يُرَدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

لكن هذا الغرب النصراني عرّضت له فترة إعراض عن الدين، فبعد صراع طويل مع العالم الإسلامي في حروب صليبية متواصلة على أرض الشام وما حولها؛ أسس الغرب

لذلك؛ فإن حَمَلَة المنهج الصحيح لابنغني - في هذا السباق - أن يكتفوا بمسلك (الرؤية الشرعية للأحداث) حتى يضمنوا إلى ذلك المساهمة في (الريادة الشرعية للأحداث)، لأن الفراغ الريادي هنا؛ سوف يملؤه من ليسوا واضحين في الرؤية، أو مؤهلين للقيادة. صحيح أن (المشروع السُّنِّي) لم يتبلور بعد بصورة واضحة في الواقع على الأرض، بل حتى الاسم لم يشتهر في التداول لسبق الوصف العام له: (المشروع الإسلامي). لكن الأيام تثبت والتطورات تؤكد؛ أن هناك بالفعل ضرورة لتمييز المشروع السُّنِّي القائم على الإسلام الصحيح؛ عن بقية المشروعات الهجين المنتسبة زوراً للدين.

إن المراحل المفصلية في التاريخ تحتاج دائماً إلى تقويم صحيح، ثم مبادرات مدروسة، ثم خطوات جريئة. والمرحلة الراهنة من حياة الأمة هي مرحلة تأسيس عملي لانطلاق مشروع قائم على الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ لا على الأهواء التي حذرّه الله - تعالى - منها ومن أهلها عندما قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٨] إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجنائفة: ١٨ - ١٩] وواجب المتقين في هذه المرحلة أن يصطفوا حول المشروع السُّنِّي، مشروع الشريعة، لاستعادة الاعتبار لها في التحاكم أولاً، ثم لإعادة الحكم بها ثانياً.

التأسيس النظري للمشروع الإسلامي الخاص بأهل السنة، قد بذلت فيه جهود عمومية لأبأس بها، في المراحل التي حيل فيها بين الإسلاميين والمشاركة الفعلية في مجريات الأمور في بلدانهم، لكن المنحى العملي لانطلاق ذلك المشروع يحتاج أيضاً لتحسس مواقع الأقدام، قبل الإقدام أو الإحجام، ولا يكون ذلك إلا باستشراف المشهد الإجمالي لخريطة سباق المشاريع المغايرة على الأرض، بامتداداتها الماضية المتصلة بالحاضر والمستقبل اتصالاً وثيقاً.

خريطة المشروعات المنافسة والمتنافسة:

إن التأمّل في تلك الخريطة، سيبرى أنه خلال القرن الميلادي الماضي الذي شهدت بداياته إسقاط المشروع السُّنِّي العالمي بقيادة الخلافة التركية؛ كانت تتحرك على أراضيها المقسمة أربعة مشاريع، أحدها: المشروع الصليبي التغريبي، والثاني: المشروع اليهودي الصهيوني، والثالث: المشروع الاشتراكي الشيوعي، والرابع: المشروع العلماني العربي. ثم دخل على خط المنافسة مشروع خامس هو: المشروع الشيعي الفارسي. هذه

الإفلاس القيمي والجشع المادي؛ عرف الغرب مبكراً أنه ليس شيئاً آخر إلا مشروع الإسلام الصحيح (السُّنِّي)، فلن يقوى على مقاومتهم اعتقادياً وحضارياً لا مشروع شيوعي ولا صوفي ولا قومي، ولن يقف في وجههم ما يسمى بـ (الإسلام الليبرالي)، ولا حتى الإسلام «المعتدل» بمعايير الاعتدال المصنعة في مراكز (حرب الأفكار) التابعة للبتاجون!

يملك المشروع السُّنِّي كل عوامل الانطلاق والتحدي، من باب (القوة) إن لم يكن من باب (الفعل) - كما يقول المنطقة - فهو يملك إمكانات هائلة تؤهله للمنافسة الحضارية في مضمار السباق الواجب دخوله. ولأنه يملك إمكانات المشروع الناجح، من (الرؤية) و (الرسالة) و (الغاية) و (الأنصار) و (ووسائل الانتصار)، فقد استمات أعداء الرسل المعاصرين كي يحولوا دون تحوله إلى واقع حي، يحيا به الحق ويزهق الباطل، فضد قيامه تُصاغ الخطط، ولصدِّ قدمه تُرسم الإستراتيجيات، وتُدبر التكتيكات، وتُقام التحالفات، وتُبث الفتن، وتُوقد الحروب. يكفينا في هذا المقام أن نراجع إستراتيجيات وأطروحات ومصطلحات المواجهة الغربية بشكل عام، والأمريكية بوجه خاص، والتي اشتهرت في العقديين الماضيين فقط، كي ندرك كمَّ وحجم الحرص على بقاء المشروع السُّنِّي غائباً، تأمل في البعد المتعلق بالإسلام في أطروحات مثل (نهاية التاريخ) و (صراع الحضارات) وراجع إستراتيجيات مثل (حرب الأفكار) و (بناء شبكات للإسلام المعتدل) و (الحرب العالمية على الارهاب) و (مشروع القرن الأمريكي) ومشروعات التقسيم لـ (الشرق الأوسط الكبير)، وتخص أيضاً مصطلحات مثل: (الإسلام المدني الديمقراطي) (الإسلام الليبرالي) و (الإسلام العلماني)!! و(الدولة المدنية «اللا دينية») وغير ذلك؛ تأمل في ذلك كله وابحث عن المراد منه، تدرك أن (الإسلام الصحيح) الذي يمثله النهج السُّنِّي، حاضر بقوة ومقصود بإصرار وموضوع بتعمد في عمق تلك الأطروحات والإستراتيجيات والمصطلحات.

الكلام يطول عند الوقوف مع كل مفردة من تلك المفردات في المشروع الصليبي التغريبي على أرضنا في الوقت الراهن، لكن الحقيقة الحاضرة فيها كلها، أن المشروع الصليبي التغريبي هو أقدم وأشرس وأطول المشاريع المصارعة للوجود السُّنِّي منذ بدء التاريخ الإسلامي وحتى نهاية التاريخ الإنساني، مع حقيقة أخرى ماثلة؛ وهي أن كافة المشروعات المعادية الأخرى للمشروع الإسلامي السُّنِّي، هي إحدى سيئات ذلك المشروع الصليبي التغريبي المخضرم في الفساد والإفساد.

الأوروبي مشروعاً ذاتياً خاصاً به، ولكن نتائجه لم تبعد عن التأثير الكارثي على أوطان المسلمين، وقد بدأ ذلك المشروع الغربي في بلاده في القرن السادس عشر باسم (النهضة) متخلصاً من الكنيسة وخرافاتها، وفي القرن الثامن عشر: أخذ منحى (التنوير)، بتتصيب «العقل» في منصب الألوهية الشاغر عندهم، بعد إقصاء فكر اللاهوت الكنسي، وفي القرن التاسع عشر: تحول المشروع الغربي - باسم التفوق العقلي - إلى التوسع على حساب الشعوب الأخرى، وخاصة شعوب العالم الإسلامي، ضمن سياسة إعمار قارة أوروبا، بإفقار غيرها وتجريف مواردها، فيما سمي بـ (الاستعمار). أما في القرن العشرين؛ وبعد أن أضاف الغرب إلى ثرواته التي تكفيه وتغنيه، الكثير من ثرواته ومقدراتها؛ قادة التوحش الرأسمالي إلى تقنين هذه الهيمنة وتثبيتها، عن طريق اصطناع نظام دولي «دائم»، يضمن قوة السيطرة واستقرارها، أو على الأقل تقاسمها مع بقية الأقوياء والأثرياء، ليتقرر على مشارف القرن الحادي والعشرين تطوير للحتمية التاريخية الغربية يقول بـ (نهاية التاريخ) بانتصار الفكر الليبرالي الغربي، وإمساكه بمقاييد العالم من خلال (العولمة) الاقتصادية، أو السيطرة العسكرية، فالليبرالية اعتمدت أداة فكرية لخدمة تلك النظرة الجديدة للحتمية التاريخية.

سقط المشروع الغربي على أراضي المسلمين في شقه القيمي ووجهه الحضاري جراء التوجهات غير الإنسانية المناهية لقيم الغرب الرئيسة التي تشدق بها منذ نجاح الثورة الفرنسية، أما الشق المادي من ذلك المشروع، فالنجاح الظاهر فيه، إنما كان في جزء كبير منه، مبنياً على ثروات مسروقة، ومقدرات منهوبة، وإرادات مسلوبة. وأكثر ذلك كان يجري في العالم النامي، وأغلبه إسلامي! وقد تجلَّى ذلك كله من خلال سياسات فرض التغيب باسم (التغريب) حتى تظل تلك الشعوب غريبة في بلادها ومقادة بقيادة يتكلمون بألسنتها، لكنهم يتجهون إلى غير وجهتها.

كان واضحاً منذ البداية أن أي مشروع إسلامي مستقل ومقاوم ومتطلع إلى الأمام، سيمثل خطراً على مشروع الغرب المفلس في قيمه، والجشع في تطلعاته وطموحاته، والمصرُّ على توفير الحد الأقصى من الرفاهية - بأي سبيل - للإنسان الغربي «السوبر» الذي لم يعد يتذكر من دينه إلا.. ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

إن المشروع المفترض أن يكون مناهضاً ومقاوماً لهذا

ثانياً: المشروع اليهودي الصهيوني:

يستمد ذلك المشروع خطورته من كونه يستهدف أهم مناطق العالم الإسلامي حساسية وأهمية، فمنطلقه: الأرض المقدسة في الشام، بما لها من دلالات دينية وتاريخية. ومداه الجغرافي أو السيادي المستقبلي: في الأرض الممتدة من النيل غرباً إلى الفرات شرقاً، ومن جنوب تركيا شمالاً إلى شمال المدينة المنورة جنوباً، وتدل على ذلك - بإسهاب - أدبيات وإستراتيجيات ذلك المشروع منذ بدأ، ومعلوم أن تلك المناطق تمثل قلب وعقل الوجود السُّني في القديم والحديث.

لذلك فإن «الحتمية التاريخية» عند أصحاب ذلك المشروع تقول: إن التاريخ يتجه في مسار انتصار «الشعب المختار» بعد تمكنه من العودة إلى الأرض المقدسة، معيداً فيها بناء قوته، ومستعيداً فيها مقدساته، ومنتصراً فيها على أعدائه، حتى تتأهل هذه الأرض وماحولها لزمن تمكُّن اليهود، وسيطرتهم على كل العالم من (أورشليم القدس) تحت قيادة المسيح اليهودي المنتظر!

مرة أخرى؛ نرى تلك المنطقة من العالم، منطقة الوجود السُّني العربي أو (الشرق الأوسط)، محط أنظار مشروع منحط آخر، هو مشروع من ضربت عليهم الذلة والمسكنة، المشروع الذي قام أساساً على أنقاض مشروع الخلافة، وكان لليهود اليد الطولى في إسقاطها، وهو مشروع في حقيقته صناعة غربية نصرانية بروتستانتية وكاثوليكية، أراد نصارى الغرب منه تأسيس قاعدة متقدمة لمواجهة أي مشروع إسلامي ولید، ولذلك ثَبَّتوا في المنطقة على مدى عقود طويلة أنظمة موالية لهم من المناقطين الذين وافقوا اليهود على دعوى مشروعية مشروعهم، ووقفوا معهم أو بالنيابة عنهم ضد أي محاولة لإقامة مشروع إسلامي ناشئ.

حقق مشروع اليهود منذ بدأ العديد من القفزات والنجاحات، وعلى رأسها بناء كيان حديث، يملك خامس أكبر قوة عسكرية في العالم، وقف العالم الغربي بأسره وراءها، ولا يزال، لكنه - مع ذلك - وقع في كثير من الإخفاقات والانتكاسات، التي سببتها صلابة الموقف الاعتقادي الإسلامي الشعبي من مهادنة ذلك الكيان أو الصلح معه أو قبول تطبيع العلاقات مع مشروعه المعادي المرتبط وجوده وصعوده بغياب المشروع الإسلامي أضعفه.

لقد صاغ المشروع اليهودي لنفسه نظرية للأمن القومي بدأت في الظهور والعمل منذ الأربعينيات في عهد «بن جوريون»

أول رئيس وزراء في الكيان الصهيوني، وتعتمد هذه النظرية على تقسيم العالم الإسلامي والعربي المحيط إلى دوائر خطر، ينبغي العمل على مواجهتها كلها بحسب درجة ذلك الخطر، فالدائرة الأولى؛ هي دائرة (وادي النيل) وتقودها مصر، والدائرة الثانية هي دائرة (الشام) التي كانت تتناوب سورية والعراق على زعامتها، والدائرة الثالثة دائرة (الخليج العربي) ومركزها السعودية، والدائرة الرابعة: هي (الدائرة الإسلامية) التي تبرز فيها قوى كبيرة مثل باكستان وتركيا وإيران، والدائرة الخامسة هي: (الدائرة الإفريقية) وتمثلها دول منابع النيل، إضافة إلى الدول ذات التأثير على البحر الأحمر.

ووفق هذا التقسيم: تقيم النظرية أمن الكيان اليهودي على الأسس التالية:

- منع التقارب أو التسييق بين الدول الرئيسية في تلك الدوائر، وخاصة دائرتي وادي النيل والشام.

- تشجيع عمليات الانشقاق والتقسيم داخل كل دائرة وخاصة دائرة الشام.

- عرقلة أي تسييق بين الدائرة الخليجية والدائرة الإسلامية.

- إقامة علاقات وثيقة مع دول منابع النيل غير الإسلامية، لضمان الضغط على كل من مصر والسودان في مسألة حصص المياه، مع تهيئة أوضاع تسمح بحرية الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر.

وفي ظل تملك أشد الناس عداوة للذين آمنوا، لأحدث أنواع الأسلحة ردعاً وفتكاً؛ يريد هؤلاء اليهود تحقيق هدفين إستراتيجيين بالنسبة إلى أمنهم القومي؛ أحدهما: توفير الحماية للدولة اليهودية وضمان قدرتها على التوسع، والثاني: تضيق الخناق على العرب حتى يرضوا بالاعتراف بتلك الدولة، وتطبيع العلاقات معها.



ثالثاً: المشروع الشيعي الفارسي:

وأصحابه يضعون أعينهم أيضاً على قلب العالم السُّنِّي، متربصين بأي مشروع ناجح لمن يوصفون عند شيعة اليوم والأمس بـ (النواصب) الذين ناصبوا آل البيت العداء! والعجيب أن المشروع الشيعي الفارسي يستهدف أيضاً الأقاليم السُّنِّيَّة العربية الأهم التي يستهدفها اليهود، لا بغرض حمايتها منهم، بل بغرض تقاسمها معهم، والشيعية الفرس يجمعون - مثل اليهود - بين العداوة الدينية والعنصرية، فهم يحترقون العربي ولو كان شيعياً مثلهم، لكنهم لفرط قحدهم المزدوج على العرب السنة، يعدون الشيعة العرب أدوات لضربهم وإذلالهم، كما دلت على ذلك الوقائع التي تلت غزو الأمريكيين للعراق، ثم ماتاها من أحداث في اليمن والبحرين وغيرها.

خطورة المشروع الشيعي بقسميه: الفارسي والعربي؛ أنه موجه ضد السُّنَّة ومنهجهم على وجه الخصوص، ودون تقيّة أو مواربة، ويستهدف في النهاية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة. ومشروعهم يسير بانتظام في مخطط خطير لتطويق جزيرة العرب كلها لأجل الزحف إليهما، في مقابل استهداف اليهود للأماكن المقدسة في الشام وسيناء، ولذلك يبني الشيعة خططهم الإستراتيجية المستقبلية، وفق «حتمية تاريخية» مبنية على أساس أن أحداث التاريخ تجري باتجاه خروج من شايعوا أهل البيت من «المظلمة» التاريخية، تحت شعار (الثارات الحسين)!!.. تنتهي - كما يعتقدون - بانتصارهم على «أعداء» أهل البيت، وتحرير «مراقد الأئمة» والأماكن المقدسة منهم، بعد الانتقام من هؤلاء (الأعداء) أحياءً وأمواتاً!!

رابعاً: المشروع الاشتراكي الشيوعي:

وهو مشروع سقط في بلاده بسقوط الشيوعية السوفيتية واتحادهما الإلحادي، غير أن هذا المشروع له أنصار لا يزالون يكافحون بجنون لاستئناف مسيرته في بلاد المسلمين، متعللين بأن ما سقط هو النموذج التطبيقي السوفييتي، أما النظرية فإنها لا تزال بانتظار من يقوم بها. وما انبعاث الأحزاب اليسارية وتجديد نشاطها في بلاد الثورات العربية، ودخولها حرباً ضروساً معلنة ضد قوى ورموز المشروع الإسلامي، ووصول بعضها إلى سدة الحكم، إلا دليلاً على أن المشروع الاشتراكي اليساري الذي كاد يغزو أكثر البلدان السُّنِّيَّة في الخمسينيات والستينيات الميلادية، لا يزال يكافح للبقاء نداءً للمشروع الإسلامي السُّنِّي في ساحاته ومخصصاته.

هل ستحاول بقايا المنظومة الاشتراكية - خاصة بعد إخفاق الرأسمالية - بعث الروح في الحركات اليسارية الميتة في البلاد العربية؟ هذا احتمال لا ينبغي استبعاده، في سياق السباق المحموم من حولنا، وفي عقر دارنا.

خامساً: المشروع العلماني العربي:

هذا المشروع مشروع مسخ هجين، لأنه - باختصار - هو مشروع المنافقين. وهل للمنافقين مشروع؟ نعم بل مشاريع، لكن يجمعها جميعاً أنها مشروعات ضرار، تتطلق من كلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، مرة باسم القومية العربية، ومرة باسم التعصب للجذور الوثنية الوطنية، فرعونية كانت أو فينيقية أو آشورية، ومرة باسم الخصوصيات العرقية والعنصرية، وأكثر هذه المشاريع جاءت استلهاماً لـ «مبادئ» العلمانية الغربية، سواء أكان في صورتها الغربية (الليبرالية) أم في صورها الشرقية التي تجمعها الاتجاهات اليسارية: الشيوعية والاشتراكية. ونتج عن ذلك الاضطراب ازدواجية في المعايير، أثمرت ازدواجية في الانتماء والولاء، فهم لهذا ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

ليس لمشاريع النفاق العلمانية «حتمية تاريخية» لأنها ليس لها منهج أو مذهب تسعى لنشره في العالم، وحتى المشروع العربي في صورته القومية، لم يحلم بأكثر من وحدة العرب تحت أي راية علمانية، فليس له بعد عالمي كما هو الشأن في المشروع الغربي الرامي إلى تسييد (شعب الله المختار الأنجلوساكسوني)، و ليس لديه كذلك دين يرى عصمة أهله، كما هو حال المشروع اليهودي الهادف إلى إخضاع الناس لـ (الشعب المختار الصهيوني). لكن مع ذلك، فمشروع المنافقين الأعداء هو الأخطر بين كل هؤلاء، لأنه يقوم على الهدم من الداخل القريب، لا من الخارج البعيد، ولهذا قال الله تعالى عنهم وعمَّن يحملون مشروعهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

المشروع السُّنِّي: أين..؟ وإلى أين..؟

هذا سؤال المرحلة، وعنوان الظروف الراهنة، ولكن الحديث فيه يطول، ولذلك فإنه سيكون عنوان المقال القادم بإذن الله.



الشرعية في دستور تونس شعار المرحلة



فتحي السعيد (*)

”بسم الله الرحمن الرحيم - جمعة نصر الشريعة - نصره
لديننا الحنيف ومطالبة جعل الشريعة الإسلامية هي المصدر
الأساسي والوحيد للتشريع في تونس، تدعو الجبهة التونسية
للجمعيات الإسلامية إلى مظاهرة حاشدة أمام مقر المجلس
التأسيسي يوم الجمعة في ٢٣ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ، إن شاء الله، إثر
صلاة الجمعة. هبوا عباد الله صفاً واحداً لنصرة دين الله“.

”الشريعة الآن بالنسبة إلينا هي برنامجنا
الانتخابي“ - راشد الغنوشي - جريدة
الشروق الأحد ١ إبريل ٢٠١٢م الموافق ٩ جمادى
الأولى/١٤٣٣هـ.

إذاً كيف يفهم هذا التباين في إزدواجية الخطاب لدى النهضة،
والواضح بجلاء بين موقفي راشد الغنوشي ومجموعته، وموقف الحبيب
اللوز والذين معه من الشريعة؟

هل هو صراع أطراف داخل النهضة؟

القول بوجود صراع أطراف مردود بما صرّح به راشد الغنوشي من أن
عملية الرجوع عن طلب إدراج الشريعة في الدستور تمت عبر تصويت من
٧٤ قيادياً في النهضة. عبّر ٥٢ منهم عن رغبتهم في رفض إدراج الشريعة
وامتنع ٨ عن التصويت.

يعني من كان مع إدراج الشريعة في الدستور ١٢ قيادياً من مجموع
٧٤. هل يمثل هؤلاء، الثلاثة عشر طيفاً داخل النهضة؟

ربما! ولكن مسألة مثل الشريعة داخل تنظيم مسمى على الإسلام،
مثل النهضة، من المفروض أن تُعدّ مبدئية، حياتية ولا يمكن أن تكون بحال
من الأحوال، وتحت أي ظرف، ورقة للعبة تكتيكية، سياسياً.

لو كان هؤلاء الثلاثة عشر طيفاً يمثل هذه المبدئية في النهضة
لاستقالوا أو لانسقوا. فالأمر إما أن هذه القيادة ليست لها الشخصية
القوية لأخذ قرار الحسم في موضوع مفصلي مثل الشريعة، وإما أنّ
مسألة الشريعة عندهم ليست بالمبدئية التي نعتقد، وإنما هي قراءة من
ضمن قراءاتهم.

”البرنامج الانتخابي لحركة النهضة لا
يتضمن تطبيق الشريعة... فالأولية تبقى لإقامة
نظام ديمقراطي حقيقي يضمن الحريات لجميع
المواطنين من دون تمييز على أي أساس“. من
ندوة صحفية عقدها راشد الغنوشي رئيس حركة
النهضة، وفتحي العيادي رئيس الهيئة التأسيسية
للحركة والصحبي عتيق رئيس الكتلة النيابية للحركة،
بالمجلس التأسيسي.

بالمقابل، وفي نداء لتظاهرة لجعل الشريعة
المصدر الأساسي والوحيد للتشريع، أطلقه عدد من
الجمعيات الإسلامية الغالب عليها الوجه السلفي؛
بالإضافة لبعض جمعيات النهضة، وقد كان الشيخ
الحبيب اللوز عضو المجلس التأسيسي عن النهضة
من المنظمين والداعمين والمحرضين لهذا النداء،
نجد:

(*) رئيس جمعية الخير الإسلامية.



الشريعة بين النهضة والسلفيين:

الذي وقع، أن خذلان النهضة لجانب كبير من الشعب التونسي يحلم بمصدرية الشريعة لقوانينه، ألمّ قسمين من الإسلاميين:

١ - قسم كبير من السلفيين الميالين للمشاركة في الانتخابات، ومساندة النهضة على أساس أنها الوجه الإسلامي في هذه الانتخابات، كان هذا القسم يخالف، في الرأي، جانباً آخر فاعلاً من السلفيين يرى بعدم شرعية الانتخابات والآليات الديمقراطية.

السلفيون الذين ساندوا النهضة في الانتخابات وجدوا أنفسهم محبطين من النهضة. وكانت النتيجة أن انقسموا إلى ثلاثة أجنحة:

أ - جناح سئم اللعبة السياسية وانسحب إلى العمل الدعوي والمدني.

ب - جناح اقتنع بروى المناهضين للانتخابات وهم أقلية
ج - جناح قرر إنشاء أحزاب، والعمل من ناحية البرامج، بمعزل عن النهضة. وهذا ما سنراه عملياً قريباً إن شاء الله. حيث تعدّ مجموعتان من السلفيين، على الأقل، العدة لإنشاء حزبين. أمر، إن تم، سيفرض على النهضة رفع سقف طرحها الديني كيلا تُسحب من تحتها صورة التنظيم الإسلامي البارز في البلد.

٢ - القسم الثاني، من المصدومين من قرار النهضة التخلي عن مطلب الشريعة، هم جانب كبير من قواعد حركة النهضة نفسها، وبعض قياداتها الميدانية الذين اهتزوا لعدول النهضة عن مطلب الشريعة، ولم يعودوا يفهمون حركتهم كما لم يعد بمقدورهم تسويغ سياساتها. هذه القاعدة تنتظر مؤتمر الحركة كي تقول كلمتها.

قامت النهضة بالتحريض لتحركات تنادي بتطبيق الشريعة عبر بعض رموزها. مسألة لم تكن للحركة السلفية المبادرة السياسية فيها. وقد نأى السلفيون بأنفسهم عن العمل السياسي بشكله الحزبي و"الديمقراطي" ولكنهم رموا كل ثقلهم في مسبح السياسة لما جاءت الإشارة من النهضة للعمل على إدراج الشريعة في الدستور.

لماذا انسحبت النهضة من هذا الطرح بشكل فجائي وفضجداً، جعل حتى قيادات الصف الثاني فيها يهتزون؟ ليس السلفيون هم من بادروا بالمطالبة بإدراج الشريعة في الدستور ولكن جمعيات وقيادات من النهضة، وساند السلفيون هذا المطلب. لماذا تراجعت النهضة؟

في بداية الثورة وقعت هجمة من بقايا الإلحاد والانبثات في تونس على المادة الأولى في الدستور التونسي: "تونس دولة حرة مستقلة، ذات سيادة. الاسلام هو دينها، العربية هي لغتها والجمهورية نظامها" حيث أرادوا حذف "الإسلام هو دينها، العربية هي لغتها". بعدها بقليل أخبرنا بعض رموز النهضة بسعيهم لإدراج الشريعة في الدستور وأنهم يمررون الأمر بصمت ويُعدون له الأرضية داخل المجلس التأسيسي.

وفعلماً أعدت هذه القيادات الخطة وشاركت في التظاهرات والمسيرات والأنشطة الشعبية لحث المجلس التأسيسي على إدراج الشريعة في الدستور التونسي.

الآن وبعد التحلل الفجائي من هذا المطلب، يرى بعضهم أن النهضة لم تفعل إلا تهيج عواطف الشعب تجاه شرع الله والإسلام كي ترفع سقف المطالب أعلى من المادة الأولى، حتى يتمسك العلمانيون بهذه المادة كسقف لهم.

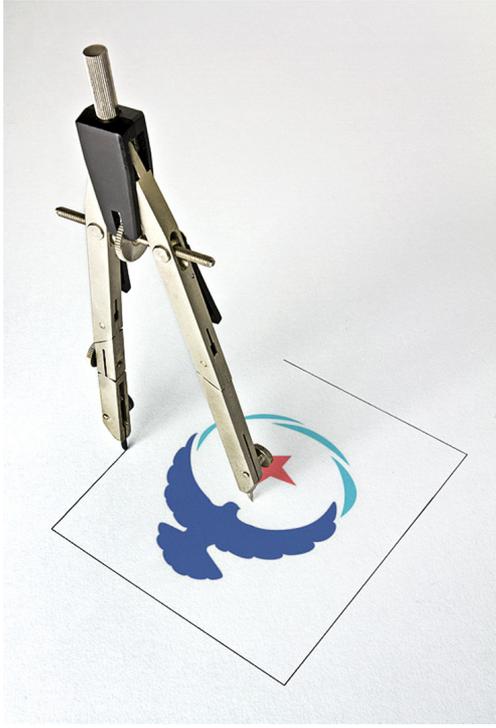
٣ - وهذا ما تمّ. من كان يصرخ، من العلمانيين، بتغيير المادة الأولى أصبح ينادي عالياً بقدسية هذه المادة.

أي، استعملت النهضة شرع الله كتكتيك في لعبة سياسية رخيصة.

٤ - بالطبع لا يمكن تجاهل الضغط الخارجي وعمل السفارات الأجنبية في تونس خاصة الفرنسية والأمريكية التي أقامت مؤخراً دورة مدفوعة الأجر للصحافيين التونسيين.

والاعتماد على تبرير ضغط القوى الخارجية غير كاف؛ لأنه متى كانت هذه القوى ترضى بالشريعة، ألمّ تع النهضة قول الله، - عز وجل - : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مَتْلَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

٥ - فهل يعقل أن تنادي النهضة بإدراج الشريعة في الدستور دون أن تكون واعية برد فعل اليهود والنصارى ومَن والاهم؟



النهضة بين السلفيين وأعداء الدين.

”لم أكن أتوقع أن السلفيين بهذا العدد وهذا الحجم في تونس“ قالها الشيخ سعد الحميد في أثناء زيارته إلى تونس لإقامة دورة علمية، ثم أضاف مازحاً ”أمر يجعلك تطمئن على باقي الدول“.

نعم. يقبل الشباب أفراداً وجماعات على المنهج السلفي وأصبحوا يمثلون رقماً مهماً في البلاد، في حين أن من يسمون بالعلمانيين والحداثيين يندثرون شعبياً ويتقلص حجمهم يوماً بعد يوم. ويبقى الإعلام آخر أسلحتهم.

ما الذي يجعل النهضة تراهن على أعداء الدين وتعطيهم حجماً أكبر منهم ينفخ فيهم روحاً؟

قد تكون ذاتية بعض العناصر القيادية في النهضة فرّت لسنوات خارج تونس إلى بريطانيا وفرنسا وغيرها، حاملة معها صورة عن الواقع التونسي تنتمي إلى عقود الثمانيات والتسعينات من القرن الماضي. واقع كان فيه لأعداء الإسلام وللشذوذ الفكري الماركسي، وغيره من أطروحات التغريب، بعض وزن. واقع كان فيه لفرنسا قدرة على الفعل في تونس أكبر مما هو عليه الحال الآن.

عادوا إلى تونس بعد الثورة، وهم يعتقدون أن الأمر على حاله. عادوا وفي كوابيسهم نفس الوحوش الكاسرة. ليس في وسعهم إدراك أن تلك الوحوش الكاسرة انكسرت، بعون الله وفضله، ثم بإرادة وأصالة هذا الشعب التونسي المسلم.

لم تع كثير من قيادات النهضة التي خرجت من تونس، إلا مؤخراً، حجم التيار السلفي المترامي على كامل تراب البلاد. تيار ولد وترعرع ونما في زمن غيابهم عن تونس. تيار واجه أجهزة قمع النظام التونسي بثبات مبهر في حين أن جانباً من قيادات النهضة تراقب، ما يجري في البلد، من بعيد، من أوروبا. بينما الجانب الآخر الذي اختلط بالسلفيين في السجون مثل الشيخ صادق شورو والحبيب اللوز يقيمون علاقات دعوية وسياسية جيدة ومثمرة وذكية مع السلفيين.

٦ - ستؤلد خيبة الأمل - المرّة - التي زرعتها النهضة في أنفس الشعب التونسي بتخليها عن الشريعة، رغبة قوية لدى النخب الإسلامية في البحث، عن بديل سياسي إسلامي آخر، يُعوّض حركة النهضة. بدلاً، يكون على قدر كافٍ من النقاء العقدي وله ”مهنية مبدئية“ سياسياً. وهذا ما يجب أن نراه، قريباً، بإذن الله.

وفي المدى المتوسط، لا يمكن أن نختم هذه الكتابة دون الإشارة إلى خير مرّ مرور الكرام في الإعلام، على الرغم من أهميته ورمزيته التاريخية، ألا وهو حكم المحكمة الابتدائية في تونس بإعادة فتح جامع الزيتونة ونزع الأفضال عن باب إدارته، وبالتالي سيعود التعليم الأكاديمي الأصلي الزيتوني كما كان.

تكمّن الرمزية القوية لهذا الحدث في هزيمة الماسوني ”بورقية“ الذي أقفل جامع الزيتونة كصرح للإسلام. هزيمة أمام الحتمية التاريخية التي تقول: إن تونس ستبقى إلى قيام الساعة، بإذن الله، منارة لدين الله. هزيمة أمام إرادة وأصالة الشعب التونسي المسلم.

وتكمّن أهمية هذا الحدث في أن هذا الصرح سيعود - إن شاء الله - المرجعية الشرعية للشعب التونسي حيث سيمتص الصراعات العقدية والاختلافات العلمية داخل جدرانها وبين علمائه. وهذا هو الحلّ لحالة الفوضى داخل الجسد الإسلامي. فوضى مرتبطة بغياب المرجعية العلمية الموحدة. سيعود عامة الناس والمؤسسات إلى الزيتونة في خلافاتهم ومطالبهم الشرعية.

في هذا المدى المتوسط نرجو من الله أن يعيد الزيتونة درعاً لعقيدة أهل السنة والجماعة على نهج السلف الصالح. سيكون للزيتونة - إن شاء الله - وزن ديني وسياسي قوي، كما هو وزن الأزهر في مصر. نسأل الله لتونس ولأمة الإسلام العزّة والأمن والأمان.



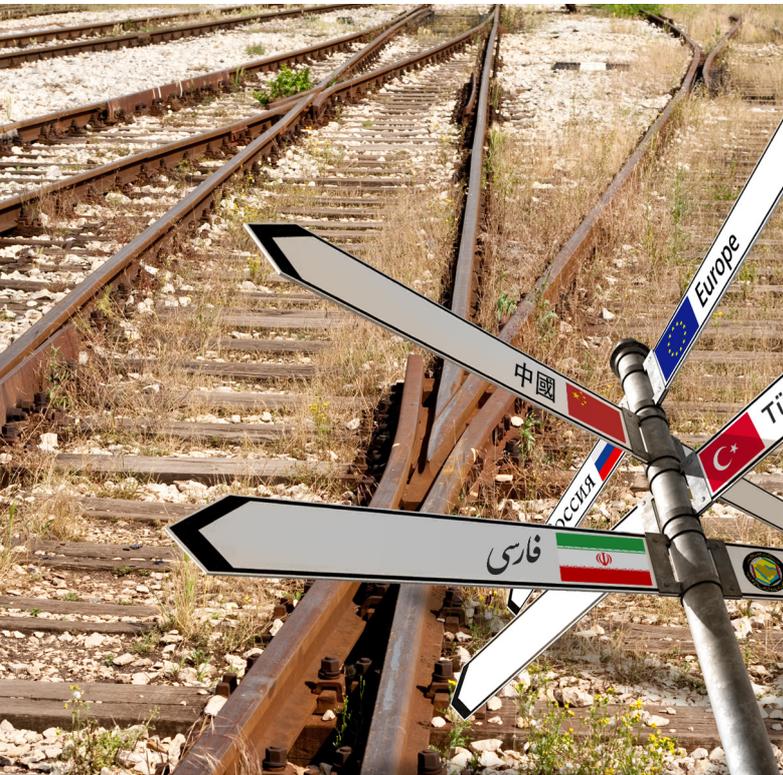
تعقيدات الأزمة السورية وأفاق الحل

فرهان الأسد هو كسب الوقت لكسر شوكة الجيش الوطني الحر، وأن تؤدي المذابح البشعة إلى استسلام المعارضة في النهاية كما استسلمت لأبيه من قبل في مجزرة حماة؛ لذلك فإنه يظل يتلاعب بالأطراف الإقليمية والدولية معتمداً على كل من روسيا وإيران والصين، ومستفيداً من تشابك العلاقات بين تلك الدول والغرب وتركيا ودول مجلس التعاون الخليجي، من أجل كسب الوقت لإنهاء مهمته بتركيب الشعب السوري، كما يعتمد كذلك على انقسام المعارضة ما بين الداخل والخارج، وما بين الذراعين السياسي والعسكري، ويحاول في الوقت ذاته أن يُسخر آلتة الإعلامية داخليا من أجل توصيف ما يحدث بأنه مؤامرة خارجية؛ ليكسب مزيداً من التعاطف الداخلي لتقوية موقفه في حال اضطراره إلى وقف القتال واللجوء إلى الحلول السلمية في النهاية.

محمد سليمان الزواوي*

تمثل الأزمة السورية واحدة من أكبر الأزمات التي مرت بها الأمة العربية في تاريخها الحديث بسبب تشعباتها الإقليمية والدولية والمذهبية والعرقية؛ فالشعب السوري الأعزل يذبح بالآلاف على يد الطائفة العلوية التي كرس نظام الأسد الأب سيطرتها على مفاصل الدولة السورية بأذرعها الأمنية والاستخباراتية والعسكرية، وأصبحت تلك الأزمة تهدد بابتلاع المنطقة بأسرها بسبب تشعباتها غير المحدودة بنطاق القطر السوري، فقد اجتذبت تلك الأزمة العديد من الأطراف الدولية من روسيا إلى تركيا إلى إيران إلى الغرب وإسرائيل. كما أنه من غير المتوقع على الأمد المنظور أن يرخي نظام الأسد قبضته عن الحكم؛ لأن تشبته بالسلطة يعني له الحياة، وما دون ذلك يعني له الموت، فلا مخرج أمام نظام الأسد سوى التشبث بالسلطة والرهان على داعميه الدوليين - روسيا والصين وإيران - لتأمين بقائه في لعبة الدماء تلك.

(*) باحث في العلاقات الدولية.



فحزب العدالة والتنمية قد أعطى أولوية كبرى للمصالح الاقتصادية والتجارية حيث يراها القوة الدافعة لنفوذ الإقليمي؛ لذا من أهم أسباب تلوّن تركيا هو أن الداعمين الثلاثة الأساسيين للنظام السوري - الصين وإيران وروسيا - هم من بين أكبر الشركاء التجاريين لتركيا، فأى تورط تركي واضح بتدخل عسكري يستهدف الأسد يمكن أن يمثل مخاطر جسيمة لعلاقات تركيا مع تلك الدول الثلاثة بتكلفة كبيرة على الاقتصاد التركي. فروسيا وإيران من أكبر مصدري الغاز الطبيعي لتركيا، ففي ٢٠٠٩م كان الغاز الروسي يمثل ٥٤% من إجمالي واردات تركيا من الغاز، بينما جاءت إيران في المرتبة الثانية بنسبة ١٤%، كما أن صادرات الغاز الإيراني لتركيا قد زادت بنسبة ٥٠% في ٢٠١٠م، مما جعل تركيا أكثر اعتماداً على الغاز الإيراني.

كما أن تركيا تعتمد على روسيا وإيران بالتساوي فيما يتعلق ب واردات النفط الخام، ففي الربع الأول من عام ٢٠١١م كانت إيران أكبر مصدر للنفط الخام لتركيا بحصة وصلت إلى ٢٠% من إجمالي واردات تركيا، ويأتي بعدها العراق بنسبة ١٢%، وروسيا بنسبة ١١%. فمعدل التجارة البينية بين تركيا وكل من روسيا وإيران قد ارتفع بصورة كبيرة في السنوات الماضية، ووصلت إلى ٢٦,٢ مليار دولار مع روسيا و١٠ مليارات دولار مع إيران في ٢٠١٠م. كما ارتفعت أيضاً تجارة تركيا مع الصين لتتضاعف ١٢ ضعفاً في ٢٠١٠م لتصل إلى ١٩,٥ مليار دولار. كما أن تركيا تستفيد من التدفق الكبير للسياح الروس والإيرانيين، بما يقرب من ٢ مليون روسي ومثلهم من الإيرانيين الذين زاروا تركيا في ٢٠١٠م، مقارنة بأقل من ٢ مليون سائح من كل الدول العربية مجتمعة.

ولا شك أن كل تلك الأرقام ستؤثر بصورة كبيرة على حسابات تركيا في الأيام القادمة، فإيران التي تتعرض إلى تهديد الحرب من الغرب، في بقاء نظامها الثوري قضية وجود بالنسبة إلى طهران، وسقوط الأسد لن يعني فقط خسارة سورية وحزب الله كحلفاء كبار لإيران، ولكنه أيضاً سيشتجع الغرب على مزيد من الضغوط على الدولة الإيرانية من أجل إسقاط نظامها الحالي، وكل ذلك يجعل الردّ حاسماً من حلفاء إيران إذا ما اختارت تركيا أن تشارك في تحالف عسكري ضد سورية، فروسيا والصين تعلمان النيات الأمريكية لقلب النظام الإيراني؛ ليكون لها الهيمنة في المنطقة وتقليص سوق السلاح الروسي بعد القضاء على

وعلى الجانب الآخر نجد أن "أصدقاء الشعب السوري" يحاولون هم أيضاً بالاتجاه المعاكس: بذل مزيد من الضغط على نظام الأسد من أجل تحييد سلاحه الرئيس - المذابح بحقّ المدنيين - وكسر شوكته ووقف تلاعبه بالوقت، فهناك أطراف ثلاثة لها مصلحة في الإطاحة بنظام الأسد، وأولها هو الولايات المتحدة والغرب لتضييق الخناق على إيران وبرنامجها النووي، ثم تركيا التي استثمرت بقوة في توسيع عمقها الإستراتيجي في المنطقة العربية انطلاقاً من سورية، ثم دول مجلس التعاون الخليجي، التي ترى أن كسر شوكة

الأسد هو مقدمة لكسر النفوذ الإيراني في المنطقة، ومن ثم نزع فتيل الأزمة التي تلوح في الأفق سحبها المتراكمة مع العدوّ التنازلي لامتلاك إيران للسلاح النووي.

ورأس الحربة في جهود الإطاحة بالأسد هي تركيا، وذلك لمصالح نفوذها السياسي والاقتصادي في المنطقة، وكذلك لأنها الدولة الوحيدة التي استقبلت المعارضة السورية وفتحت أراضيها للاجئين الذين وصل عددهم إلى ٢٥ ألف لاجئ، فالخيار الآخر في حال فشل الوسائل السلمية هو التحرك العسكري، الذي من المتوقع أن يكون له تداعيات كبرى على المنطقة وعلى تركيا بالأخص، لذلك تحاول تركيا أن تضغط بوسائلها الناعمة والصلبة من أجل إجبار الأسد على وقف المذابح بحقّ الشعب السوري الأعزل، لكي تتجنب الخيارات الأسوأ، والتي من المتوقع أن يكون لها تداعيات كبرى على الدولة التركية، فلكي نفهم تعقيدات الموقف التركي يجب أن نفهم روابطه الاقتصادية مع الدول المعارضة لاستخدام القوة في مواجهة نظام الأسد،

فمن أهم مقومات تفوق الدولة التركية في العقد الأخير كان صعود اقتصادها المنفتح والحر، والذي أصبح فيه الاستثمار الأجنبي عاملاً مهماً في ذلك التفوق الاقتصادي،

” من أهم أسباب تلوّن تركيا هو أن الداعمين الثلاثة الأساسيين للنظام السوري - الصين وإيران وروسيا - هم من بين أكبر الشركاء التجاريين لتركيا “

وبناء جبهة قوية أمام حلفاء سورية شرقاً وغرباً، كما أن تلويح كلاً من السعودية وقطر بدعم الجيش السوري الحر بالسلاح يُعدُّ عاملاً أساسياً في عكس سير المعارك في سورية، ويمكن أن يجبر الأسد في النهاية على وقف مجازره بحق العزل من المدنيين، على الرغم مما يحمله ذلك من مخاطر مثل شرعنة اتخاذ الأسد لوسائل عسكرية، ووصف ما يحدث بأنه مؤامرة خارجية على بلاده، ومن ثم استعمال القوة المفرطة ضد المدنيين، إلا أن تلك الخطوة من نظام الأسد ستعطي شرعية أيضاً للتدخل العسكري الشامل وفرض مناطق حظر طيران وإنشاء ممرات آمنة للمدنيين بالداخل، ويمكن أن يدخل الصراع إلى المرحلة الثانية من اللعبة.

لذلك فإن الوضع في سورية، الآن دخل المرحلة الأخيرة من لعبة عض الأصابع، فنظام الأسد لن يكفَّ يده عن المدنيين إلا في حال رؤيته لخطوات ملموسة لإنهاء سيطرته على البلاد، والتي سترتب عليها إنهاء حكمه وتدمير جيشه وتقديم الأسد وأقطاب حكمه إلى المحكمة الجنائية الدولية بتهمة ارتكاب جرائم حرب، أو تصفيته جسدياً واستهداف مقراته بضربات

جوية، مع فتح الممرات الآمنة لخروج المدنيين من كافة أنحاء الدولة السورية؛ للنجاة بأنفسهم من آلة القمع الجهنمية لنظام بشار، أو الخيار الآخر، وهو الوسائل السلمية ووقف مذابحه والبدء في تنفيذ خطة كوفي عنان مرغماً في النهاية، فقد بدأت تظهر مؤشرات تصدع

”سقوط النظام السوري سيعني عدم قدرة روسيا على استغلال قاعدة طرطوس البحرية التي تُعدُّ المعقل الأخير لروسيا على البحر المتوسط“

كتائب بشار الأسد مع زيادة أثر الضغط الاقتصادي عليه وعلى نظامه، وأشارت تقارير إلى أن قواته لم تعدَّ فاعلة في الكثير من المناطق، وأن استغلال تركيا لنقض سورية لاتفاق أضنة ومن ثم البدء في توجيه ضربات انتقائية لمعاقل النظام السوري يمكن أن تمثل بداية النهاية لحكم عائلة الأسد.

ليبيا وتحويلها إلى حليف غربي، كما أن سقوط النظام السوري سيعني عدم قدرة روسيا على استغلال قاعدة طرطوس البحرية التي تُعدُّ المعقل الأخير لروسيا على البحر المتوسط، كما أن للصين مصالح متشابكة مع إيران وسورية، حيث إن إيران من أهم موفري النفط الخام للصين، وهو عماد التفوق الاقتصادي الصيني في الفترة القادمة، والصين تعلم تمام العلم نية الولايات المتحدة لتقليص الصعود الاقتصادي الصيني الذي يندرز بتحول التتين الأصفر إلى قوة عالمية في العقدين القادمين؛ لذا من المتوقع أنه إذا أرادت تركيا أن تتحرك عسكرياً ضد نظام الأسد فستضع في حساباتها كل تلك التشابكات الاقتصادية والعسكرية والسياسية المعقدة.

لذلك فإن تركيا تحاول أن تلعب بالأوراق التي في حوزتها من أجل الضغط على النظام السوري بدون التورط في عمل عسكري ضده، ليصبح الملاذ الأخير، والذي لا تريد تركيا اللجوء إليه إلا في ظل منظومة متكاملة من العمل الدولي تكون تركيا جزءاً منه وليست القائدة فيه، فلدى تركيا خيار أخير يمكن استغلاله وهو اتفاق أضنة الموقع مع سورية عام 1998م، فالهجمات على الأراضي التركية التي تأتي انطلاقاً من سورية، ومنها عمليات إطلاق نار على لاجئين سوريين هربوا باتجاه الحدود التركية أدت إلى إصابة مواطنين أتراك، يمكن أن تكون الورقة القانونية التي يمكن لتركيا أن تلعب بها في مواجهة نظام الأسد وحلفائه، فتركيا كعضو بحلف الأطلسي يمكن أن تطلب مساعدة الحلف بسبب ذلك الاعتداء عليها من قوى خارجية، فميثاق الحلف يعدُّ الاعتداء على إحدى دوله بمنزلة الاعتداء على جميع الأعضاء، ويمكن أن تطلب تلك هي الورقة التي يمكن للغرب بقيادة تركيا أن يحشدوا الضغوط على النظام السوري من أجل القبول بوقف إطلاق النار في النهاية، والبدء في تنفيذ خطة السلام المقدمة من كوفي عنان بدعم من الجامعة العربية.

فالجانب العربي وخاصة دول مجلس التعاون الخليجي يرى مصلحة كبرى في انهيار نظام الأسد واستبداله بنظام تهيمن عليه السنة في البلاد، وبذلك يتم كسر الحلقة الشيعية في المنطقة وتقليل أظافر النفوذ الإيراني المتنامي الذي يطمح في غطاء نووي له، لذلك فإن جولة أردوغان الآسيوية التي اشتملت على زيارة الصين والسعودية قد ركزت على تسريع الضغط الدبلوماسي على نظام الأسد من أجل وقف مذابحه،



جلال سعد الشايب(*)

galal_elshayp@hotmail.com

فرنسا هولاند أو فوز التغيير

إنه فوز التغيير لرئاسة طبيعية. فرنسا هولاند تمكن أخيراً من تحقيق حلمه: خلافة فرنسا ميتران بعد سبعة عشر عاماً على حكم اليمين في فرنسا.

الرجل تولى رئاسة الحزب الاشتراكي ما بين ١٩٩٧م و ٢٠٠٨م لكنه لم يتولى أية حقيبة وزارية، واختار مدينة تول، في منطقة الكوريز للإعلان عن دخوله في السباق الرئاسي.

وإعلان الترشح من ناحيته القروية لم يأت صدفة كما الوصول إلى السباق الرئاسي، هولاند مثل الجناح الوسط في الحزب الاشتراكي، فاز بتمهيدات الحزب ما مكنته من حشد منافسي الأيسر للتعبد له لرئاسته وإعطاء الحزب وجهاً متضامناً افتقده في الأعوام الأخيرة. ليبدأ بحملة رئاسية تهيأ لها سياسياً وجسدياً، وانطلق للقاء الناخبين ميدانياً.

الاشتراكي اقترح برنامجاً لإعادة إطلاق عجلة الاقتصاد، خاصة مع عقد تضامن الأجيال؛ لتشجيع المؤسسات التي تحتفظ بعمالها القدامى على توظيف الشباب، كما وعد بفرض ضريبة على أصحاب الثروات الضخمة، وخلق ستين ألف فرصة عمل في مجال التعليم. والأهم من ذلك هو تأكيده على نقض الاتفاقية المالية الأوروبية معلناً عن نيته إعادة مناقشتها في حال انتخابه: "سأعيد مناقشة الاتفاقية التي وقعها المرشح المنتهية ولايته مع رؤساء الدول والحكومات. وأنا أؤيد الحزم في الميزانية، والنظام. فأنا أعلنت منذ أكثر من عام أنه علينا تحقيق التعادل في الميزانية قبل نهاية ٢٠١٧م".

ويرى مراقبون أنه يريد إعادة التوازن الاجتماعي في فرنسا، كما أنه يريد الحفاظ على علاقة حميمة مع المغرب العربي، ولا يريد خوض مواجهة مع المطالبين بالديمقراطية في العالم العربي. [أخبار أوروبا ٥/٠٧/٢٠١٢م]

مهدي عاكف: لا أخشى الفلول ولا أتمنى فوز الإسلاميين..

أكد المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف أنه على ثقة بأن الانتخابات سوف تجري في موعدها ولكن المجلس العسكري من البداية لا يرغب في تسليم السلطة للإسلاميين، ولكن الشعب هو صاحب القرار مثلما فعل في انتخابات مجلسي الشعب والشورى، والشعب هو صاحب تقرير المصير وليس المجلس العسكري.

وقال عاكف خلال حديثه مع مراسل فارس بالقاهرة: إنه مستاء من تصرفات أنصار حازم صلاح أبو إسماعيل مؤكداً أنه كان يجب عليهم الالتزام بقرار اللجنة العليا للانتخابات احتراماً للقانون، مثلما فعل خيرت الشاطر الذي تم استبعاده واحترم القانون ولم يفعل شيء مثلما فعل أبناء أبو إسماعيل. وعن فرص محمد مرسي مرشح الجماعة يقول عاكف: إنني لا أرجو أن يفوز مرشح إسلامي بالرئاسة في تلك الدورة، لأن أي خطأ سوف يحدث من الرئيس الإسلامي سيضر بأمن مصر وبالحرية الإسلامية على شتى المستويات العربية والدولية، لذلك فأنا أدعو الله ألاّ ينجح مرشح إسلامي في الرئاسة.

وعن ترشيح عمرو موسى وأحمد شفيق يقول عاكف: قضية الفلول لا تعني لي شيئاً ولا نحتاج إلى قانون عزل لكي نقتصمهم، فالشعب أكثر وعياً ويستطيع إقصاء الفلول مثلما حدث في انتخابات مجلسي الشعب والشورى، فالشعب قام بإقصاء الفلول عن طريق صندوق الانتخاب.

وعلق عاكف على الأحداث التي وقعت مؤخراً في مصر بأن السبب هو التخبط الشديد في أداء المجلس العسكري وحكومة الجنزوري؛ لذلك أطلب حكومة الجنزوري بالرحيل فوراً لأن أداء الحكومة غير ملموس في الشارع.

وأضاف عاكف أن هناك بعض القوى تريد أن يعود الإخوان إلى السجون وأن يحدث صدام ٥٤ من جديد ولكني أريد أن أطمئن الشعب بأنه أكثر وعياً من المجلس العسكري وأكثر وعياً من الأحزاب.

[وكالة أنباء فارس-٧-٥-٢٠١٢م]

«الضاري»: المالكي يقود العراق نحو الهاوية ولا بد من ثورة تصحيح

هاجم الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق الشيخ حارث الضاري، رئيس الحكومة نوري المالكي، ووصفه بالاستبدادي والمغرور، واتهمه بالسعي لتحويل العراق إلى إيران جديدة، مؤكداً على أن مشروعه غير خافٍ على أحد، وأنه يقود البلاد إلى الهاوية، وذلك لسعيه لإنشاء دولة الحزب الواحد والشخص الواحد والمذهب الواحد، كما هو الحال في إيران، وهذا ما يثبت الواقع نفسه.

وشدد على أن المالكي وحكومته مدعومان من أمريكا وإيران، ولذا هم ساكتون على كل تصرفاته وسياساته الفاشلة والمدمرة والمقسمة للعراق.

وأكد الضاري أن العراق يسير نحو المجهول المخيف، ودعا الشعب العراقي للثورة السلمية على حكومة المالكي، لأنه وصل إلى مرحلة استكمال المشروع الذي يسعى وأسياده إليه، وإنه لغوره يعتقد أنه وصل إلى المرحلة التي لا يخاف فيها من إعلان مشروعه، ولا من مسؤولية تصرفاته الهوجاء ضد شركائه السياسيين.

وأشار الشيخ الضاري إلى أنه لا بد من إنهاء العملية السياسية الحالية: وتشكيل حكومة انتقالية من رجال العراق، الذين يثق بهم أبنائهم، تقوم بتصريف الأمور لسنة أو سنتين ثم تشرف على انتخابات حرة ونزيهة، «تأتي ببرلمان عراقي وطني حر تنتج منه حكومة وطنية، ويضع دستوراً متفقاً عليه من قبل كافة فئات ومكونات الشعب العراقي».

[شبكة الدفاع عن السنة ٢٠١٢/٤/٢١م]

الخرطوم: أوغندا تمثل قاعدة العمل العسكري ضد السودان

أكد أحمد إبراهيم الطاهر - رئيس البرلمان السوداني - أن «أوغندا» تمثل قاعدة العمل العسكري ضد السودان، وتدعم الحركات المسلحة في «دارفور»، وذلك في اجتماع عقده مع رئيس البرلمان الأوغندي لكشف تحركات أوغندا ضد السودان. وبحسب صحيفة «الرأي العام» أكد الطاهر: أن «وضع إستراتيجية أمنية للبلاد أمر مهم، لجهة أن الحركة الشعبية تنفذ أجنده خارجية، والمعركة ليست معركة محلية بل تحركها عناصر خارجية».

وأضاف الطاهر أن «أوغندا الآن تتعهد بإصدار الشهادات لكل أسلحة الحركات المسلحة والحركة الشعبية، والخط العدائي يقوده الرئيس الأوغندي، فالوضع الاقتصادي لا يسمح للجنوب حتى بتجهيز كتيبة واحدة».

وبعد انقسام السودان إلى شمال وجنوب، استحوذت دولة جنوب السودان على ٧٥٪ من عائدات النفط، ويعد هجليج حقلاً نفطياً إستراتيجياً وله أهمية كبرى للاقتصاد السوداني، فهو ينتج نصف نفط الشمال تقريباً، وردت دولة جنوب السودان أن جارتها الشمالية قصفت منطقة هجليج في ولاية جنوب كردفان، وقالت: إنها تعرضت للهجوم أولاً وإن احتلالها هجليج هو إجراء دفاعي.

وأكدت لجنة الشؤون العربية في مجلس الشعب المصري وجود مخطط (أمريكي إسرائيلي) لإشعال حرب بين شمال وجنوب السودان.

وقالت اللجنة: إن هذا المخطط يرمي للسيطرة على مناطق النفط المشتركة بين البلدين، مشيرة إلى أن الدعم الأمريكي الإسرائيلي الكامل لحركات التمرد في السودان كان وراء الدفع بهذه الحركات.

وأضافت اللجنة: «ذلك التحرك يهدف لمساندة الجنوبيين على احتلال منطقة إنتاج النفط في منطقة هجليج لضرب اقتصاد شمال السودان في مقتل».. [مفكرة الإسلام ٢٠١٢/٤/١٧م]

وثائق سوفيتية تكشف تفاصيل الحرب المزيفة عام ١٩٧٣م

يكشف السفير السوفيتي السابق فلاديمير فينوغرادوف (عمل في فترة ١٩٧٠م-١٩٧٤م في القاهرة) في مذكرته الموجهة الى القيادة السوفيتية وغير المنشورة سابقاً خفايا حرب أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٣م بين مصر وسورية من جهة وإسرائيل من جهة أخرى، والتي وصفتها وسائل الإعلام بـ «الحرب المزيفة». ونظراً لوجوده في العاصمة المصرية طوال فترة الحرب فقد كان فينوغرادوف على اتصال دائم بالأركان العامة والقيادة السوفيتية، كما التقى بوزير الخارجية الأمريكي - آنذاك - هنري كيسنجر. وقد أعدَّ السفير مذكرة من أجل تقديمها الى المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي والحكومة السوفيتية في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٧٥م فور عودته إلى موسكو بعد ترك منصبه كسفير في مصر. وبقيت هذه الوثيقة في الأرشيف الشخصي لفينوغرادوف، وتمَّ الكشف عنها بعد وفاته. ويتبين من المذكرة التي حصلت عليها «روسيا اليوم» أن السادات خان سورية في أثناء الحرب من أجل كسب ودَّ أمريكا، بينما ضحت «غولدا مائير» في هذه الحرب بحياة ألفين وخمسمئة جندي وضابط إسرائيليون دون أن يرف لها جفن إرضاء لرغبات الأمريكيين في الهيمنة على الشرق الاوسط.

[روسيا اليوم - ٢٠١٢/٠٥/٠٤م]

علامة تعجب

«المسلمون الصهاينة»

يحتفلون بقيام «إسرائيل»!!

نشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن «المسلمين الصهاينة» يحتفلون بقيام الكيان الصهيوني ويؤمنون بأن السلام سيتحقق مع العالم العربي، ويعول عليهم الكيان الصهيوني لإنهاء ما أسماه بـ «الكراهية» تجاهه. وقد عرفتهم الصحيفة بأنهم مسلمون منحدرين من أصول عربية يعيشون في أوروبا، وتحديداً في بريطانيا وإيطاليا وعدد من الدول في شمال وغرب أوروبا، يؤمنون بالحركة الصهيونية وحقَّ الكيان الصهيوني في الوجود. وأكدت الصحيفة أن هؤلاء أسسوا «جماعة المسلمين المتصهينة»، وهي تحرص على زيارة الكيان الصهيوني والأماكن التاريخية أو الدينية به، مثل متحف جرائم النازية أو مقابر القتلى العسكريين الصهاينة أو غيرها، معتبرة أن من الممكن أن يساهم هؤلاء في تغيير «أجواء الكراهية» التي يعيشها الكثير من الشباب العربي.

[الأهرام المصرية ٢٦/٤/٢٠١٢م]

خامنئي: جيش إيران هو جيش إلهي!!

قال مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي: إن الجيش الإيراني يعدُّ بمنزلة جيش إلهي وإسلامي ويعمل في خدمة المصالح الوطنية. وتفقد خامنئي معرض الأنشطة التعليمية والبحثية والهندسية والقتالية للقوات البرية للجيش، ومن بينها مشروع محاكاة تدريب المظليين الذي تم تصميمه وتصنيعه من قبل المتخصصين الإيرانيين.

وكان الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد قد وجَّه اتهاماً للقيادة الدينية في إيران بتعمد إثارة الصراع مع الغرب، رغبة منها في أن يؤدي ذلك لإضعاف مركزه.

ووفق دبلوماسيين غربيين عادوا من طهران وتحدثوا إلى صحيفة ديلي تلجراف البريطانية، فقد أعرب نجاد عن إدانته لمستشارين مقربين من المرجع الأعلى خامنئي، ووصفهم بأنهم مجموعة من المجانين.

واعتماد الرئيس الإيراني في الفترة الأخيرة على توجيه انتقاد سياسات متبعة من قبل مقربين من خامنئي وقياديين في ميليشيا الباسيج شبه العسكرية، حيث يتهمهم بالعمل على إثارة الخلافات مع القوى الغربية من أجل إضعاف مركزه، ليستطيعوا استبعاده.

[قصة الإسلام - وكالات ٢٤/٤/٢٠١٢م]



(س) و (ج)

س: كيف يُستغل الإسلاموفوبيا.. كمادة للمزايدة في الانتخابات الأوروبية؟

ج: باتت ظاهرة العدا للإسلام "الإسلاموفوبيا" تنتمي في أوروبا بشكل كبير وملحوظ، وخاصة مع موسم الانتخابات في أكثر من دولة أوروبية، واستغلال التمييز ضد المسلمين كعامل جذب للناخبين؛ وهو ما جعل الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي يحذر من تزايد ظاهرة العدا للإسلام هناك، واستخدامها مادة للمزايدة في الانتخابات، كما يحدث في فرنسا، وهو نفس ما حذرت منه منظمة العفو الدولية.

وأكد أكمل الدين إحسان أوغلو الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي أن ظاهرة العدا للإسلام آخذة في التصاعد في بعض الدول الأوروبية، محذراً من صعود اليمين المتطرف في الانتخابات، في الدول التي اتهمتها منظمة العفو الدولية بأنها لا تبذل جهوداً كافية لمكافحة التمييز ضد المسلمين، بل إنها تشجعه.

وأوضح أن ظاهرة الإسلاموفوبيا دخلت بالفعل مرحلتها الثالثة، مشيراً إلى أن المرحلة الأولى تمثلت في استغلال حرية التعبير للإساءة إلى الإسلام كما حدث في الرسوم الكاريكاتورية، أما الثانية فتمثلت في مأسسة العدا للمسلمين، كما جرى في الاستفتاء الشعبي الذي شهدته سويسرا وأسفر عن قرار منع بناء المآذن.

وشدد على مسؤولية الجانبين في العلاقات المتوترة بينهما، حيث قدمت ممارسات المتطرفين في العالم الإسلامي "صورة خاطئة عن الإسلام"، في المقابل تجسد التطرف الغربي في إنكار قيم الإسلام السليمة مع التركيز على المظاهر التي يقدمها المتشددون من الجانب المسلم.

وقال "فرنسوا لورسييري" أحد علماء الاجتماع: "لم يعد بمقدور مسلمي فرنسا أن يتحملوا أكثر من ذلك، فقد سئموا من تلك النقاشات الدائرة بشأن الهوية القومية أو اللحم الحلال أو النقاب أو الأصولية في كل مكان، كما أن مصطلحات "الإسلام والهجرة والأصولية" تستخدم بشكل متبادل دون اهتمام بمشاعر الفرنسيين وذلك من أناس مستهدفين ومتهجمين ومستغلين في الانتخابات"، وفقاً لصحيفة "واشنطن تايمز" الأمريكية.

[مواقع العرب أون لاين - صحيفة السبيل-المفكرة، إبريل ٢٠١٢م]

مرصد الأرقام

أعلنت منظمة التعاون الإسلامي أن ما يقرب من ٢٤ ألف لاجئ سوري متواجدون حالياً في تركيا، وأن السلطات المحلية هناك وفرت لهم الخدمات المطلوبة، فضلاً عن الخدمات الطبية، وذلك وفقاً لما جاء في تقرير البعثة الإنسانية التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي، والتي أنهت زيارتها هناك بهدف الاطلاع على الأوضاع المعيشية للاجئين السوريين على الحدود التركية السورية.

[الإسلام اليوم ٢٤/٤/٢٠١٢م]

بيّن استطلاع للرأي أجراه «مركز الدراسات العربي-الأوروبي» ومقره باريس، أن أغلبية المصريين يؤيدون قيام نظام إسلامي، فوفقاً للاستطلاع قال ٤٨,١٪ من المستطلعة آراؤهم: إن مصر بحاجة اليوم إلى نظام إسلامي قائم على النزاهة والشفافية والمحاسبة.

فيما أيد ٣٦,٨٪ قيام نظام ليبرالي في مصر، معتبرين أن هذا الأسلوب هو الأفضل لإدارة الدولة، خصوصاً في المجتمعات المتعددة العقائد والأعراق، وأيد ١٥,١٪ نظام مختلط بين النظامين الإسلامي والليبرالي معاً ويكون قريباً من النظام الموجود في تركيا أو ماليزيا أو إندونيسيا.

[الإسلام اليوم ٢٩/٤/٢٠١٢م]

نشرت صحيفة «البيئة» تقريراً أعدته وزارة التخطيط العراقية تحت عنوان «خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق لعام ٢٠١١م»، إن ٢٠٪ من العراقيين يعيشون تحت خط الفقر، منهم ما يقارب ٤٪ يعيشون في مستوى معيشي منخفض جداً.

وأوضح التقرير أنه بالنسبة للأسر، فإن حوالي ٢٨٪ منها تعيش في مستوى متدن، وما يقارب ٣٪ منها تعيش في مستوى معيشي منخفض جداً.

وأفادت النتائج بأن أقل المحافظات حرماناً هي الأنبار وبغداد وكركوك والبصرة ومحافظات كردستان، حيث لا تتجاوز نسبة السكان المحرومين في أي منها ٢٠٪ بينما أكثر المحافظات حرماناً هييميسان والمثنى والقادسية وذي قار جنوبي البلاد حيث تتراوح نسبة السكان المحرومين فيها ما بين ٤٨ و ٥٦٪.

وقالت الصحيفة: «التقرير نفذ ميدانياً لجمع بيانات اجتماعية واقتصادية على مستوى المدن والبلدات والقرى والأرياف في جميع المحافظات من ضمنها محافظات إقليم كردستان».

[شبكة أخبار الناصرية ٣٠/٤/٢٠١٢م]

د. أحمد محمود السيد

mr.ah54@hotmail.com

الأقلية المسلمة في تايوان

إلى جانب العديد من تراجم الكتب الإسلامية، ويصدر المسلمون في تايبيه مجلة إسلامية شهرية بعنوان «المسلمون في الصين» تصدر بالعربية والصينية.

وتوجد الجمعية الإسلامية الصينية في تايبيه، وتشرف على المساجد والتعليم الإسلامي إلا أن الحاجة ماسة لمدارس ابتدائية إسلامية، فتعليم أبناء المسلمين قاصر على دروس دينية بالمساجد أو دراسات صيفية تعقد في أثناء العطلة يتلقى فيها أبناء المسلمين مبادئ الإسلام، وتقوم الجمعية الإسلامية الصينية بدراسة مشروع إنشاء مركز ثقافي إسلامي في تايبيه، وإعادة بناء مساجد تايبيه، وبعض المساجد في المدن الأخرى، ويتبع الجمعية جمعية الشباب المسلم الصيني، وجمعية الثقافة الإسلامية الصينية، وللجمعية عدة مشاريع منها: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة ماندرين الصينية، ويتواجد المسلمون في تايبيه عاصمة تايوان، وفي كاوتشج في جنوبي تايوان، وفي وسط البلاد، وفي تشونج لي، وفي تايشنج.

المساجد في تايوان:

يوجد بها ٥ مساجد، موزعة على مدن تايبيه العاصمة، تايشنج، وكاوهيشيونج. ومن أبرز الأنشطة للدعوة في تايبيه ما يقوم به المجلس المحلي لمساجد تايوان.

في تايوان ١١ مؤسسة إسلامية معظمها في تايبيه، وأهمها:

- ١- رابطة الشباب المسلم الصينية.
- ٢- المؤسسة الثقافية والتعليمية الإسلامية الصينية.
- ٤- الجمعية الإسلامية الصينية.
- ٥- جمعية المسلمين الصينيين.

ويحتاج المسلمون إلى إنشاء إذاعة أو فضائية إسلامية تتناول مبادئ الدين، والتعريف بقيمه السمحة، ويحتاجون إلى بناء بعض المدارس الإسلامية تتعلم فيها الأجيال من أبناء المسلمين مبادئ الإسلام. ويحتاجون إلى الدعاة الذين يجيدون اللغة الوطنية واللغة العربية، وكتب التفاسير القرآنية وكتب فيها شرح مبسط لمبادئ الإسلام فضلاً عن مشروعات وقفية للصرف على الدعوة

المراجع والمصادر:

- موقع التبيان.
- موقع الإسلام.
- موقع الألوكة.
- موقع الندوة.
- Factbook

الموقع: تايوان جزيرة توجد في جنوب شرقي آسيا، في المحيط الهادي ويفصلها عن الصين مضيق فورموزا، ولا تتجاوز المسافة بينها وبين الصين ٤٠ كم، وتتكون تايوان من جزيرة فورموزا وعدد آخر من الجزر الصغيرة

التاريخ: ظلت تايوان تتبع الصين حتى سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٩٥م، ثم استولت عليها اليابان وفقاً لمعاهدة «سيمونسكي» وبعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية عادت تايوان إلى الصين في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م، وعندما زاد النفوذ الشيوعي الصيني بحيث سيطر عليها، هاجر إلى تايوان قسم من الجيش الصيني بقيادة الجنرال شيانج في سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م وتكونت جمهورية الصين الوطنية بزعامته.

أهم المدن: مدينة تايبيه العاصمة ويسكنها أكثر من ٢ مليون نسمة، وتايشنج وكاوتشج

السكان: يصل عدد سكان تايوان حسب إحصائية ٢٠١٢ م حوالي ٢٣ مليون نسمة، وعدد المسلمين حوالي ١٦٠ ألف نسمة

التوزيع العرقي (الإثني) للسكان:

الهكا (٤٨٪)، صينيون (١٤٪)، هنود (٢٪).

اللغات: اللغة الصينية لهجة ماندرين، التايوانية، لهجة الهكا

الديانات: خليط من البوذية والتاوية (٩٣٪)، نصارى، (٥٠٪)، أخرى (تشمل الأقلية المسلمة) ٥٠٪.

تاريخ الإسلام في تايوان

كيف وصل الإسلام إليها؟

وصلها الإسلام حديثاً عندما هاجر إليها ٢٠ ألف مسلم من الصين الشيوعية في سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م، في إبان سيطرة الحزب الشيوعي على الصين، والمسلمون في الصين الوطنية في وضع جيد بسبب حرية العقيدة، فمنهم أعضاء في المجالس التشريعية، ونواب وزراء، وبعض جنرالات بالجيش، لكن الأغلبية في أوضاع اقتصادية صعبة، وينتشر المسلمون في تايبيه العاصمة، وفي بعض المدن الأخرى في شوغلي، وتايشنج وكاوتشج.

ويتكون المسلمون في الصين الوطنية من الهوي، والأتراك، والأويفور، والكاكازك، هذا إلى جانب عدد آخر من الصينيين.

أحوال المسلمين:

لقد صدرت عدة تراجم لمعاني القرآن الكريم باللغة الصينية (ماندرين) وتكرر طبع بعضها، ومنها ترجمة قام بها المرحوم الحاج خالد شيخ، وطبعت سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م وترجمة أخرى قام بها الحاج شيخ شاي وانج وطبعت في سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، هذا

سورية... فتنة الحُسن والكبرياء

فهد بن علي العبودي

خَضَبُوهَا بـ "مَسَاحِقِ" الدَمِ!
جَوْدَ مِنْهَا الوَعْدُ أَنْ لَمْ تُحَلِّمْ
وَفِيَا فِيهَا وَشُمُّ القَمَمِ
وَكَذَا صُنْعُ العَشِيقِ المُغْرَمِ
يَشْتَفِي فَاغْجَبْ لَهْتَانِ ظَمِي!
وَهِيَ أَخْتُ العَزْلِ وَلَمْ تُقْسِمِ
نَظْرَةَ المَشْدُودِ والمُسْتَعْظِمِ
«مَيْسَلُونَ» فِي رُوبِ القَدَمِ
شِدَّةً وَأَنْبَجَسَتْ لِلْمُعْدَمِ
تُرَّةً رَغْمِ يَبَابِ الحُلْمِ
لضحايا اللهبِ المخطرمِ
أمل الشاكي وشكوى المجرمِ
هي صارت مضراً للكرمِ
بعدهون بُوركت من سَلَمِ
ما بغى الباغى ولم تنتقمِ
نصبتُهُ فهو فيهِ العمي
وهو لم يُخْلِصْ لغير العجمِ
فامتطوه فَرَسًا للمغرمِ
إنها "قومِيَّة" ابن العلقمي
أسد الغابة ذيل الأرقمِ
بطباع الأُسُودِ لِمَ يَتَسَمِ؟!
رُبَّ جِلْمٍ جَرَّ بِطَطَشِ القَرَمِ
فَلْيَخُضْ لُجَّ العُبابِ العَرَمِ
ما لها عذْرٌ إذا لم تهمِ
منح الصَّبِّ أمانَ اللُؤْمِ؟
في المحيَا مَسْحَةً من شَمَمِ!

يالهامن غادة في ماتم
لم يزنها الدم إلا زينة
فاكتست من دمها أنهارها
قلدت «سوريَّة» في لبسها
وسقاها الغيم دمعاً؛ عله
أقسمت ألا تُرى خانعة
نظر الدهر لها مُذْ نَزَجَتْ
مانسینا مجدها لو أوغلت
صخرة سددت رؤى أطماعهم
فجرت منها ينابيع المنى
صخرة ذابت على قسوتها
عجبا من صخرة ضمت بها
ألهم ثنا العزمُ ذكانت وها
فعرجننا السماوات الإبا
صمتت حيناً ولولا صمتها
صمتها كان له أخبولة
زعموه عربياً خالصاً
تبغ الفئرس وعادي قومه
وتراه يدعي «قومِيَّة»
«أسداً» يدعى وحاشا أن يرى
«أسداً» يدعى ولكن ماله
حلمت حيناً على سَطُوتِهِ
فانثنى الجلمُ عُباباً عارماً
هامت الدنيا بها إذ صمدت
أي حُبِّ ذلك الحُبِّ الذي
ما أتم الحُسن إن خالطه



أيديولوجيا المجتمع السعودي والتغيير

قراءة في كتاب (مقاومة التغيير في المجتمع السعودي)

(افتتاح مدارس تعليم البنات أنموذجاً)

د / عبد الله بن ناصر السدحان

د . محمد بن عبد الله السلومي(*)

الإيديولوجيا التي تُحرِّك عموم المجتمع السعودي وتُسكِّنه هي عقيدته السلفية التي اكتسبها عموم المجتمع من خلال مناهج التعليم العامة الموحَّدة والموحَّدة، ومن خلال برامج الدعوة العامة من العلماء والدعاة، وبالوسائل الدعوية القديمة والمعاصرة، والمنهج السلفي أكبر من الأشخاص والجماعات السلفية والمؤسسات الدينية وغيرها، ولأجل ذلك فإن المجتمع السعودي يُعدُّ مجتمعاً محافظاً يصعب توجيهه أو تغيير قناعاته الثقافية إلا من خلال الدين والعلماء وفتاواهم، فالتغيير من خلال العلماء وبتشريعات الإسلام موضع ثقة واطمئنان، وهذا ما حدث في موضوع (الهجر والتوطين)^(١) كأبرز مشروع في عملية التغيير الاجتماعي والثقافي زمن الملك عبدالعزيز، وكمشروعات (الإذاعة والتلفزيون) التي واجهت بعض الممانعة خوفاً من أن تكون نسخة مكررة من الإعلام العالمي والعربي، وسأكتفي هنا بالمثل بـ (تعليم البنات) كأنموذج لرفض التغيير وقبوله في آن واحد مما يعكس قوة المرجعية العقديّة والفقهية للمجتمع السعودي. ومن المسلّم به لكل مسلم أن التشريعات الإسلامية تستوعب معظم المصطلحات الجديدة والوسائل الحديثة وتوظفها وفق خصوصيات وقيم المجتمعات الإسلامية، وأن العجز إذا وجد فهو من معتقّي الفكرة وليس



(*) هذه القراءة مقتصرة على إيراد النصوص المعنية من الكتاب المذكور، والتعليق فيما بين النصوص، وربط بعضها ببعض، إضافة إلى أن عناوين هذه القراءة من وضع وترتيب القارئ لتكوين الوحدة الموضوعية لموضوع القراءة.
(١) انظر كتاب الأميرة / موسى بنت منصور بن عبد العزيز (الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز) ١٤١٩ هـ جامعة أم القرى.



ليتجاوز المجتمع رفض ذلك التعليم من بعض فئات المجتمع، وهم الفئة المتخوفة من نتائجه، وبذلك تحول الرفض إلى قبول وقناعة به واطمئنان إليه، حينما التزمت الرئاسة المعنية تحت إشراف العلماء وبالضوابط الشرعية التي ترضى وترعى قيم المجتمعات المحافظة بدءاً من إدارة مستقلة عن البنين ومناهج مستقلة متميزة بموادها وموضوعاتها وملبس طالباتها ومعلماتها، وانتهاءً بالنقل العام المتخصص بالطالبات.

إن قبول التغيير عن طريق إيديولوجيا المجتمع نفسه قفزاً بهذا التعليم إلى مستوى لم يكن يتوقعه الراصدون في الداخل والخارج حينما سجلت الإحصائيات التطور المشهود لهذا التعليم المستقل المحافظ حتى أصبح تجربة فريدة على مستوى العالم من حيث قوته ونتائجه ومخرجاته، وقد توج هذا التعليم الخاص بالمرأة بكليات أشبه ما تكون (بجامعات ذات تخصصات مختلفة زادت عن مئة (١٠٠) كلية) في جميع مدن المملكة وهذا ما وفر على المجتمع عناء إيفاد بناتها خارج نطاق الأسرة في مدن بعيدة أو ما شابهها، وما يترتب على ذلك من سلبيات على الحياة الأسرية والاجتماعية، بل إن تطور هذا التعليم ونتائجه المذهلة بحسب الإحصائيات قد فاقت تعليم البنين في بعض السنوات، وأصبح يتميزه عن غيره وقبوله لدى جميع فئات المجتمع من عوامل الإسهام في تقوية السيادة للدولة.

وما سبق كافٍ للحكم على دور الدين ذاته في التغيير والتحديث من خلال علمائه وفتاواهم، وليس من خلال فرض برامج ومشاريع التغيير التي تتصادم مع قيم المجتمع وتشريعات الدين وفتاوى العلماء، ومن يطالع القرار التالي يدرك حجم الرفض والممانعة لهذا المشروع التغيير، كما يدرك في الوقت نفسه قبول ذلك التغيير والتحديث، مما يلفت انتباه كل باحث إلى قوة أثر فتاوى العلماء ومواقفهم العملية في عصر قوتهم المستقلة التي تستمد قوتها من الوحيين: (الكتاب والسنة).

القرار التاريخي:

صدر البيان الملكي عن تعليم البنات بتوقيع الملك سعود، وأذاعته المديرية العامة للإذاعة والصحافة يوم الخميس ٢٠/٤/١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، وتم نشره في صحيفة أم القرى العدد ١٧٩٠، الصادر يوم الجمعة ٢١/٤/١٣٧٩هـ على النحو الآتي: "الحمد لله وحده وبعد، فلقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية كإدارة المنزل وتربية الأولاد وتأديبهم مما لا يخشى فيه عاجلاً أو آجلاً أي تغيير على معتقداتنا؛ لتكون

من الفكرة ذاتها، لأن الإسلام رحمة للعالمين إلى يوم الدين، وبالنسبة إلى تعليم البنات كأنموذج للتغيير فإن معظم الممانعة والرفض لم يكن لأصل فكرة تعليم البنات - كما سنرى في استعراض صفحات هذا الكتاب-، وإنما كان حول وسائل هذا التعليم التي يجب أن توفر حماية الأعراض والمحافظة على القيم - كما سيأتي-.

إن تعليم البنات يُعد من أقوى عمليات التغيير الثقافي والاجتماعي خاصةً مع تخوف المجتمع المحافظ والعلماء والدعاة من هذا الواقد الجديد، وتجربة هذا التعليم النظامي المستقل للبنات بتميزها عن سائر الأوطان بما فيها دول العالم العربي والإسلامي تستحق البحث والدراسة والتحليل للاسترشاد بها في أية عملية تغيير اجتماعي أو ثقافي أو سياسي، ومما يُسجل للعلماء أن لديهم القدرة العلمية والعملية على الإسهام بالتجديد والتغيير والإصلاح كما حدث في عملية تعليم البنات، ويمثال هذا الدور من العلماء ما حدث من تلامذتهم (المطوّعين) الذين كانوا عاملاً رئيسياً من عوامل نجاح مشروع الهجرة وتوطين الوحدة الفكرية التي انبثقت منها الوحدة السياسية للدولة السعودية.

وقد أفاد وأجاد الدكتور عبدالله السدحان في عرض هذا الموضوع في كتابه القيم، (مقاومة التغيير في المجتمع السعودي - افتتاح مدارس تعليم البنات أنموذجاً).

لقد اكتفيت في هذا الموضوع باقتباسات منه لشمول بحثه وقوة تحليلاته وكثرة نقولاته المتعددة عن الباحثين.

يقول السدحان: "كان تعليم البنات في المجتمع السعودي حسب تعبير (الغذامي: ٢٠٠٤م، ص ١٤٠) حدثاً اجتماعياً من حيث إنه أعاد صياغة المنزل والتفكير العائلي.. فقد كان تحولاً في ذهنية المجتمع كله". على الرغم من كونه للجانب التعليمي أو الثقافي أقرب، ولكنه تحول إلى ظاهرة اجتماعية بكل ما يحمله المصطلح من مدلول^(١).

لقد كان إنشاء كيان إداري مستقر يعرف بـ (الرئاسة العامة لتعليم البنات) في عهد الملك سعود بن عبد العزيز عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م بصفته كياناً مستقلاً عن البنين إشرافاً وإدارة نتيجة طبيعية لطبيعة المجتمع المحافظ ولحجم الممانعة التي صحبت نشوء الفكرة.

وبالعودة إلى إيديولوجية المجتمع والتغيير، فقد اجتاز العلماء بفتاويهم مسألة تعليم البنات وموضوع إقراره إلى أن يكونوا هم أو تلاميذهم على رأس الهرم الإداري والإشرافي

(١) انظر: الدكتور عبدالله بن ناصر السدحان مقاومة التغيير في المجتمع السعودي، ص ١١.

وغالباً ما يكون هذا التغيير مخططاً له ومقصوداً لذاته. ويكون قائماً على تخطيط مسبق قبل التنفيذ للوصول إلى أهداف محددة ومعروفة. ويكون نتيجة لجهود الإنسان الإرادية وعادة ما تقوم به الدولة أو أي جهة تابعة لها، وخير مثال على ذلك: افتتاح مدارس تعليم البنين النظامية في عهد الملك عبد العزيز، ومثل إنشاء الهجر وتوطين البدو في وقته كذلك، ومن ذلك أيضاً البدء بتعليم البنات في عهد الملك سعود، أما (التغيير الاجتماعي) فإنه يكون تلقائياً وعشوائياً وليس مقصوداً نتيجة تأثير خدمات وبرامج أحدثها الإنسان في واقعه الاجتماعي^(٣). يقول السدحان: "كما يذكر (غنيم وزملاؤه: ١٤١٠هـ، ص ١٢٧) إن تعليم البنات واجه معارضة شديدة في دولة قطر عندما افتتحت الدولة مدرسة للبنات عام (١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) ولم تقبلها معظم العائلات، فكانت الفتوى الشرعية من العوامل الدافعة للعوائل القطرية للتراجع عن معارضتها لهذا النوع من التعليم^(٤)."

"والمشهد نفسه يتكرر في دولة البحرين، حيث تذكر (السليطي: ١٩٨٨هـ، ص ١٨) أن بعض رجال الدين البارزين عارضوا وبشكل عملي افتتاح المدارس النظامية للبنات واستخدموا المنابر وخطب الجمعة، كما قام الأهالي الذين أدخلوا بناتهم في المدرسة الوحيدة بضجة كبيرة ومعارضة عملية تمثلت في إخراج بناتهم من المدرسة حين قامت مديرة المدرسة باستدعاء فرقة موسيقية لكي تعزف في إحدى المناسبات، وكان هناك شبه تعطل في المدرسة لأكثر من عام، وفي الكويت بقيت المعلمات التسع اللواتي جئن للتدريس دون عمل، إذ قوبلت فكرة مدرسة البنات بالمعارضة الشديدة من المجتمع^(٥)."

"(وذكر) (الوشمي: ٢٠٠٩م، ص ٢٨/٣٥ / ٨٩) أن تعليم البنات في دبي واجه كثيراً من الصعوبات، كما صاحب افتتاح مدرسة البنات في القاهرة ضجة كبيرة، والأمر يتكرر في كل من: ليبيا، والمغرب، وبوركينا فاسو. إضافة إلى دول أخرى غير عربية ولا إسلامية مثل: جامايكا، والبرتغال، ومنغوليا^(٦)."

"ومن هنا فليس الأمر بدعاً في القبول أو الفعل عندما يعترض بعض أفراد المجتمع السعودي، أو بعض العوام في المجتمع السعودي على افتتاح مدارس لتعليم الفتيات^(٧)."

هذه المدارس في منأى عن كل شبهة في المؤثرات التي تؤثر على النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم، وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون بالغيرة على الدين والشفقة على نشء المسلمين في تنظيم هذه المدارس ووضع برامجها بمراقبة حسن سيرها فيما أنشئت له، وتكون هذه الهيئة مرتبطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ على أن تختار المدرسات من أهل المملكة وغيرهن اللواتي يتحقق فيهن حسن العقيدة والإيمان، ويدخل هذه المدارس ما قد سبق فتحه من مدارس للبنات في عموم المملكة، وتكون جميعاً مرتبطة في التوجيه والتنظيم بهذه اللجنة تحت إشراف سماحته، مع العلم أن هذا التشكيل يتقدم الوقت الكافي بتهيئة وسائل التأسيس، ونأمل أن يكون ذلك في وقت قريب، والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٨)."

وعلى الرغم من هذا البيان الملكي - سابق الذكر - الذي أكد دور الدين والعلماء في هذا النمط التغييرى وراعى بنية المجتمع المحافظ، فإن التوجس والترقب من المجتمع المحافظ بقي قائماً إلى حد معين، حتى عايش الناس عملياً تطبيقات الضوابط الشرعية والأخلاقية لهذا النوع من التعليم فجاء الاطمئنان بعد ذلك.

يقول السدحان: "وعلى الرغم من الرضا بالقرار في بعض المناطق أو الجهات، إلا أنه من المؤكد أن المقاومة في بعض المناطق كانت حادة جداً^(٩)."

حجم الممانعة والرفض:

تحكم جميع المجتمعات العالمية إيديولوجياتها وثقافتاتها في القبول أو الرفض لعمليات التغيير، وقد كان للدين الإسلامي أثر في رفض بعض فئات المجتمع السعودي هذا النمط من التعليم حين رأى البعض أنه يحمل سمات التغيير القسري، ولا توجد تجربة مطمّنة معروفة، وفي الوقت نفسه كان للدين أثر في قبول هذا التعليم، بل وفي وتأسيسه واحتضانه وتطويره، والقفز به إلى أن أصبح تجربة عالمية متميزة.

ومن المهم توضيح الفرق بين مصطلحي التغيير والتغيير يقول السدحان: "هناك فرق بين مصطلحي (التغيير) و(التغيير)، وكما يوضح ذلك (السيف: ١٤١٨هـ، ص ١٢) فإنه كلما تدخل الإنسان في إحداث التغيير أطلق على هذه العملية تغييراً،

(٣) انظر السابق، ص ٢٤.

(٤) انظر السابق، ص ١٢٧.

(٥) انظر السابق، ص ١٢٨.

(٦) انظر السابق ص ١٢٨.

(٧) انظر السابق ص ١٢٩.

(٨) انظر السابق، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٩) انظر السابق، ص ١٠٩.

ويؤكد السدحان أن الممانعة أو الرفض لم يكن عاماً وشاملاً بل كانت هناك مطالبات من بعض أفراد المجتمع بهذا التعليم: "وما من شك أنه قد ظهرت مطالبات متناثرة هنا وهناك في بقية مناطق المملكة ولكنها محدودة، خاصة في بداية السبعينيات الهجرية ولكن لم يصل إليها الباحث"^(١).

وعن نوعية الاعتراض يقول السدحان: "ومما ذكر آنفاً يمكن التأكيد على أن المعارضة لتعليم الفتاة إنما خرجت من بعض طلبة العلم، أو من بعض العوام المتحمسين، ولم تتبناها المؤسسة الدينية الرسمية في المملكة، وعلى رأسها سماحة المفتي بدليل قبوله شخصياً لرئاستها والإشراف عليها، ولو كان يعارضها لرفض تولي الإشراف عليها ابتداءً، وقد كان يستطيع الاعتذار عن الإشراف عليها"^(٢).

ويقول السدحان أيضاً: "ومما تحسن الإشارة إليه أن المعارضة كانت على نوعين فيما يظهر من النظرة الأولية، ولكن هناك فئة ثالثة كما سنرى، فمنهم من كان يعارض المبدأ جملة وتفصيلاً، أي وجود مدارس نظامية تُعَلِّم الفتاة، مطالباً في الوقت نفسه بالاكْتفاء بالطريقة السابقة، وهي نظام الكتابيات للفتيات في بعض المنازل، وهذه الفئة هي الأقل عدداً فيما يظهر وأضعف تأثيراً، وفئة أخرى كان اعتراضها على أن تتولى وزارة المعارف الإشراف على تعليم الفتيات، مطالباً بجهة مستقلة لتعليم الفتاة لضمان عدم اختلاط الجنسين في التعليم إن حاضراً أو مستقبلاً (الزهراني ١٤٢٧هـ، ص ٤٩٢)"^(٣).

ويقول أيضاً: "ومن هنا يمكن النظر إلى تلك الاعتراضات التي تمت في حينها على فتح مدارس البنات أنها كانت وسيلة غير مباشرة لضبط هذا الوافد الجديد ليتواءم مع طبيعة المجتمع وثقافته، وتتفق مع رغبة القوى المجتمعية والقيادات الشرعية التي كانت تمثل ثقلًا في بنية المجتمع والدولة بشكل عام"^(٤).

حجم القبول:

حينما كان مصدر التلقي لمنهج حياة المسلم واضحاً وقوياً لدى المجتمع السعودي المحافظ قاوم بعض أفراد عملية التغيير في تعليم البنات، وتوجس المجتمع منه خيفةً بأنه سيكون نسخةً مكررةً من تعليم البنات في بعض دول العالم العربي، لكن جهد العلماء كان مؤثراً وناقلاً لهؤلاء من الرفض إلى القبول من خلال عاملين أساسيين وهما: تشريعات الإسلام وفتاوى العلماء

حول تعليم المرأة، والتطبيقات المطمئنة لوسائل هذا التعليم. وقد يسأل سائل كيف حدث هذا التحول الكبير من الرفض إلى القبول؟ يجيب السدحان بقوله: "الاحتكام للشرع هو المظلة العامة التي استطاعت الدولة من خلاله احتواء الموضوع بشكل عملي تنفيذي، وليس تنظيرياً مجرداً من قبل صانع القرار السعودي"^(٥).

"ويرى علماء المسلمين أن تعلم المرأة أمور دينها واجبٌ عليها مع تفاوت فيما كان فرض عين أو فرض كفاية، وذلك أخذاً من آيات عديدة وردت في القرآن الكريم مثل قول الله عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]"^(٦).

وفي هذا التعليم "اقتداءً بحديث الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ولكنهم فرقوا منذ البداية بين ما يجب أن تتعلمه المرأة وما يتعلمه الرجل، وهذا موضع الخلاف بينهم"^(٧). يقول السدحان: "ومن الواضح أن التحفظ ليس على ذات التعليم بقدر ما كان على جهة الإشراف وطبيعته ودرجة الضبط فيه والقائمين عليه، بدليل أنه خلال أقل من خمس سنوات فقط أصبح المفتي هو المشرف على ذلك النوع من التعليم في المملكة، وليس هذا فحسب، بل كان وجود سماحته على رأس هذا الجهاز عامل استقرار واستمرار لمسيرته، ولو كان تحفظ سماحة المفتي في المؤسسة الدينية على المبدأ ذاته لما قبل الإشراف ابتداءً عليه، أو لا ستطاع من خلال الإشراف عليه تحجيمه أو تعطيله، أو تأخير سنوات أخرى"^(٨).

ولأجل إنهاء كل أنواع الرفض والممانعة كانت مصداقية التطبيقات العملية من قبل العلماء وأصحاب القرار السياسي، يقول السدحان: "ولقد استطاعت الدولة تجاوز تلك المعارضة بوضع المفتي العام للبلاد الشيخ محمد بن إبراهيم على رأس هرم هذه المؤسسة الوليدة -الرئاسة العامة لتعليم البنات- ولا شك أن هذا الإشراف من قبل المفتي أعطى بعض الاطمئنان لمن كان يعارض تعليم المرأة بمبررات شرعية، أو يخشى أن يصل الأمر إلى ما وصل إليه في الدول المجاورة بالنسبة إلى المرأة، خاصةً أن رؤساء الرئاسة العامة لتعليم البنات الذين تولوا أمرها في البداية كانوا من العلماء أو طلبة العلم (ابن دهييش: ١٤٢٨هـ، ج ٨، ص ١٠٨) ومنهم: الشيخ عبد العزيز ابن

(٥) انظر السابق ص ١٣.

(٦) انظر السابق ص ٣٣.

(٧) انظر السابق ص ١٠٠، ١٠١.

(٨) انظر السابق ص ١٤٤.

(١) انظر السابق ص ٩٨.

(٢) انظر السابق ص ١٨٧، ١٨٨.

(٣) انظر السابق ص ١١٠.

(٤) انظر السابق ص ١٥٢، ١٥٣.

المعاصرين للحدث وبحسب تعبيره "فالممانعة كانت قوية، ولكنها تمت في إطار الدولة ومن باب التعامل مع ولي الأمر، لذلك كان الموقف الذي اتخذته الحكومة موقفاً سلمياً يُبالغ في الهدوء والتأني في إقناع الممانعين. فحركة الممانعة سلمية بجميع مناسطها، وأعضاء الوفد الذي قابل الملك طلبوا من ولي الأمر أن يعدل عن هذا الأمر، وإن قبل فجزاه الله خيراً، وإن لم يقبل فالسمع والطاعة، ولا أسلحة ولا حرب أعصاب، وكانوا في غاية الهدوء والقناعة". وهذا الأسلوب الهادئ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو دين علماء هذه البلاد في الإنكار على ما يرون أنه منكر، يدل على ذلك، ختام نقاش العلماء مع (حافظ وهبة) في أثناء مناقشته لهم بأمر من الملك عبد العزيز عن تدريس بعض العلوم العصرية، فقد قالوا هذه العبارة التي تنطلق من عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة علماء المملكة العربية السعودية في التعامل مع الحاكم وهو: "لقد بينا للإمام عبد العزيز الأدلة والمفاسد التي تترتب على تقرير هذه العلوم.. ولسنا بحاجة إلى الجدل المنهي عنه شرعاً، فإن قبل الإمام رأينا فالحمد لله، وإن خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها. (الجاسر: ٤٢٧هـ، ج، ص ٥٩٦) (٤)".

وللتأكيد على أن الرفض لم يكن لذات التعليم فقد كان من أبرز من عُرف بالممانعة أو الرفض في بريدة الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد (٥) ومع تلك الشهرة في الرفض من قبل الشيخ المذكور فإنه لم يكن معارضاً لمبدأ تعليم البنات حيث يقول السدحان عنه شخصياً: "كان يؤكد على ضرورة أن يكون على المنهج الذي يقره الدين، ويحذر من أن يكون القصد من تعليم الفتاة مجازاة الأمم المنحلة عن الدين. كما ينص في أحد مقالاته التي نشرها على أنه لا مانع من توسيع تعليم المرأة على المنهج الذي يقره الدين وتعاليمه، مع التمسك بالحجاب، وبالأخلاق الفاضلة (٦)".

أسباب الرفض والقبول:

صاحَبَ فكرة تأسيس تعليم البنات بالسعودية دعوات التحرر في بعض دول العالم العربي، ومن أشهرها حركة قاسم أمين ودعوته لتحرير المرأة فكان عنصر تخوف عند المجتمعات السعودية المحافظة.

(٤) انظر السابق ص ١٢٥، ١٢٦.

(٥) يلحظ أنه من الدعاة المشهورين بالقصيم وكان متحفظاً بقوة على أهمية الوسائل التعليمية المحافظة، وقد خلط أحد الكتاب بينه وبين سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد الذي تولى القضاء في بريدة، حيث اعتبر الكاتب الأول هو الثاني. انظر السدحان مقاومة التغيير ص ١١٢.

(٦) انظر: الدكتور عبدالله بن ناصر السدحان مقاومة التغيير في المجتمع السعودي ص ١١١.

ناصر بن رشيد، ثم الشيخ ناصر بن حمد الراشد، ثم الشيخ راشد بن صالح بن خنين، ثم الشيخ محمد بن عودة، ثم الشيخ عبد العزيز المسند، ثم الشيخ عبد الملك بن دهيش، ثم الشيخ علي المرشد. كما أخذت الرئاسة العامة لتعليم البنات في حينه الأمر بحزم في موضوع متطلبات المجتمع المسلم المحافظ من حيث التأكيد على التستر، وإلزام جميع العاملات بارتداء الملابس الساترة والبعد عن السفور، والمنع الشديد لأي مظهر من مظاهر التبرج أو السفور بين الطالبات، إضافة إلى عدم اختلاط الطلاب بالطالبات في جميع المراحل (١).

"إن معارضة سماحة مفتي عام المملكة السابقة لم تكن على المبدأ بقدر ما كانت على الطريقة والآلية، من حيث الإشراف، وضمان عدم تداخل تعليم البنات مع البنين في بوتقة واحدة مع مرور الزمن، مما استلزم إحداث جهاز إداري مستقل لكل واحد منهما، وفق نظرة كان يراها شخصياً.

ومن هنا يمكن القول: إنه لا عبرة ببعض الحوادث الفردية التي خرجت معارضة متلبسة بالثوب الشرعي أو تبنائها بعض طلبة العلم، فالمحك الحقيقي هو رأي العلماء المعبرين، والمؤسسة الدينية بشكل عام وعلى رأسها سماحة المفتي (٢).

"وحتى لو افترضنا أنه إنما قبل بهذه المهمة مجاملة للملك سعود فإنه كان بإمكانه تعطيل مسيرتها، أو تأخير عمل ذلك الجهاز الجديد -الرئاسة العامة لتعليم البنات- عندما كلف بالإشراف عليه، ومن هنا يمكن القول: إن مجرد موافقة سماحته على تولي الإشراف على الرئاسة إشارة كافية إلى نوع المعارضة التي كان يبديها سماحته وإنما لم تكن في يوم من الأيام منطلقة من مبدأ رفض تعليم البنات لذاته. بقدر ما كانت لأسباب أخرى (٣).

ومما يبرز أثر العقيدة على المجتمع المحافظ، ويكشف عن دور الوحدة الفكرية على المجتمع السعودي في تغيير الممانعة والرفض، من الرفض إلى القبول لدى المجتمع السعودي، أن الرفض لم يأخذ أي شكل من أشكال العنف أو الفتنة بسبب دور العقيدة السلفية الموحدة بين المحكوم والحاكم حتى مع الاختلافات في وجهات النظر بينهما، أو الاختلاف في الاستدلال الفقهي.

يقول السدحان: "وقد دفع هذا القول بشدة (الوشمي: ٢٠٠٩م، ص ٤٢) مستشهداً بروايات شفهية من عدد من

(١) انظر السابق ص ١٢٣، ١٢٤.

(٢) انظر السابق ص ١٨٨، ١٨٩.

(٣) انظر السابق ص ١٨٨.

يقول السدحان عن أثر دعوات تحرير المرأة المصاحب لتعليمها في معظم الدول العربية على قوة الممانعة والرفض في السعودية: "فلقد كانت دعوة (قاسم أمين) المشتهر بالمطالبة بتحرير المرأة تركز في خطابها التحرري على (تعليم المرأة)، فمن ذلك وغيره من الدعوات التحريرية جعل مناطق أخرى من الوطن العربي تمانع من تعليم المرأة خوفاً من وصول المرأة لديهم إلى ما وصلت إليه أختها هناك"^(١).

ومن الأسباب التي قد تكون أخرجت قبول هذا التعليم عند فئة قليلة من المجتمع ما ذكره السدحان بقوله: "كون الطلائع الأولى من المعلمات والمشرفات على المدارس كانت من البلاد التي ظهرت فيها دعوات تحرير المرأة وتقلتها من قيود الإسلام بدءاً من الحجاب وانتهاءً بإلغاء بعض أحكام الشرع في الميراث وأحكام الزواج وغيرها، وتتصادم مع المجتمعات المسلمة وعقائدها وثقافتها الشرعية"^(٢).

"فقد كانوا يخشون أن يُقَرَّ تعليم البنات لدينا على الحال التي كانت عليها في الدول العربية الأخرى؛ خاصة مصر التي كانت أوائل المدرسات لدينا قادمات منها. فلهذا خشى المعارضون أن يصبح التعليم بعيداً عن الدين والفضيلة"^(٣).

وعن دور الاستعمار في تشويه تعليم المرأة يرى السدحان: "أن الاستعمار في ليبيا قام بنشر أوهام وأفكار خاطئة عن تعليم البنات لكي يمتنع الآباء عن تعليم بناتهم، وقد تحقق لهم ذلك بالفعل"، "وإن الشعب الجزائري وقف موقفاً حذراً من المدارس التي قامت بإنشائها فرنسا لأنها تتعارض مع مقومات الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، وبالتالي لم يكن ثمة إقبال على هذه المدارس، كذلك وجود التعليم المختلط بين الجنسين، حيث ظهر مثل هذا النظام على المستوى الابتدائي في بعض الدول العربية، وكذلك في بعض الدول الإسلامية، وهذا النظام أوجد إجماعاً من قبل الكثير من الآباء عن دفع بناتهم للتعليم لما فيه من المحاذير الشرعية كما لا يخفى"^(٤).

ومن الأسباب الرئيسية المهمة طبيعة علاقة الشعب السعودي بعلمائه ودعاته، فمواقف العلماء وفتاواهم هي مؤشر القبول أو الرفض، كما أن المجتمع السعودي المحافظ بعلمائه ودعاته يعتقدون بوجوب تصدير التجارب والمشاريع والبرامج المنضبطة بضوابط الشرع إلى دول العالم الإسلامي، بدل أن

يستوردوا تجارب تعليمية كان للمستعمر الأجنبي جهد كبير في تأسيسها، كما أن المجتمع السعودي يعتز بخصوصية هويته العقدية والتاريخية والجغرافية التي جعلت من أرضه مركزاً مقدساً للعالم الإسلامي وقبلةً لشعوبه.

وكما يذكر [أبو زيد ٤٢هـ، ص ٧٦] عن المجتمع السعودي بأن بلدهم "هي معقل الإسلام والمسلمين، وعاصمته الخالدة، وقلب العالم الإسلامي كمركز القلب في الجسم الإنساني، ورأس مال المسلمين والخط الأخير في الدفاع عن الوجود الإسلامي.. فالرسالة الإسلامية مهما كانت عالمية، فلا بد لها من مركز يُعدُّ مقياساً وميزاناً لعمليتها وواقعيتها، وأسوة وقدوة لجميع المدن والقرى والمجتمعات التي تؤمن بهذه الرسالة وتحضن هذه العقيدة والدعوة"، بل قد يصل الأمر إلى أكبر من ذلك وهو الرغبة في بقاء هذا السمات المحافظ للمجتمع السعودي، لدرجة أن هناك من يرى أن المجتمع السعودي أشد المجتمعات العربية محافظةً، وبحسب تعبير (الغذامي: ٢٠٠٤م، ص ١٠) فإنه "مجتمع أتفق لا على محافظته فحسب، ولكن على الرغبة في أن يظل كذلك، ولو عمل استنقاء عربي لوجد إجماعاً عند كل العرب والمسلمين في أن يظل المجتمع السعودي محافظاً، وكأنما ذلك مصدر تطمين تاريخي وحضاري لا يمكن التفريط فيه"^(٥).

ويضاف للأسباب السابقة الوحدة العقدية للمجتمع السعودي، يقول السدحان: "ومما يمتاز به مجتمع المملكة عقيدته الإسلامية، وهي دين جميع أفراد الشعب"، وتُعدُّ المملكة العربية السعودية من الدول النادرة في العالم التي يعتنق جميع سكانها ديناً واحداً وهو الإسلام بنسبة (١٠٠٪)، وهذه الوحدة الدينية في الواقع هي نقطة القوة الكبرى في بناء الوطن" (الفقيه: ١٤١٩هـ، ص ٢٤٢)، كما أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة والرسمية في المملكة"^(٦).

ومن الأسباب الدافعة للرفض والقبول في آن واحد قوة أثر الدين على المجتمع في مجال الثوابت والمتغيرات، فحينما يكون هذا التحديث والتغيير أو التجديد مرتبطاً بالإسلام وتشريعاته يصبح موضع قبول وترحيب كما حدث في تعليم البنات، كما أن أي محاولة للتغيير أو التحديث في الإسلام ذاته مرفوضة. يقول السدحان: "تأثير الدين الإسلامي في جميع مناحي الحياة في المجتمع وانصبغ المجتمع بصفة التدين العام"^(٧).

(١) انظر السابق ص ٣٨.

(٢) انظر السابق ص ١٥٠.

(٣) انظر السابق ص ١١٠.

(٤) انظر السابق ص ٣٧.

(٥) انظر السابق ص ٥٥، ٥٦.

(٦) انظر السابق ص ٥٩، ٦٠.

(٧) انظر السابق ص ٦١.

عن تعليم البنات احتوى على أربع مواد خاصة بتعليم الفتاة وهي المواد: ١٥٣-١٥٦) (٣).

ومن الآثار الحسنة (الإيجابية) للرفض، يقول السدحان: "كما أن تلك المعارضة أوجدت نظاماً تعليمياً يتمثل في الاستقلالية التامة لتعليم البنات عن تعليم البنين، وهذا ما أنجاه من بلية الاختلاط الذي بليت به العديد من الدول العربية والإسلامية، سواء أكان في التعليم الابتدائي، أم التعليم الجامعي، وهو أنموذج لم يوجد مثله على مستوى العالم بهذا الشكل المنظم والمقتن على مستوى أعلى جهة تشريعية في الدولة" (٣).

ومن الآثار الحسنة (الإيجابية) للرفض والممانعة كذلك: "منهج خط التطمينات الذي اختطته الرئاسة لنفسها، حيث نجد أنها قامت بالتوكيد المتواصل على الطالبات والمعلمات وجميع منسوبات المدارس بالمحافظة على الملابس المحتشمة، كما قامت بتعيين حارس لكل مدرسة من الرجال كبير في السن، ولا بد أن تكون معه زوجته، لتكون وسيطة بينه وبين القطاع النسائي في داخل المدرسة. مع التأكيد القوي على عدم افتتاح أي مدرسة بنات بجوار مدرسة للبنين" (٤).

ومن تلك الآثار الحسنة (الإيجابية) للرفض: "الفصل الكامل بين تعليم البنين والبنات، في الإشراف والإدارة ابتداءً، وكذلك في المباني، وأخيراً في المناهج، فلكل منهاجه الخاصة" (٥).

ومن الآثار الحسنة (الإيجابية) للرفض استحداث نظام نقل الطالبات بسيارات خاصة بهن من المنازل إلى المدارس والعكس، مما أسهم في التطمين والحماية، بالوقت الذي لا يوجد فيه نقل عام للطلاب أو نقل عام لعموم الناس داخل المدن، وهذا النقل بحد ذاته كما هو من الآثار الطيبة للممانعة، فإنه يعكس نجاح التجربة التعليمية المتميزة.

ومن الآثار الحسنة (الإيجابية) بروز آثار الدعوة والتعليم على الآباء والمجتمع في تعاطيه مع هذه القضية التي انعكست في معالجة الأزمات: "ومن هنا يمكن القول: إن هذه الحوادث التي شكلت بعض المنعطفات في مسيرة المجتمع نحو التكامل والاستقرار تبرهن ما يؤكد عليه علماء الاجتماع الديني المتمثل في أن الدين يصبح أمراً أكثر أهمية ومصداقية في أوقات الضغوط والأزمات والصراعات؛ ولهذا السبب فإن جزءاً كبيراً يعتمد على التفسير الديني، وعلى من يقوم بعملية التفسير إذ

(٢) انظر السابق ص ١٥٤، ١٥٥.

(٣) انظر السابق ص ١٥٧.

(٤) انظر السابق ص ١٨٣.

(٥) انظر السابق ص ١٨٤.

"وهذا أسهم بدرجة كبيرة ولموسسة في استقراره، فالدين الإسلامي ساهم في صهر كافة شرائحه في بوتقة واحدة، كما ساعد على القبول الجماعي بدرجة كبيرة بين أفراد المجتمع لمرئيات وقرارات السلطة نحو قضايا التنمية، كما أن مجريات الأمور الخاصة والعامرة تتقاطع بشكل واضح مع مواعيد وأوقات وفترات أداء الواجبات الدينية من الصلوات والصيام والحج، كما أن عادات الملبس والمأكل والمشرب وكذلك مراسم الزواج والمناسبات العامة لا يمكن فهمها بعيداً عن المعاني والمقاصد الدينية" (١).

الآثار الحسنة (الإيجابية) للرفض:

تستفيد الدول الديمقراطية بأحزابها المعارضة وتوجهاتها المتعددة من الرأي والرأي الآخر فيما لا يتعارض مع دستورها، ويكون الحوار والنقاش تحت مظلة دستور الدولة وفكرتها الأساسية المؤددة، وقد كان لموضوع تعليم البنات والرأي الآخر فيه في السعودية دور كبير في نضج آليات هذا التعليم ووسائله الإدارية والتعليمية المحافظة، فتطوره ونجاحه ونجاح القبول به وتميزه كافٍ لقياس الآثار الحسنة (الإيجابية) التي نتجت عن تلك الممانعة أو الرفض.

كتب الدكتور عبدالله السدحان في كتابه القيم كثيراً من الآثار الحسنة (الإيجابية) التي لم تكن لتتحقق لولا تلك الممانعة والرفض، وكان مما قال: "لقد نتج عن هذه الاعتراضات في المجتمع نشوء نظام تعليمي فريد على مستوى العالم وهو وجود استقلالية إدارية تامة لتعليم البنات عن تعليم البنين، إضافة إلى استقلالية تربوية وتعليمية نسبية عن تعليم البنين، وكانت هذه التجربة هي الوحيدة على مستوى العالم، أي انفصال تعليم البنين عن البنات من حيث التنظيم الإداري والتنفيذي، ومما لاشك فيه أن هذا الزخم الاعتراضي من قبل بعض قيادات المجتمع كان له أثره الواضح حينما صيغت سياسة التعليم في المملكة، التي صدرت عام (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) ومن المؤكد أن البداية كانت قبل ذلك التاريخ، وهي مرحلة متأثرة فكرياً بالأراء الشرعية والفكرية التي كانت مطروحة في الساحة آنذاك.

وقد كان موضوع تعليم الفتاة أحد الأسس العامة التي تقوم عليها وثيقة سياسة التعليم في المملكة، وهي المادة رقم (٩) ونصها: "تقرير حق الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها ويُعدها لمهمتها في الحياة، على أن يتم هذا بحشمة ووقار وفي ضوء الشريعة الإسلامية، فإن النساء شقائق الرجال" (وزارة المعارف: ١٤١٦هـ، ص ٦). كما تضمنت الوثيقة فصلاً خاصاً

(١) انظر السابق ص ٦١.

يشكل ذلك محددًا أساساً في إعادة الأمور إلى مجاريها أو إلى استفحال هذه الآراء أو المواقف وتحولها إلى حركة مناوئة للنظام (الخليفة: ١٤٢٨هـ: ج ١، ص ٤٨٤)^(١).

وأقول: إن التاريخ شهد ويشهد أنها تجربة تستحق الإشادة والتصدير لدول العالم الذي يعيش مرارة التعليم المختلط، وإن وقفة يسيرة أمام الأرقام والإحصائيات تكشف الحقيقة وتُظهر بجلاء مؤشرات التجربة التاريخية للتغيير والتحديث بالدين حيث الأرقام عن المدارس وطالباتها ومعلماتها بمراحلها الثلاث، إضافةً إلى كليات البنات التابعة للرئاسة في ذلك الوقت، قبل دمج الرئاسة العامة لتعليم البنات، ودمج الكليات في الجامعات.

المنهج السلفي والتغيير:

في عرض هذا الموضوع يتأكد لكل ذي بصيرة دور العقيدة وعلماؤها في التغيير والتجديد.

الباحث السدحان في كتابه المعني بمقاومة التغيير في المجتمع السعودي، أشاد بدور العلماء في التغيير من خلال عملية تعليم البنات فقال: "إن الإنصاف التاريخي يستلزم القول: إن سماحة المفتي العام ومعه عدد من العلماء لم يكن من المتحفظين على المبدأ بقدر ما كان على الآليات والوسائل وجهة الإشراف، ويؤكد ذلك ما ورد في فتوى لسماحته حول تعليم البنات وهل له حد ومتى تكف عن الدراسة إذا بلغت من العمر؟ ذكر إجابة عن تلك الأسئلة الآتي: "ليس للدراسة حد في ابتدائها ولا في انتهائها، فما دامت الفتاة تستفيد من دراستها علماً نافعاً ولا يترتب عليه أي مفسدة فلا مانع من مواصلة الدراسة، وإذا كانت الدراسة لا تزيدها إلا نقصاً في دينها وانحلالاً في أخلاقها وتبرجاً وتهتكاً تعين حينئذ منعها" (ابن قاسم ١٣٩٩هـ، ج ١٣، ص ٢٢٢)^(٢).

ومما سبق يتضح كيف تجاوزت الحكومة والمجتمع المواقف والمعارض منهم عملية تعليم البنات بضوابط الشريعة، على الرغم من أن هذا التعليم متغير كبير على المجتمع السعودي، كما يتضح حجم بعض المغالطات الإعلامية التي تتحدث عن هذا الحدث، وتوظف الحدث والمعارضة له توظيفاً خاطئاً، يقول السدحان: "ومن هنا يستغرب المتابع لبعض الطروحات في وقتنا المعاصر، والتي تحمل في طياتها تلميحاً أو تصريحاً تشنيعات من بعض الكتاب في الصحافة أو في غيرها من وسائل الإعلام على المؤسسة الدينية السعودية أو على علمائها ورموزها، وأنهم كانوا

سبباً في تأخر المجتمع بمواقفهم الراضية لتطويره، وكثيراً ما يستشهدون بموضوع تعليم الفتاة، وأن المؤسسة الدينية والعلماء كانوا هم المعترضين عليه، نعم كان هناك معارضة ولكن من الظلم تحميل المؤسسة الدينية، أو كبار العلماء هذه المعارضة، بل كانت من بعض طلبة العلم، ومن أفراد، ومن بعض عوام المجتمع، وكثيراً ما تتخذ هذه المعلومة التاريخية المغلوطة متكاً للمطالبة بمشروعات فيها مخالافات شرعية واضحة، ومطالبة الدولة بإقرارها وعدم الالتفات إلى الاعتراضات التي يطرحها العلماء من منطلق شرعي بحت. جاعلين من قضية تعليم الفتاة وما صاحبها من اعتراضات دليلاً على عدم صحة هذه الاعتراضات الجديدة متناسين أن (الدين الإسلامي في المجتمع السعودي كان ولا يزال عاملاً مهماً ليس في فهم مظاهر الاستقرار والتوازن والتنمية والتكامل فحسب، بل في استيعاب مظاهر التغير والصراع، ومن ذلك يتبين مدى أهمية الدين الإسلامي في كونه بناءً وإطاراً مرجعياً وإيديولوجياً ليس فقط في مسألة تأسيس المجتمع وتماسكه، بل أيضاً في إضفاء الشرعية على الكثير من الأمور التنظيمية والاجتماعية والتنمية المختلفة في الواقع الاجتماعي) (الخليفة: ١٤٢٨هـ: ج ١، ص ٤٨٧)^(٣).

فالتغيير بالدين وبضوابطه الشرعية وتعاليمه الشاملة عامل قوة واستجابة في التغيير الاجتماعي والتطوير الثقافي والإصلاح الإداري والسياسي، لكن التغيير أو التحديث أو التجديد في الدين هو الأمر المرفوض عند عموم المجتمع السعودي الذي تحكمه أيديولوجيا مرتبطة بعقيدة ربانية سماوية. وقد عدَّ كثيرٌ من المؤرخين^(٤) (الحركة الوهابية) - كما يسمونها- من أقدر الحركات الإسلامية في عملية التغيير السياسي والاجتماعي، فالعقيدة السلفية تمتلك مقومات إقامة دولة بنظم وتشريعات كاملة شاملة، كما تمتلك عوامل الإصلاح والتغيير، وهذا ما حدث بالفعل في جزيرة العرب التي عانت في بعض فتراتنا التاريخية من تفكك وانقسام، وتحولت بفضل الله ثم بفضل تلك العقيدة إلى وحدة فكرية سياسية فريدة من نوعها، قابلة للتجديد والإصلاح والتغيير، لكن بإيديولوجية المجتمع -دون سوا-، مستفيدة من كل النظم الإدارية الحديثة التي لا تتعارض مع تشريعات وقيم المجتمع السعودي. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغْيُرَ مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(٣) انظر السابق ص ١٩١، ١٩٢.

(٤) انظر جلال كشك (السعوديون والحل الإسلامي) ص ٦٠٥. وانظر الباحث الفرنسي محمد مُلِين (علماء الإسلام) ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٢٩، ٢٣٠.

(١) انظر السابق ص ١٨٧.

(٢) انظر السابق ص ١٨٩.



نظرات تربوية في الخلاف

همام بن عبدالرحمن الحارثي

hah989@gmail.com

الوقفه الأولى: أنه ليس كل خلاف يجب أن نسلم به، وأن نقبله وألا نردّ عليه أو نعارضه، بل ما كان خلاف في الحقيقة هو الذي يقبل من صاحبه، ويرحب بقائله، ولهذا قيل:

فليس كل خلاف جاء معتبراً

إلا خلاف له حظ من النظر

لهذا لا بدّ لنا ألاّ نأخذ هذا الخلاف بظاهره، وهذا يربي فينا أن نعلم ما وراء الخلاف، أو ما الدوافع من هذا الخلاف؟، دون تجسس أو تتبع أو تقول على شخص ما لم يقل.

لأن المرء قد يعتقد في موقف ما هو خلاف الواقع، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ: لما كان في الحديبية والتأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر فقال: يا

إن الله - جلّ وعلا - لما خلق آدم عليه السلام، جعل ذريته مختلفة في ألوانها وأشكالها وأجناسها، وذلك لحكم كثيرة، لعل من أظهرها: أن هذا التنوع يلبّي حاجات أكثر مما لو كان هناك لون واحد للحياة.

ولهذا اقتضت سنة الله - سبحانه وتعالى - أن يكون هذا الخلاف موجوداً بين الناس: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [الأنعام: 103] إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وقمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين [هود: 118 - 119].

وهذا الخلاف الذي لا بدّ أن يكون موجوداً في حياة الناس لا بدّ أن يكون لنا معه وقفات يستفيد منها المسلم في حياته مما يجعله يعيش متناغماً في هذه البسيطة:

الوقفه الرابعة: الخلاف يربي المسلم على تعدد الخيارات التي يراها، فيعلم أن هذا الدين جاء ليكون ديناً خالداً صالحاً لكل زمان ومكان؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فما كان عندنا قد لا يصلح لغيرنا، وما كان لغيرنا لا يصلح لنا، وكله من صلب ديننا العظيم، مع التبيه أن هذه الخيارات ليست للانتقاء، ولا بحسب الهوى، بل هي مذاهب وأقوال للعلماء - رحمهم الله - توصلوا إليها باجتهادهم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ...﴾ [الجاثية: ٢٣].

والراجع في حال تعدد الأقوال من كلام علماء الأصول: أن المؤمن يرجع إلى من يثق بدينه وعلمه من أهل العلم المعتمدين إذا كان مقلداً^(٣).

ولعل من أظهر الأمور التي اختلف فيها الصحابة ولم يثر عليهم الرسول حادثة بني قريظة، فقد جاء عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة). فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ثم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف أحداً منهم^(٤).

الوقفه الخامسة: الخلاف يربي في المسلم احترام

الطرف الآخر، وعدم إقصائه، وتبين الحق له لعل الله - عز وجل - ينقذه على يديك، فقد روي عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: اجتمعت قريش يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليات هذا الرجل الذي فرّق جماعتنا، وشئت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يردُّ عليه. فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك. إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشئت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى لقد

أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أولسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه، فإنني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله فقال: يا رسول الله. أأست برسول الله؟ قال: «بلى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أولسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»؛ قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني)^(١).
عمر - رضي الله عنه - لم يكن يعلم ما يعلم الرسول ولا أبو بكر، لهذا خالفهم في هذه الشروط التي كان يظنها جائزة، لكن نظرة الرسول ﷺ وثقته بربه، جعلت من هذه الشروط فتحاً ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

الوقفه الثانية: الخلاف يربي في المسلم أن في كل إنسان

جانب خطأ وجانب صواب، فما كان صواباً قبل منه، وما كان خطأ لا يقبل منه، مع الأخذ بحق النصح للأخ، وتبيين الحق والصواب له، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر. وقد قال الله - عز وجل - لنبيه: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨] وقوله - جلَّ شأنه - : ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].

الوقفه الثالثة: الخلاف يربي فينا ألا نجبر أحداً على

اتباع ما عندنا إن كان الخلاف له مساحة من الأخذ والعطاء، أما ما كان من المسلمات ممّا جاء في الوحي والسنة وإجماع علماء المسلمين فهذا لا يناقش فيه، لأنه لا يقبل إلا قولاً واحداً، كأمر العقيدة وما اتفق عليه علماء المسلمين من الأمور الفقهية: كوجوب الصلاة، والصيام وغيرها.
ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن يزيد: «صلّى عثمان بمنى أربعاً، فقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - صليت مع النبي ﷺ ركعتين ومع أبي بكر ركعتين ومع عمر ركعتين، ثم تفرقت بكم الطرق فلوددت أن لي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين قال الأعمش: فحدثني معاوية بن قره عن أشياخه أن عبد الله بن مسعود صلى أربعاً. قال: فقيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعاً قال: الخلاف شر^(٢).

(٣) للاستزادة: راجع مبحث التقليد في كتب أصول الفقه.

(٤) رواه البخاري ٤١٩٩

(١) صحيح مسلم ١٧٨٥

(٢) سنن أبي داود ١٩٦٠

طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما تنتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: فرغت. قال: نعم فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمْدٌ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿إِلَى أَنْ بَلَغَ﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ ﴿فَقَالَ عَتَبَةُ﴾ حسبك. أما عندك غير هذا؟ قال: لا. فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته، قالوا فهل أجابك؟ فقال: نعم، ثم قال: لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً ممّا قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويملك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال. قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة^(١).

الوقفَة السادسة: الخلاف يربي عند المسلم الحرص على المنهج الحق، سواء أكان في التلقي أم الاستدلال أم الاستباط، فهو حين يرى الناس قد اختلفوا في هذه الحياة، وربما ضلَّ بعضهم عن الطريق المستقيم. هذا كله يجعل المسلم أشدَّ يقيناً، وأعظم إيماناً. إن أعظم ما يحتاج إليه هو المنهج الحق. والمنهج الحق الذي لا ريب فيه: هو ما كان عليه الرسول ﷺ والصحابة - رضوان الله عليهم - والسلف الصالح. وروى كثير من الآثار عن الصحابة والسلف في حرصهم على السنة، وبعدهم عن كل ما يشوبها، فمن ذلك: قال الزهري - رحمه الله -: الاعتصام بالسنة نجاة^(٢). وقد قال الأوزاعي - رحمه الله -: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال! وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم^(٣).

الوقفَة السابعة: الخلاف يربي في المسلم اتباع الجماعة، وهضم حق النفس، فقد يخالفك كثير من الناس؛ لأن الرأي السائد خلاف ما تبين لك من الحق، فتجبر نفسك على اتباع الجماعة، وترك ما كان لك من أجل هدف أعلى وغاية أسمى وهي: اجتماع الكلمة وعدم الفرقة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولعل من أظهر الأمثلة ما حدث بين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - وبين الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: فقد روى عمر بن دينار، أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما مات علي بعث إلى الحسن، يدعوهم إلى إصلاح ما بينهما سراً، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي ليسمينه، وليجعل الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن قال ابن جعفر: والله إنني لجالس عند الحسن، إذ أخذت لأقوم، فجذب بثوبي، وقال: يا هناه اجلس! فجلست، فقال: إنني قد رأيت رأياً، وإنني أحب أن تتابعني عليه! قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة، فأنزلهما، وأخلي بين معاوية وهذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسفكت الدماء، وقطعت الأرحام والسبل، وعطلت الفروج.

قال ابن جعفر: جزاك الله خيراً عن أمة محمد، فأنا معك.

فقال: ادع لي الحسين! فأتاه، فقال: أي أخي! قد رأيت كيت وكيت فقال: أعيذك بالله أن تكذب علياً، وتصدق معاوية. فقال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفته، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت، فأطينه عليك، حتى أقضي أمري.

فلما رأى الحسين غضبه، قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفة، وأمرنا لأمرك تبع^(٤).

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم...

(١) البداية والنهاية ٣/٦٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٣٣٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/١٢٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣/٢٤٥.



النجاة من

كمين الشبهات

د . عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف^(*)

www.alabdullatif.net

@drabdullatif

رقيق الديانة قد حُرِمَ برد اليقين، فهو في لجج الشبهات ليس بخارج منها..

يقول ابن تيمية - في هذا المقام - : «وقد يكون الرجل من أذكىء الناس، وأحدِّهم نظراً، ويعميه الله عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس، وأضعفهم نظراً، ويهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به.

فمن اتكل على نظره واستدلّاه، أو عقله ومعرفته، خُذِل، ولهذا النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة كثيراً ما يدعو ربّه: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٧).

قال الله - تعالى - : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئدة الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾» [الأنعام: ١١٢ - ١١٣].

قال الشنقيطي: «وقوله: ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ﴾، أي تميل إلى ذلك القول المزخرف المزين الباطل؛ ليكون سبباً للضلال، فتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ لأن المؤمنين يعرفون زخارف الشيطان ووسوسته، فيتباعدون منه ويجتنبونه»^(٨).

والحاصل أن التعلق بالله والدار الآخرة يحفظ العبد من شرك الشبهات وزخرفها، «والاستقراء يدل على أنه إذا خلص الإيمان إلى القلب لم يرجع عنه»^(٩).

«الحمد لله الذي جعل أقوال الملحدين يظهر فسادها لكل ذي عقل، كما علم إحداهم كل ذي دين»^(١).

فالكذبات الصلعاء، والإفك المكشوف لا يستحق أن يلتفت إليها، فالخوض في إبطالها تضييع للزمان، وإتاعاب للحيوان^(٢)، ثم إن الشغب على العلوم الضروريات يوقع في السفسطات، وإنكار الحقائق الجليات^(٣)، وإنما الكلام بشأن الشبهات التي يشتهب فيها الحق بالباطل، إذ لا يشتهب على الناس الباطل المحض، بل لا بُدَّ أن يشاب بشيء من الحق^(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وكل ذي مقالة [من مقالات الملل والنحل] فلا بُدَّ أن تكون في مقالته شبهة من الحق، ولولا ذلك لما راجت»^(٥).

ويقول الفيومي: «الشبهة في العقيدة: المأخذ الملبس، سميت شبهة لأنه تشبه الحق»^(٦).

✽ والتعلق بالله - تعالى -، والانطراح بين يديه، والافتقار إلى الله في جميع الأحوال، يحفظ العبد من بريق الشبهات وتزويقها.. فكم من عبد مُحِبِّت قد سدّد الله شأنه، وأثار بصيرته، وإن كان متوسط الذكاء، أو دون ذلك، وكم من ذكي

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٤٥/١٠.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٩٣/٥.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٣١١/٣.

(٤) انظر التدمرية لابن تيمية ص ١٠٦، ومجموع الفتاوى ٢٧/٨.

(٥) جامع الرسائل ٤٠١/٢.

(٦) المصباح المنير ٣٥٨/١.

(٧) درء تعارض العقل والنقل ٣٤/٩.

(٨) العذاب المنير ٥٨٤/٢ = باختصار يسير.

(٩) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية ص ٥٦٢.

■ ولا بُد من العبادة والإيمان، من العلم والرسوخ في الشرع، والتفقه في دين الله، فهما أمران متلازمان: العلم بالله وخشيته، والعلم بأحكام الله وشرائعه، وبهما يتحقق الثبات على دين الله، والسلامة من الشبهات.. كما حرره ابن تيمية بقوله: «فإن الإنسان قد يؤتى إيماناً مع نقص علمه، فمثل هذا الإيمان قد يرفع من صدره، وأما من أوتي العلم مع الإيمان فهذا لا يرفع من صدره، ومثل هذا لا يرتد عن الإسلام قط، بخلاف مجرد القرآن أو مجرد الإيمان، فإن هذا قد يرتفع، فهذا هو الواقع»^(١).

فعلى المحاضن التربوية أن ترسخ العلم الشرعي في الأجيال، وتحقق البلغة من التفقه في دين الله، كما أن عليها أن تسعى إلى ترويض نفوس الناشئة بالتعبّد المشروع والسمت النبوي، وإعداد برامج علمية وعملية في تزكية النفوس.. فالقلوب الخاوية من روح الإيمان، ونور البصيرة، والعقول الفارغة من علوم الشريعة هي المرتع الفسيح للشهوات والشبهات.

■ علينا أن نشرع ابتداءً في تقرير المسائل الدينية بدلائلها العقلية والعقلية والفطرية، ويكون الردُّ على الشبهات تبعاً لتلك التقريرات، وهذا ما ألمح إليه ابن تيمية بقوله: «ونحن نذكر ما يُستفاد من كلام النبي ﷺ مع ما يستفاد من كلام الله، فيصُلُّ المؤمن إلى ذلك [مسائل الإيمان والإسلام] من نفس كلام الله ورسوله ﷺ، فإن هذا هو المقصود، فلا نذكر اختلاف الناس ابتداءً، بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله..»^(٢).

وقال - في موطن آخر -: «وإنما يذكر [القرآن] الحق والأدلة الموصلة إليه لذوي الفطر السليمة، ثم إذا اتفق معاند أو جاهل كان من يخاطبه من المسلمين مخاطباً له بحسب ما تقتضيه المصلحة»^(٣).

■ الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلا بُد من توصيف الواقع الحاضر بعلم وعدل، وما يكتنفه من الشبهات، ومدى ظهورها، بلا تهويل ولا تهوين.. ثم ينظر في الشبهات التي هي أكثر ظهوراً وتأثيراً، وأما تتبع جميع الشبهات، وملاحقة الاعتراضات فليس مشروعاً ولا مقدوراً..

يبين ابن تيمية ذلك بقوله: «ومعلوم أن الباطل ليس له حدٌ محدود، فلا يجب أن يخطر ببال أهل العقل والدين كل باطل، وأن يردّوه، فإن هذا لا نهاية له..»^(٤).

■ ثم إن لزوم الشرع، والاعتصام بالسنة يحتاج إلى رؤية وتؤدة، بخلاف الشبهات فإن لها وثبةً وخفةً، فلا يستخفّنك الذين لا يوقنون.

وهذا ما أشار إليه ابن عقيل الحنبلي قائلاً: «الفقهاء والمحدثون يقصرون عن إزالة الشبه؛ لأنهم عن النقل يتكلمون، وللخوف على قلوب العوام من الشكوك يقصرون القول ويقللون، فهم حال الأجوبة عنها ينظرون في العاقبة، والمبتدعة يتجهمون، فعلمهم فرح ساعة، ليس لعلمهم ثبات..»^(٥).
فما أكثر ركأم الشبهات، وزخم الاعتراضات! ومع ذلك المكر الكبار فالدين منصور، وحججه ظاهرة، والإقبال عليه يفوق الوصف، فالعاقبة للمتقين.

■ ينبغي أن تراعى أحوال النفس وكمائنها في الجواب عن الشبهات، فهناك نفوس تعزف عن الأجوبة الظاهرة الجلية، وتؤثر الأجوبة الدقيقة الخفية، لما فيها من حبّ التفرّد والتميز على سائر النفوس..

وهذا ما اكتشفه ابن تيمية قائلاً: «الأدلة التي فيها دقة وخفاء، ينتفع بها من تعوّدت نفسه الفكرة في الأمور الدقيقة، أحبّ إليه من الطرق الواضحة التي يشركه فيها الجمهور.. لما في النفوس من حبّ الرياسة»^(٦).

وفي المقابل فإن لدد النقاش مع صاحب الشبهات، قد يدفعه إلى العناد ومزيد من الإصرار.. فأهواء النفوس لا حدّ لها. وهذا ما أشار إليه أبو حامد الغزالي.. لما تحدّث عن آفات علم الكلام وما فيه من خصومة وجدال.. فقال: «فيه مضرّة من إثارة الشبهات، وتأكيد اعتقاد المبتدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تتبعث دواعيهم، ويشتد حرصهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الإصرار بواسطة التعصب الذي يثور عن الجدل»^(٧).

فاللهم إنّنا نسألك الثبات على الدين، وبرد اليقين، اللهم ارزقنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه.

(٤) تعارض العقل والنقل ٧/٧٦، وانظر: الدرء ٣/١٦٢، ٥/٣٢٠.

(٥) تعارض العقل والنقل ٨/٦٤.

(٦) تعارض العقل والنقل ٨/٨٦ = باختصار يسير.

(٧) الإحياء ١/١٦٧.

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية ص ١٤٩.

(٢) كتاب الإيمان ص ١.

(٣) تعارض العقل والنقل ٨/٨٨.

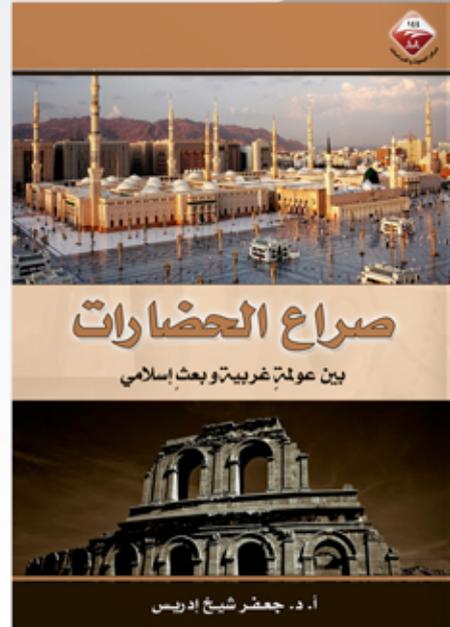
حديث

مجلة
البيبان

جديد ..



جديد ..



جديد ..



جديد ..



الرياض: هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٤٥٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦

مجلة البيان وجميع إصداراتها المتنوعة متوفرة
بمتجر آبل الإلكتروني لأجهزة آيباد وآيفون.
(فقط عليك تحميل تطبيق البيان)



لجمهورنا الكريم، عدد المجلة لشهر رجب ١٤٣٣ هـ

على المتجر



www.albayan.co.uk